جامعة أم درمان الإسلامية

كليــــــــة الآداب

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الدراسات العليا

مظاهر الحياة الإجتماعية في بغداد وخراسان في عهد البويهيين

في القرنين الرابع والخامس الهجريين

في الفترة ٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

في التاريخ والحضارة الإسلامية

العام ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦ م

إعداد الطالبة

شادية عبد الله محمد احمد

إشراف

دكتورة. نعمة عبد السلام

شكر وعرفان

بعد أن وفقني الله لإتمام كتابة هذه الرسالة أتقدم بالشكر والعرفان أجزله إلى أستاذتي د. نعمة عبد السلام التي قامت بالإشراف على هذه الرسالة فأحاطتني بكل الرعاية والإهتمام وتتبعت هذا العمل بكل الدقة والحرص في توجيهاتها القيمة السديدة التي كان بفضلها أن خرج هذا البحث إلى النور . أمد الله في عمرها وأكرمها.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لكل أساتذة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية . والشكر لصديقتي العزيزة تهاني محمد علي متعها الله بالصحة . والشكر موصول لصديقتي العزيزة مها عثمان وفقها الله .

الشكر لأسرة عمادة الطالبات ولأسرة المكتبة المركزية والفرعية بجامعة أم درمان الإسلامية .

الشكر لمركز الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية فجزى الله القائمين على أمره خير الجزاء .

الشكر لكل من تعاون معي بنصيحة أو فكرة أو جهد في إعداد هذا البحث .

كما أشكر أفراد أسرتي وخاصة الخال العزيز الذي كان له الدور الأكبر في تشجيعي لإتمام هذه الرسالة .

والشكر أيضاً للأستاذة خالدة محمد عبد الرحمن التي قامت بطباعة هذا البحث وتنسيقه .

وجزى الله الجميع عني كل خير .

الباحثة

اختصارات

ص	صفحة
ت	توفي
هـ	هجرية
م	ميلادية
ج	جزء

الفهرست

ملخص

بعد أن استقرت الأمور في فارس لأبناء بويه سعوا إلى الاتصال بالخلافة العباسية والحصول على السند الشرعي لحكمهم المناطق الواسعة في أملاك الدولة العباسية التي سيطروا عليها . وقد فضل البويهيون الحكم المطلق مع وجود الخلافة العباسية وضمان طاعة الرعية ، وقد استخدم البويهيون كل ما يخدم أغراضهم ومصالحهم فتظاهروا بالولاء والطاعة للخليفة العباسي ، وذلك لتأكيد شرعية حكمهم وإن كانوا في الواقع قد جردوا الخليفة من معظم اختصاصاته وشاركوه في شاراته الوظيفية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن السياسة التي انتهجها البويهيون في بغداد قد أفرزت الكثير من السلبيات . فلقد ازدادت حدة تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وظهر ذلك واضحاً في الفتن التي أسهم البويهيون في إيجادها وتنشيطها ،مما أدى إلى نتائج إجتماعية خطيرة سوف تكون موضوعاً لهذا البحث .

إن البحث الذي نتقدم به عن الحياة الإجتماعية في بغداد وخراسان خلال العصر البويهي يكشف عن جملة نتائج لا بد لنا من توضيحها ، وهي في مجملها إنعكاس لطبيعة الأوضاع والتطورات التي تعرض لها المجتمع في بغداد وخراسان خلال العهود السابقة بعد أن تعرض إلى محنة التسلط الأجنبي . فكما هو معلوم فإن البويهيين قدموا إلى بغداد على رأس جيش أجنبي وأنشأوا إمارةً وراثيةً كما أنهم كانوا شيعة لا يعترفون بشرعية الخلافة العباسية السنية المذهب ، غير أنهم أبقوا عليها فيما أدركوا بأن مصالحهم تقتضي ذلك . وقد انعكست هذه الحقيقة على معاملتهم للخلفاء العباسيين ، إذ لم يعد للخليفة بعد تسلطهم حول ولا قوة كما أنهم كانوا يعاملونه بازدراء وجبروت رغم تظاهرهم أمام الناس باحترامه وطاعته .

وفي ظل هذه الهيمنة على الخلافة والخلفاء مارس البويهيون عاداتهم وموروثاتهم القديمة في كل من بغداد وخراسان بكل حرية .

إن من المهم الإشارة إلى أن البويهيين وبدافع أيضاً من أصولهم الفارسية وميولهم الشيعية العلوية قد عملوا على مناصرة وتأييد كل ما ترمي إليه الحركات المعارضة للخلافة العباسية.

ABSTRACT

As soon as they conquered Persia, the Buwayhids had contacted Abbasid Caliphate to make their rule legal. They preferred to rule the conquered region as a part of the Abbasid Caliphate, so they were very careful not to start any type of conflict with the Abbasid Caliphate, and they used all means to achieve their purposes. From the very beginning of their reign, they succeeded in reducing the Abbasid Caliph's power in Baghdad, till they deprived them from their authorities gradually.

It is very important to remember that the strategy that the Buwayhids followed, had led to a series of troubles in Baghdad. Eventually social life began to decline, economic was affected by the critical position Baghdad had witnessed during their reign. The conspiracies that hey made, played a great role in leading Baghdad to a serious decline. In this research, I am trying to clear the effect of the Buwayhids policy on the social life in Khorasan and Baghdad during their reign.

The research attempts to review and discuss the results of Buwayhids' direct control on the Abbasid Caliphate. The situation in Baghdad and Khorasan during their reign was a natural output of the previous political conflicts which took place throughout the regions under the rule of the Abbasid Caliphate. Buwayhids created a new tradition by letting other races take leadership in the capital city of the Abbasid Caliphate. The dynasty of the Buwayhids inherited rule for many decades, not accepting being under the Abbasid's control,

because they were Zaydi Shiite, but when they discovered that, they were in need to the Abbasid recognition, they had done their best to keep Abbasid Caliphs but without any real authorities.

After controlling the center of the Islamic world , Buwayhids had been much free to spread their doctrine in Baghdad and Khorasan and they assisted other Persian and Shiites movements to achieve their goals.

المقدمة

امتاز العصر العباسي الأول بقوة الخلافة وتمركز السلطة في أيدي الخلفاء العظماء الذين حفل بهم هذا العصر ، وكانوا جميعاً ذوي شخصيات قوية، وقد حرص هؤلاء الخلفاء على توثيق أواصر الصلات بينهم وبين الملايين من رعاياهم . كما أظهروا كفاءة تامة في كبح جماح العناصر المتطلعة إلى القوة والنفوذ من الموالي . وتبعاً لذلك احتفظت الدولة في ذلك العصر بوحدتها . لكن هذه الظاهرة العامة في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ-٢٣٢هـ / ٩٤٧ - ٨٤٦ م) ما لبثت أن تغيرت في العصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ-٣٣٤هـ / ٨٤٦ - ٩٤٥م) لتحل محلها ظاهرة أخرى تخالفها وهي قيام دول وأمارات مستقلة استقلالاً كاملاً أو استقلالاً جزئياً ، مع الإعتراف بسلطان الخلافة ثم ظهور شعوب جديدة على العالم الإسلامي ووصولها إلى مركز الدولة ، وتسلطها على الحكم ، ثم وقوع الخلفاء أنفسهم تحت نفوذها الأمر الذي أضعف من نفوذ الخلفاء وأذهب عنهم مظاهر الإحترام والمكانة التي كان يتمتع بها خلفاء العصر العباسي الأول .

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار وجود الجند الديالمة في جيش الخلافة العباسية من العوامل الرئيسة التي مهدت لسيطرة البويهين الديالمة على العراق بسهولة ويسر وبدخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م دخل تاريخ الخلافة العباسية مرحلة جديدة فأصبحت الخلافة تابعةً تماماً لأحمد بن بويه (معز الدولة) ومنحه الخليفة المستكفي (٣٣٤هـ/٩٤٥م) لقب إمرة الأمراء وأحمد هذا هو أحد أخوة ثلاثة هم علي والحسن تعاونوا فيما بينهم على قيام الدولة الجديدة فتمكنوا من إدارتها ، فبفضل سياسة على بن بويه الحكيمة تمت لهم السيطرة على بلاد فارس والعراق وبحسن قيادته أمنَّ علي حدوده سواء بطريق التغلب على ما جاوره من البلاد أو عن طريق المصالحة حسبما اقتضته الظروف السياسية السائدة . وبخلقه الكريم سادت المحبة والطاعة والإحترام بين أبناء بويه وكل هذه العوامل الهامة ساعدتهم على

تحقيق انتصارات عظيمة في الميدان السياسي والعسكري مما أدى إلى تأسيس دولتهم القوية وبسط سلطانها على أجزاء العالم الإسلامي .

لهذا كان علي الباحثة أن تبدأ البحث بدراسة توضح فيها المسرح الذي شهد قيام تلك الدولة وتعني بها بلاد الديلم وتعرضت بالتالي للحديث عن انتشار الإسلام على المذهب الشيعي في هذه البلاد وأثر ذلك على الحياة الإجتماعية في بغداد وخراسان وما شهدته من تطور على الخلفاء ورجال الدولة في حياتهم الخاصة ولهوهم وطعامهم وشرابهم ومجالس أنسهم .

والبحث يتكون من أربعة فصول وخاتمة . تناول الفصل الأول منطقتي البحث بالتعريف من حيث التسمية والأحوال الجغرافية ثم التعريف ببلاد الديلم وانتشار الإسلام بينهم وهجرتهم وتكوين إمارتهم كما حوى الأوضاع الإجتماعية في بغداد وخراسان قبل سيطرتهم وتوضيح إيجابيات وسلبيات تلك الأوضاع وأثرها على المجتمع .

وفي الفصل الثاني تحدثت الدراسة عن وصول البويهين إلى بغداد وتوليهم إمرة الأمراء وقد بينت فيه سيطرتهم على الخلفاء العباسيين في عهدهم سيطرة متجبرة وإن البويهين ملكوا الأمر كله ، بحيث لم يعد للخلفاء اي سلطة فعلية كذلك بينت فيه سيطرتهم على الوزارة التي تعتبر المظهر الثاني للسلطة في البلاد ، وكيف كان وزراء البويهين يحاولون إرضاءهم لنفعهم ونفع أنفسهم . كما بينت كيف كانت هيبة الوزارة لا قيمة لها لدى البويهين .

كذلك بينت الدراسة في هذا الفصل كيف حاول البويهيون تسييد المذهب الشيعي مع أنهم يعملون في ظل خليفة سني ، وكيف ناصروا الشيعة على السنة وفرضوا الإحتفال بأعيادهم ومناسباتهم مما تسبب في فتن شيعية سنية انتظمت عهدهم كله وكيف فكروا في جعل ولائهم للفاطميين ، وتحويل الخلافة إليهم في عهد معز الدولة وكيف انتشرت الدعوة الفاطمية في عهدهم في بلاد العراق وموقف الخلافة من ذلك .

و في الفصل الثالث تناولت الدراسة عناصر السكان في المنطقتين وتأثيرها على المجتمع .

وفي الفصل الرابع والأخير من البحث تناولت الدراسة العادات والتقاليد وما حدث فيها من تغيير كان له أثره على المجتمع .

بعد أن أنهت الباحثة هذا الفصل عرضت لخاتمة البحث وهي نتيجة للدراسة التي قامت بها وذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها بعد البحث والدراسة .

إعتمدت الدراسة على المصادر والمراجع الأساسية واستقت منها ما يؤيد النتائج التي توصلت إليها من النصوص دون تغيير فيها . وأثبتتها في مواضعها لعلها تعين القارئ على فهم المعنى المقصود .

وأرجو من الله العلي القدير أن ينال بحثي المتواضع هذا الرضا والقبول وأكون قد وفقت لتقديم صورة عن الحياة الإجتماعية في بغداد وخراسان في العصر البويهي . وأتمنى أن يواصل الباحثون في هذا المجال .

وبعد أتقدم بالشكر إلى كل من أسهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة ليصبح رسالة علمية . وأخص بالشكر أستاذي د. نعمة عبد السلام التي أشرفت على بحثي هذا ومتابعتها لي بالنصح والإرشاد فلها مني عظيم الشكر والإمتنان .

والله ولي التوفيق .

الباحثة .

أهمية البحث :

لقد لفت نظر الباحثة أن الدراسات التي قام بها الباحثون للعصر البويهي انصبت على النواحي السياسية والإدارية والإقتصادية أما النواحي الإجتماعية فلم تحظ بالدراسة والبحث الكافيين مما حدا بالباحثة إلى اختيارها موضوعاً لبحثها حتى تكتمل جوانب دراسة العصر البويهي .

نطاق البحث :

يبدأ البحث في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وهذا القرن كان بداية الإحتلال والتدخل الأجنبي وكان نقطة تحول في تاريخ الخلافة العباسية .

القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، حدد نهايةً زمنيةً لهذا البحث.

صعوبات البحث :

اعترض الدراسة بعض المشاكل والصعوبات التي واجهت الباحثة تمثلت في ندرة المصادر والمراجع التي تطرقت لمثل هذا الموضوع إضافة إلى أن بعض المعلومات كانت مبعثرة في عدد من المصادر مما جعل الباحثة تبذل قصارى جهدها لتجمع هذه المعلومات وكان ذلك في غاية الصعوبة والتعقيد .

منهجية البحث :

اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي وجاءت الدراسة في أربعة فصول رئيسية ينقسم كل منها إلى مباحث تسبقها مقدمة تشتمل على تقويم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .

مكانة البحث من الدراسات السابقة :

أما بالنسبة لمكانة هذا البحث من الدراسات السابقة فلم تعثر الباحثة خلال بحثها على دراسة متكاملة للحياة الإجتماعية في خراسان وبغداد في تلك الفترة ، ولكنها وجدت دراسات تناولت جوانب مختلفة من الموضوع وقد استفادت من تلك الدراسات .

تقويم المصادر والمراجع

تطلب إعداد هذا البحث الرجوع إلى أصناف عدة من الكتب والمؤلفات ، فبالإضافة إلى كتب التاريخ ، هناك كتب في الجغرافيا والتراجم والطبقات ومع أن كل منها يعالج موضوعاً بعينه إلا أنها تعتبر مصادر مساعدة .

أما الإعتماد الرئيسي فقد كان على المصادر التاريخية والجغرافية منها :-

١/ كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم :

لعل أهم المصادر التي أفادت البحث كتاب تجارب الأم لأبي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بابن مسكويه المتوفي سنة (٤٢١هـ / ١٠٣٠م) وهو مؤرخ وأديب عاش في العراق في فترة البحث واشتغل بالكيمياء والمنطق والفلسفة فترة من الوقت ثم تولى الكتابة للأمير عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م) فأطلق عليه لقب الخازن وبعد ذلك أصبح كاتباً للأمير بهاء الدولة (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) .

إن معاصرة مسكويه لفترة البحث واستقراره في بغداد عاصمة الخلافة ومركز الأحداث هي التي مكنته من تقديم المعلومات القيمة الدقيقة التي تعكس أبعاد التسلط البويهي مما ساهم في بناء الهيكل العام للبحث .

٢/ كتاب الكامل في التاريخ :

لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيباني بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، وهو من العلماء البارزين في عدة علوم مثل الحساب ، الفقه الحديث وغيرها .

ويعتبر الكامل من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها البحث فهو مصدر تحرى مؤلفه الدقة ومعلومات ابن الأثير عن تاريخ الدولة العباسية في العصر البويهي موثقة ودقيقة ومن هنا جاء اعتماد البحث على معلوماته في تدقيق سني الوفيات للأعلام في مجالات السياسة والإدارة والعلوم والآداب ، وبذلك يكون الكتاب مصدراً لمعلومات متنوعة موزعة على فصول البحث .

٣/ كتاب تاريخ بغداد :

للحافظ أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) وهو أحد الحفاظ والمؤرخين المشهورين ويعد كتاب تاريخ بغداد (مدينة السلام) من أهم المصادر التاريخية التي أسهمت في بناء البحث حيث شمل كتابه هذا على التاريخ العلمي والثقافي لمدينة بغداد منذ تأسيسها وحتى وفاة المؤلف .

٤/ تاريخ الرسل والملوك :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ / ٩٢٣م) أورد أخباراً عن الفترة التي سبقت بني بويه .

٥/ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم :

لشمس الدين أبي عبد الله بن أحمد المقدس (ت ٣٩٠هـ ٩٩٩) وسمي بالمقدسي لأنه ولد في بيت المقدس وقد تنقل في الأقطار والأمصار وقد تطرق لكور خراسان كما تعرض لوصف بلاد الديلم وعاداتهم وتقاليدهم .

٦/ معجم البلدان :

لشهاب الدين عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) وقد أُسر وهو صغير وحمل إلى سوق بغداد حيث اشتراه عسكر بن إبراهيم وهو تاجر بغدادي فتنقل ياقوت من قطر إلى قطر وعمل تاجراً زار مرو ومكث بها عامين ووضع كتابه معجم البلدان وقد أعطى تفاصيل ذات قيمة تاريخية للمدن والمواقع .

٧/ مروج الذهب ومعادن الجوهر :

لأبي الحسن بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) وهو مواطن من بغداد أخذ عنه الكثير ممن جاء بعده من كتاب ومن هنا تبرز أهمية ما أورده من معلومات عن منطقتي البحث من حيث الأحوال السياسية والإجتماعية .

٨/ البداية والنهاية :

للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) وهو مفسر ومؤرخ كانت نشأته بدمشق وقد اتبع المؤلف في كتابه البداية والنهاية

أسلوب الطبري وابن الأثير في عرض الأحداث . إضافة إلى تركيزه على ذكر الوفيات للشخصيات الهامة في نهاية كل سنة مما ساعد على الإستفادة منه في معظم البحث .

وقد تمت الإستفادة من عدة مصادر قيمة منها تاريخ الخلفاء للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، أبي عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) وكتاب الفخري في الآداب السلطانية لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٧٩ه /١٣٧٧م) وغيرها من المصادر بالإضافة إلى العديد من المراجع القيمة لأنها اعتمدت فيما روته من أخبار على أوثق المصادر ثم لمكانة مؤلفيها القيمة في مجال بحوثهم وفي مقدمة هذه المراجع تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي للدكتور حسن إبراهيم حسن وتاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان وتاريخ الحضارة الإسلامية لآدم منز وغيرها .

كذلك هناك بعض الدوريات والمجلات التي استطاعت الباحثة أن تستقي منها بعض المعلومات والحقائق لإعداد هذا البحث لما لها من أهمية ، منها الموسوعة العربية الميسرة لمحمود محفوظ ، دائرة المعارف الإسلامية لبطرس البستاني وغيرها .

ب

ب

بسم الله الرحمن الرحيم

خلفية تاريخية وجغرافية لبغداد وخراسان

المبحث الأول :

بغداد وخراسان الموقع والنشأة

أولاً : بغداد :

تقع مدينة بغداد بالعراق[*] بين تركيا[*] وآسيا بين خطي عرض ٣٣/٣٠ ْ شمالاً وخطي الطول ٢٥/ ٤٤ ْ شرقاً على بعد ١,٦٠٠ كلم من الأستانة [١] إلى الجنوب الشرقي و ٥٠ ميلاً من مصب شط العرب .[٢]

اختلف المؤرخون حول معنى كلمة بغداد فذكر ياقوت الحموي [٣]أن بغداد كانت من قبل سوقاً يقصده تجار أهل الصين بتجارتهم فيربحون الربح الواسع وكان ملكهم أسمه (بغ) فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا (بغ داد) أي أن هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك .

أما لسترانج [٤] فيقول إن اشتقاق الإسم جاء من الكلمتين الفارسيتين القديمتين " بغ " أي الله ، و " داد " أي تأسست أو تأسيس " فمعنى كلمة بغداد تكون أسسها الله ، وقد أطلقت على بغداد عدة أسماء منها مدينة السلام والسلام

(*) العراق : تقع العراق في جنوب غرب آسيا بين خطي عرض ٢٩ْ-٣٧ ْ شمالاً وبين خطي الطول ٣٩ ْ- ٤٨ْ شرقاً وهو بذلك يمثل ار ركن الشمالي الشرقي في الوطن العربي تحده تركيا من الشمال وإيران من الشرق والأردن من الغرب وسوريا من الجهة الشمالية الغربية والسعودية من الجهة الجنوبية ز الموسوعة العربية الميسرة ن ج٤ ن ص ١٤٥ .

(*) تركيا : تقع في جنوب شرق اوربا وجنوب غرب آسياحيث توجد أجزاء منها في القارة الأوربية وأجزاء أخرى في آسيا بين خطي عرض ٣٦ْ - ٤٢ْ شمالاً وخطي طول ٢٦ْ-٤٤ ْ شرقاً تشترك في حدودها من جهة اوربا مع كل من بلغاريا اليونان تجاور في آسيا كل من سوريا والعرق وإيران والإتحاد السوفيتي . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، ص ٢

(١) **الاستانة أو استانبول : مدينة شمال غرب تركيا تقع على ضفتي البسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة فتحها العثمانيون بقيادة محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م وظلت عاصمة للأمبراطورية العثمانية حتى عام ١٩٢٢م ، وتزخر استانبول بالعمائر الإسلامية من مساجد ومدارس وأضرحة ومن أهمها المسجد السليماني وقد شيد في عهد السلطان سليمان القانوني سنة (١٥٥٠ – ١٥٧٧م) محمود محمد محفوظ ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار الجبل ، القاهرة ١٩٦٥م ، الطبعة الثانية ، المجلد الأول ، ص ٢٠١ .**

(٢) **بطرس البستاني : دائرة المعارف الإسلامية ، (بيروت ١٨٨٧م) ج٨ ، ص ٢٣٣ .**

(٣) **ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي : معجم البلدان ، (بيروت ١٩٥٤م) ج ٥ ، ص ٣٩٩ .**

(٤) **كي لسترانج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ، (بغداد ١٩٤٩م) ، الطبعة الأولى ، ص ١٥٢ .**

أحد أسماء الله الحسنى ، والزوراء لأن المنصور [٥] عندما عمرها جعل الأبواب الداخلية مزوّرة عن الأبواب الخارجية . وسميت أيضاً المدورة نسبة لاستدارة تخطيطها ومدينة المنصور نسبة إلى اسم مؤسسها الحقيقي أبي جعفر المنصور .

بعد قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م أخذ العباسيون يبحثون عن عاصمة جديدة يطمئنون فيها إلى ولاء سكانها فاختاروا مكاناً قرب مدينة الكوفة سموها هاشمية الكوفة ثم انتقلوا إلى شمال الأنبار [٦] وبنوا بجوارها مدينة سموها هاشمية الأنبار إلا أن هذه لم ترق للعباسيين ، ولهذا فكر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في عاصمة جديدة لحكمه وقد اختلف المؤرخون في تحديد العوامل التي دفعت بالخليفة المنصور لإقامة بغداد لتكون حاضرة للدولة العباسية ونستطيع أن نذكر هذه العوامل التي عرضها المؤرخون في ثلاثة أسباب أولها البحث عن عاصمة تليق بدولتهم الجديدة وتكون مركزاً للحضارة الإسلامية وثاني هذه العوامل كراهية الخليفة المنصور الإقامة على مقربة من الكوفة مركز شيعة العلويين الذين بدأوا يقفون من الدولة العباسية موقفاً عدائياً . أما العامل الثالث فهو كراهية المنصور الإقامة في الهاشمية بعد قيام حركة خطيرة هي حركة الراوندية [٧]، وقد وضع المنصور شروطاً يجب توافرها في المكان الذي سيختاره لإقامة عاصمته منها أن تكون في مكان يتوسط بلاد العراق ، وفي منطقة تتوفر فيها وسائل الحياة وضروريات المعيشة لعدد كبير من السكان فتتوفر المياه العذبة الصالحة للشرب فتكون المدينة على ضفة نهر كبير وفي منطقة خصبة تجود أراضيها بالمحصولات الزراعية الوفيرة التي تكفل حاجة الأهالي ، كما تكون سهلة المواصلات فيمكن

---

(٥) المنصور : هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ولد سنة ١٠١هـ / ٧١٩م . ولي العهد سنة ١٣٦هـ ٧٥٥م ، توفي سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م ، الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، (مصر ١٩٦٢م) ، ج٦ ، ص ١٧٥ .

(٦) الأنبار : مدينة تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات غربي بغداد ، ياقوت ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٢٩٣ .

(٧) الراوندية : قوم من أهل خراسان سموا بالراوندية نسبة إلى مدينة راوند القريبة من أصبهان التي كانت مهد دعوتهم وقد ظهر رجل أبرص في عهد المنصور يدعى " الابلق " وأسس جماعة الراوندية ونادى بمبادئ غريبة على الإسلام وكان يقول بتناسخ الأرواح . زعم الراوندية أن الأئمة العلويين آلهة وحاولوا استمالة المنصور إليهم واعتبروا إنه هو الله . حاربهم المنصور وقتل منهم عدداً كبيراً وسجن منهم الكثير . كي لسترانج ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

استيراد ما ينقص الأهالي من أنواع التجارة من سائر الأمصار . كما يتيسر للخليفة الإتصال بجميع أقطار الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً . وحرص المنصور أن يكون المكان المنشود متميزاً بالمناخ الصحي الملائم صيفاً وشتاءاً وأن تكون المنطقة محصنة منيعة تحقق استراتيجية دفاع محكم يقيها شر الأعداء والخارجين وفتن أعداء الدولة الداخلية .(٨)

وهكذا بعث المنصور بعدد من رجاله يرتادون له أماكن كثيرة تحقق له أهدافه وعاد بعض الرواد يبشرون المنصور بعثورهم على ما كان ينشده ويطمح إليه . فقد عثروا على موضع بالقرب من " بارما " الواقعة جنوبي الموصل . خرج المنصور وارتاد ذلك الموضع وتأكد أنه توصل إلى المكان المأمول .(٩)

استغرق بناء المدينة أربعة أعوام من ١٤٥ – ١٤٩ هـ / ٧٦٢ – ٧٦٦م وقد أحضر لها المنصور المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والمساحة والصناع من عدة مناطق كالشام والموصل وغيرها .

رأى المنصور أن يكون شكل مدينته دائرياً ويكون قصره والجامع مركزاً لهذه الدائرة حتى لا يكون أحد أقرب إليه من الآخر . قام المنصور ببناء سورين لمدينة بغداد ، سور داخلي وسور خارجي ويحيط بالسور خندق ماء عميق . (١٠)

أنشأ المنصور في السور الخارجي أربعة أبواب ، باب الكوفة ويقع في الجنوب الغربي ، وباب البصرة ويقع في الجنوب الشرقي ، وباب خراسان ويقع في الشمال الشرقي ، وباب الشام ويقع في الشمال الغربي . وجعل المنصور على السور أبراجاً سمك كل منها خمسة أذرع وبنيت عليه شرافات .(١١)

شيد المنصور قبة عالية ارتفاعها ثمانين زراعاً يجلس فيها ليرى القادمين من بلاد خراسان والشام ومن البصرة والكوفة سماها القبة الخضراء (١٢)

---

(٨) الطبري : مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٩) نفس المصدر ، ج٦ ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(١٠) الخطيب البغدادي ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ، تاريخ بغداد ، (القاهرة ١٣٤٩هـ ، ١٩٣١م) ، ج٣ ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(١١) الشرافات : حلي توضع في أعلى البناء على شكل عرائس و نحوها . ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم ، لسان العرب (دار صادر ، بيروت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ، ج٦ ، ص ٢٩٣ .

(١٢) نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٧٦ .

تجلت عظمة بغداد في عهد المنصور في مساجدها وقصورها ويعتبر جامع المنصور أول مسجد شيد في أرض بغداد وقد جعله مجاوراً لقصره المعروف بقصر الذهب وقد بناه باللبن والطين وكانت أعمدته من الخشب فقام السقف على أساطين من الخشب .[١٣]

أصبح قصر الذهب المقر الرسمي للمنصور وللخلفاء الذين تولوا الحكم من بعده ومن القصور التي شيدها المنصور قصر الخلد الذي بناه في سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م على ضفة نهر دجلة الغربية خارج سور المدينة ومقابل باب خراسان وقد قام الأمراء ورجالات الدولة ببناء قصورهم في كل جهة من الجهات الأربع المحيطة بقصر المنصور . كذلك شيدت دواوين الحكومة المختلفة مثل بيت المال ، ديوان الرسائل ، ديوان الخراج ، ديوان الجند ، خزائن السلاح . [١٤]

أما دور العامة فكانت تجتمع عند بعضها في مراكز الأحياء المكتظة بالسكان ، وليس حولها أسوار وحدائق إنما تطل نوافذها على الشوارع بحيث إذا ارتفع المار على حجر تيسر له أن ينظر من بداخل البيت .[١٥]

اتسعت بغداد اتساعاً عظيماً وقامت حولها ضاحيتان متسعتان سرعان ما تحولتا إلى مدينتين ، وهما الرصافة [١٦] في الجهة الشرقية في نهر دجلة المقابلة لمدينة بغداد والكرخ التي شيدها المنصور في جنوبي بغداد .[١٧]

أما الرصافة فقد كان المهدي بن المنصور وولي عهده السبب في ظهور فكرة بناؤها وبدأ المنصور في إقامتها ولم يتم بناؤها إلا في خلافة المهدي[١٨] حيث عمل

---

(١٣) ابن طباطبا ، ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، القاهرة ١٣١٧هـ ، ج٢، ص ٧٠ .

(١٤) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٧٧ .

(١٥) نفس المصدر ، ج٣، ص ٧٨ .

(١٦) الرصافة : سميت الرصافة بذلك نسبة إلى مرتفع هناك يؤلف الطرق التي تمر في الأرض المغطاة بالماء التي تكونت من تجمع مياه الأنهار الصغيرة التي كانت تلتقي بنهر دجلة ، لسترانج ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ ، وقيل رصافة وهي على وزن فعالة باللغة العربية وتدل على البقية من الشيء الكثير وهي إما رصف الحجارة وإما بمعنى المنبت والمغرس ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٢٩٣ .

(١٧) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٨٣ .

(١٨) المهدي : هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباس ولد سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م ، بويع بالخلافة في سنة ١٥٨ – ١٩٦ هـ / ٧٧٤ – ٧٨٥م ، ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج٣، ص ٢٥٣ .

لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً وأجرى لـه المـاء فكان يجري من نـهر المهدي إلـى الرصـافة ، أول مـا اخـتط المهـدي مـن أبنيـة الجـامع الـذي عـرف بعـد ذلـك بجـامع المهدي وإلى جانبه قصره الذي عرف بعد ذلك بقصر الرصافة وقصر المهدي وبدأ البناء في سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م وأكمل في سنة ١٥٤هـ ٧٧١م .[١٩]

أمـا الكرخ فقد أمر المنصور ببنائها فـي سنة ١٥٧هـ ٧٧٣م وأن تنقل إليها أسواق بغداد . أقطع المنصور أرباب الحظوة في البلاد الجانب الأكبر من الأراضـي المحيطة بها . تطورت الكرخ تطوراً سريعاً حتى فاقت المدينة المدورة أهميةً وصـارت الكرخ على مر السنين حي التجار وقلب بغداد النـابض ومركز النشاط الإقتصـادي وأقام المنصور في الكرخ أسواقاً تستوعب أسواق بغداد . [٢٠]

اشـتهرت بغـداد فـي عصـر المنصـور بالرخـاء الاقتصـادي ، وأصـبحت مركـزاً للتجارة العالمية . وكان الفرات ودجلة طريقين تجاريين عظيمين . فقد حفر المنصور عند بنائه بغداد قناة للملاحة تبدأ عند نهر الفرات وتخترق أراضـي العراق حتى بغداد وقد ربطـت هذه القنـاة بغداد بآسـيا الصـغرى والشـام والجزيـرة العربيـة ومصـر بطريـق مائي إلى جانب طرق القوافل العديدة التي كانت تربط بغداد بالأطراف الشرقية للدولة العباسية .

ولما ولـي الرشيد[٢١] الخلافة سنة ١٧٠- ١٩٣هـ / ٧٨٦- ٨٠٨م بنـى فيها الأبنية الجليلة فقام بإعادة بناء المسجد بالآجر والجص وعمر الجانب الشرقي وزهت بغداد في أيامه وكثر أهلها وبلغت قمة التقدم الحضاري والفكري .[٢٢]

---

(١٩) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٨١ .

(٢٠) نفس المصدر ، ج٣، ص ٨٢ .

(٢١) الرشيد : هو هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور أمه الخيزران ولد بمدينة الري سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م ، أبو الفداء ، عماد الدين أبو الفداء بن نور الدين ، المختصر في أخبار البشر ، (بيروت ١٨٤٠م) ، ج١، ص ١٩٣ .

(٢٢) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٣٣ .

وفي سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م تعرضت بغداد للحصار من قبل طاهر[٢٣] ابن الحسين وهرثمة بن أعين [٢٤] فتعرضت للدمار والخراب فكثر بها الهدم فدرست المنازل وأحرقت الدور وقتل خلقٌ كثيرٌ من الناس وكان ذلك بسبب عزل الأمين[٢٥] وتولية المأمون . [٢٦]

وفي سنة ٢٢١هـ/٨٣٦ م انتقل المعتصم[٢٧] من بغداد إلى سامراء لأن بغداد ضاقت على عسكره الأتراك الذين اشتهروا بالقسوة والخشونة .[٢٨]

وفي سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م انتقل منها المتوكل [٢٩] إلى مدينة بغداد وعزم على المقام بها لكن لم تطل أيامه بها فرجع إلى سامراء .

وفي سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م حُصرت بغداد وكان بها الخليفة المستعين[٣٠] ووقعت الحرب بينه وبين المعتز [٣١] في سامراء فخلع المستعين نفسه في سنة

---

(٢٣) طاهر بن الحسين ، ينتسب الطاهريون إليه ، ولد طاهر بقرية بوشيخ سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م بقرية بوشنج من أعمال مرو وكان من كبار القواد حكمة وشجاعة وقد وطد الحكم للمأمون العباسي. قاد طاهر الكتائب لحرب الأمين فظفر يه وقاد الخلافة للمأمون فعينه المأمون قائداً لشرطة بغداد وفي سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م عينه المأمون حاكماً لخرسان فساسها بحزم زشدة إلى أم توفي توفي سنة ٢٠٧هـ ٨٢٢م وخلفه في الحكم ابنه طلحة إلى أن توفي سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م ، وبعد وفاته استعمل المأمون أخاه عبد الله وبذلك اكتسبت الأسرة الطاهرية صفة الوراثه . ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، (مصر ١٩١٤م) ج٣ ، ص ١٥٥ .

(٢٤) هرثمة بن أعين : أحد قواد الرشيد الشجعان أرسله إلى خراسان وأمره بالقبض على علي بن عيسى وأهل بيته فقيض عليه وحمله وأهله وأمواله إلى بغداد .واه الرشيد ولاية خراسان وأمره بمحاربة رافع بن الليث بن نصر بن سيار الذي استفحل أمره هناك وقتل عامل الرسيد سليمان بن حميد. قتل هرثمة في عهد الخليفة المأمون بإيعاز من الفضل بن سهل فسجنه الفضل وأرسل له من قتله في سجنه ، ابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية (مكتبة الصفا القاهرة ١٤٢٣هـ) ، ج١١ ، ص ٦١ .

(٢٥) الأمين : محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ولد سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م بويع بالخلافة سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

(٢٦) المأمون : هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد أمه أم ولد اسمها مراجل ولد سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦ م ، بويع بالخلافة سنة ١٩٠هـ / ٨١٣ م ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢، ص ٥٢ .

(٢٧) المعتصم : أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ولد سنة ١٧٩هـ ٧٩٥م تولى الخلافة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٤م ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٤٣ .

(٢٨) مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٢٢٤ .

(٢٩) المتوكل : جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م تولى الخلافة سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٧م ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢، ص ١٣٣ .

(٣٠) المستعين : أحمد بن المعتصم بن هارون الرشيد ولد سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م ، بويع بالخلافة سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م . ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢، ص ٢٣٠ .

(٣١) المعتز : أبو عبد الله محمد بن المتوكل على الله بن المعتصم ولد سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥ م بويع بالخلافة سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦ م ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٢٢٣ .

٢٥٣هـ / ٨٦٧ م وخطب للمعتز وحدثت فتنة كبرى في عهده أحرقت فيها الحوانيت وكثر الخراب ببغداد .

وفي سنة ٣٢٦هـ / ٩٩٧ م استولى على بغداد بجكم [٣٢] وقلده الخليفة الراضي [٣٣] منصب إمرة الأمراء .[٣٤]

وهكذا بعد أن كانت مدينة بغداد مزدهرة يقصدها الناس من كل حدب وصوب تعرضت في فترة أمرة الأمراء إلى الدمار والخراب الذي لازمها حتى دخلها البويهيون في عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م .

ثانياً : خراسان

تقع خراسان في أقصى الشمال الشرقي في الدولة الإسلامية يحدها شرقاً سجستان والهند وفي الغرب صحراء الغز وجرجان ، وفي الشمال بلاد ما وراء النهر وجزء من تركستان وفي الجنوب الغربي صحراء فارس وقومس .[٣٥]

تشمل خراسان أراضي منخفضة يقل ارتفاعها عن ١٠٠م وهي المنطقة التي تخضع اليوم للسيطرة الروسية وتعرف باسم بلد التركمان كما تشمل السفوح الجبلية المشرفة على هذه الأراضي .[٣٦]

---

(٣٢) بجكم : تركي يلقب أحياناً بالماكاني أو الديلمي نسبة إلى ماكان بن كالي الديلمي ثم تلقب بالرائقي نسبة إلى ابن رائق وعندما صار أميراً للأمراء اقتصر على الكنية دون اللقب .كان في بداية أمره مملوكاً لأبي العارض وزير ماكان فطلبه ماكان من أبي العارض فأهداه إليه . فارق بجكم ماكان والتحق بمرداويج – قلده ابن رائق الشرطة بمدينة السلام في سنة ٢٥٥هـ /٩٣٦ م ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٤٥ .

(٣٣) الراضي : أبو العباس أحمد الراضي بن المقتدر بن أبي أحمد الموفق ولد سنة ٢٩٧هـ / ٩١١ م – تولى الخلافة سنة ٣٣٢ – ٣٢٩هـ / ٩٣٣ – ٩٤٠ م ، ابن الأثير ، علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، (بيروت ١٩٦٥م) ، ج ٨ ، ص ٢٧٥ .

(٣٤) إمرة الأمراء : لقب الأمير يعني من الناحية اللغوية ذو الأمر والتسلط ولقب أمير من الألقاب الفخرية وقد استخدم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فاسم لوظيفة قصد به الولاية الخاصة كالولاية على الحكم أو رئاسة الجيش كما استعمل كلقب فخري لأولياء العهد وكما ظل لقب أمير مستخدماً في العصر العباسي لولاة الأمصار كما استخدمه بعض ولاة الدويلات التي استقلت عن الخلافة ا لعباسية مثل البويهين ، السامانيين . ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٩١ .

الأمراء : بهذا الاسم كان يسمى ابناء بيت الخلافة إلا كافوراً بمصر فإنه امتنع عن التسمي بالإمارة ورأى تواضعاً أن يجري على رسمه في المخاطبة بالأستاذية وكان لقب الأستاذية في المشرق لقباً للوزراء . فكان ابن العميد يلقب بذلك ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢١٩ .

(٣٥) المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ١٣٢٦هـ / ١٩٠٦م) ، ص ١٧٣.

(٣٦) اليعقوبي : أحمد بن يعقوب ، معجم البلدان ، (دار صادر ، بيروت ١٩٦٠م) ، ص ٦٩ .

وخراسان كانت تطلق على الإقليم الواسع الذي ينقسم إلى أربعة أرباع ربع عاصمته مرو وربع عاصمته نيسابور وثالث عاصمته هراة وربع عاصمته بلخ ، ومن أشهر مدن خراسان نيسابور وبوشنج ، بست ، سجستان ، هراة طوس سرخس .(٣٧)

لعل هذه الطبيعة هي التي جعلت السكان يطلقون هذا الاسم (خراسان) على هذه المنطقة إذ يرون الشمس وكأنها بزغت فيها وهم على مرتفعات إيران الشرقية ، فالشمس في الفارسية (خر) وتعني آسان " أصل الشيء " ومكانه وعلى هذا تعني خراسان " مطلع الشمس " .(٣٨)

وهناك رواية تقول أن خراسان هو ابن سام بن نوح وقد خرج من بابل مع أخيه هيطل وخرج كل منهما في البلد المنسوب إليه فأقام خراسان في هذه المنطقة فعرفت باسمه وحل هيطل في بلاد ما وراء النهر فسميت ببلاد الهياطلة .(٣٩)منطقة خراسان منطقة قليلة الأمطار لبعدها عن البحار وإحاطة المرتفعات بها . عاش في هذه المنطقة الشبه صحراوية قبائل فرضت عليها الطبيعة الارتحال وأجبرها الكلأ على الانتقال ويعود معظم هذه القبائل إلى أصل فارسي .(٤٠)

خراسان والإسلام :

بعد معركة نهاوند (٤١)عام ٢١هـ / ٦٤٣ م والتي كانت معركةً حاسمةً انتصر فيها المسلمون على الفرس انتصاراً عظيماً حيث أطلق عليها المسلمون فتح الفتوح (٤٢) قرر عمر بن (٤٣) الخطاب رضي الله عنه التوجه نحو بلاد فارس كلها فعقد الألوية

---

(٣٧) ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ، صورة الأرض ، (بيروت ١٩٦٢م) ، ص ٣٥٨ .

(٣٨) نفس المصدر ، ص ٣٦٠ .

(٣٩) نفس المصدر ، ص٣٦١ .

(٤٠) الاصطخري . أبو اسحاق بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق د. محمد جابر عبد العال ، (القاهرة ١٩٤٩م) ، ص ١٩١ .

(٤١) نهاوند : مدينة عظيمة تقع بين حلوان وهمذان على ثلاثين فرسخاً إلى الشرق من حلوان وعشرة فراسخ غرب همذان بها مزارع وبساتين وفي وسطها حصن منيع قوي الجدران . ياقوت ، مصدر سابق ، ج٣ ، ٣٤١ .

(٤٢) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٨م) ، ص ١٣٢ .

(٤٣) عمر بن الخطاب : ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن فرط يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي وكنيته ابو حفص ولقبه الفاروق ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ثاني الخلفاء الراشدين تولى الخلافة سنة ١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٤م اسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة اشتهر بالشجاعة والعدل قتله أبو لؤلؤة المجوسي بعد طعنه . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ١٤٤ .

لسبعة من القادة المسلمين إلى تلك البلاد عهد إليهم فتح أراضي تلك المنطقة ومن هؤلاء القادة الأحنف بن قيس [٤٤] الذي سار إلى خراسان فدخلها وكتب العهود مع أهلها .[٤٥]

بعد وفاة سيدنا عمر بن الخطاب ، نقض أهل خراسان العهود التي كتبوها مع المسلمين فأرسل سيدنا عثمان[٤٦] (٢٣ –٣٥هـ / ٦٤٦ – ٦٥٦م) قائده عبد الله بن عامر فأعاد فتح خراسان في عام ٢٩هـ – ٦٤٩م .[٤٧]

تعاقب الولاة على خراسان واستمرت الأوضاع كما هي عليه حتى مجيء مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية (١٢٧ – ١٣٢هـ / ٧٤٤م –٧٤٩م) والذي انشغل بالثورات في الشام والعراق ولم يهتم بما يجري في خراسان وهناك نشطت الدعوة العباسية بقيادة أبي مسلم الخرساني [٤٨] الذي تمكن من احتلال مرو عاصمة خراسان وطرد الأمويين منها .[٤٩]

في القرن الثالث اشتركت خراسان في الحركات الاستقلالية التي عمت العالم الإسلامي بقيام عدد من الدويلات المستقلة . وسنرى لاحقاً تأثير هذه الدويلات على النواحي الإجتماعية في تلك المنطقة .

---

(٤٤) الأحنف بن قيس التميمي : أبوه حجر بن عيسى بن معاوية بن معين بن عبادة أمه صية بنت عمرو بن فرط الباهلية سمي الأحنف لأنه ولد أحنف الرجل وكان أعور كان من الفقهاء البارزين في أيام معاوية بن أبي سفيان كان فصيحاً بليغاً توفي سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م بمدينة الكوفة عن سبعين سنة ، الزركلي ، خير الدين الزركلي ، الأعلام (دار القلم بيروت ١٩٥٤م) ج٢ ، ص ١٩٣٤ .

(٤٥) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص ٢٥٥ .

(٤٦) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب . ولد في السنة السادسة من عام الفيل – ثالث الخلفاء الراشدين أول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة . أمر بالآذان الأول يوم الجمعة . هاجر هجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية للمدينة ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٣٢٤ .

(٤٧) البلاذري ، مصدر سابق ، ص ٤٢٤ .

(٤٨) ابو مسلم الخرساني : هو عبد الرحمن بن سالم ولد باصبهان سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م وكان أبوه أولى به إلى عيسى بن موسى فحمله إلى الكوفة وعمره سبع سنين ثم جمع بينه وبين إبراهيم الإمام فأقام معه حتى بلغ رشده ثم قال له إبراهيم غير اسمك وكنيتك وكان يسمى أبا أسحاق فسمي عبد الرحمن وتكنى بأبي مسلم . أقره الخليفة العباسي السفاح على خراسان وعندما رأى الخليفة المنصور قوته وباسه ولخلافات بينهم قام بقتله وكان عمره ثلاث وثلاثون عاماً ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٣٣ .

(٤٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٥٣ .

المبحث الثاني :

التعريف ببلاد الديلم :

تقع بلاد الديلم في الطرف الجنوبي الغربي لبحر الخزر [٥٠] يحدها من الشرق طبرستان وفي جهة الغرب اذريجان وبلاد الران .[٥١]

وتتكون هذه البلاد من قسمين الأول السهل ويسكنه الجيل وهم سكان جيلان وكانوا منتشرين على ساحل بحر الخزر[٥٢] والثاني الجبال ويسكنها الديلم ، وهي جبال منيعة مزدانة بالأشجار العالية والخضرة والمياه وتمتاز بخصوبة تربتها . وكان لكل جبل منها رئيس يستقر في موضع معين . وقد ظل أصحاب هذه الجبال يتوارثونها منذ أيام الأكاسرة .[٥٣]

أما من الناحية الإدارية فتتكون بلادهم :

أولاً قومس : وتقع جنوب جبال طبرستان[٥٤] وهي طول ثمانين فرسخاً وعرض سبعين فرسخاً [٥٥] ومن أهم كورها :[٥٦]

الدامغان : وتقع بين الري ونيسابور وعليها حصن بثلاثة أبواب وبها جامع .

سمنان : وتبعد عن الدامغان مرحلة[٥٧] واحدة وهي كثيرة الأنهار والبساتين .[٥٨]

بسطام : وهي بلدة كبيرة تقع على الطريق المؤدي إلى نيسابور .

بيار : تقع على مسافة خمسين ميلاً جنوب شرق بسطام وفيها حصن وأسواق

---

(٥٠) بحر الخزر : يقع في منطقة فارس شرقه طبرستان وجرجان وغربه آران وجنوبه الجبل والديلم ، القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، (دار صادر ، بيروت١٩٦٠م) ، ص ٩٦٩ .

(٥١) بلاد الران : تقع في غرب أرمينية ، القزويني ، مصدر سابق ، ص ٩٧٠ .

(٥٢) ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٢٤٥ .

(٥٣) الأكاسرة : كِسرى وكَسرى بفتح الكاف وكسرها اسم ملك الفرس ، ويعني بالفارسية خسرو أي واسع الملك – فعربته العرب وقالت كسرى والجمع أكاسرة ومن أشهر ملوك الأكاسرة كسرى أنوشروان الذي حكم سنة ٣٥١ – ٣٧٩م ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٦٥ .

(٥٤) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٥٣ .

(٥٥) الفرسخ : يعادل ثلاثة أميال ، المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٦٦ .

(٥٦) الكورة : هي كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٣٤٥ .

(٥٧) المرحلة : تساوي سير إثني عشر ساعة على الأقدام ويقال بين مدينة كذا وكذا ثلاثة مراحل أي ٣ × ١٢ = ٣٦ ساعة . المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٥٥ .

(٥٨) الاصطخري ، مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

عامرةٌ ومزارعها حفية ويكثر في بساتينها الكروم ولها ضياع ورساتيق .(٥٩)

ثانياً : طبرستان :

تقع على بحر الخذر ، يحدها من الشرق جرجان وقومس ومن الغرب الديلم ومن الجنوب الري وقومس وهي بلد كثيرة الثمار والأشجار وأبنيتها من الخشب والقصب وهي كثيرة الأمطار شتاءاً وصيفاً ومن أهم كورها :

آمل : وتقع على بحر الخذر وقد ظلت عاصمة طبرستان حتى تولاها عبد الله بن طاهر وطاهر بن عبد الله من بعده فنقلوا العاصمة إلى سارية بها بيمارستان وجامعان وسوق .(٦٠)

سارية : تقع شرق مدينة آمل ولها حصن وحولها خندق كذلك من كورها الرديان وسالوس وكلار وغيرها .(٦١)

ثالثاً : جرجان :

تقع في جنوب شرق بحر الخذر ويحدها جنوباً إقليم خراسان وشرقاً إقليم خوارزم وغرباً بحر الخذر وإقليم طبرستان .(٦٢)

من أهم كورها :

استراباد : على بعد تسعة وثلاثين فرسخاً من آمل وتقع بالقرب من حدود طبرستان وبها مسجد .(٦٣)

ابسكون : بلدة على الشاطئ الجنوبي لبحر الخذر وهي على مسيرة ثلاثة أيام من جرجان وهي من أهم موانئ بحر الخذر .(٦٤)

دهستان : بلدة كبيرة تبعد عن جرجان أربع مراحل بها مسجد وحصن ومنازلها من الخشب .(٦٥)

رابعاً : جيلان :

تقع في الجنوب الغربي لبحر الخذر ومن أهم كورها :

دولاب : وتبعد عن سالوس أحدى عشرة مرحلةً بناؤها من الجص والحجر وبها سوق وجامع كذلك مدينة كهن روز وهي على بعد ثلاث مراحل من دولاب وبناؤها من الحجر .(٦٦)

---

(٥٩) الرساتيق: الرستاق كلمة فارسية ومعناها موضع به مزارع وقرى ولم يكن لفظ رستاق يطلق على المدن الكبرى –كالبصرة ، بغداد إنما يجوز إطلاقه على نواحي المدن الصغيرة . ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣٧ – ٣٨

(٦٠) ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، ج٣ ، ص ١٤ .

(٦١) الاصطخري ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٦٢) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص ٣٢٣ .

(٦٣) نفس المصدر ، ص ٣٥٨ .

(٦٤) نفس المصدر ، ص ٣٢٦ .

(٦٥) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٦٢ .

(٦٦) نفس المصدر : ص ٣٦٣ .

انتشار الإسلام في بلاد الديلم :

كان الديلم يدينون بالمجوسية وكانوا قد تصدوا للدولة الإسلامية ولحركات الفتوح الإسلامية ورفضوا الإسلام واكتفوا بدفع الجزية .[٦٧]

استمر الديلم على وثنيتهم إلى أن ظهر ببلادهم يحيى بن عبد الله العلوي[٦٨] وذلك في سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م بعد فراره من الحجاز ، بعد معركة فخ ، فاتجه إلى بلاد اليمن أولاً ولما كانت اليمن تابعة للعباسيين خشي من القبض عليه لذا تركها هارباً إلى الحبشة ومنها توجه إلى بلاد تركستان فرحب به ملكها خاقان وأكرمه واسلم على يده .[٦٩]

أقام يحيى ببلاد التركستان فترة قصيرة وفي عهد الخليفة العباسي الرشيد أعلن دعوته هناك فنصحه ملك الترك ألا يجهر بدعوته فأبى نصحه وترك بلاده وتوجه إلى خراسان ومنها إلى بلاد الديلم . وقد استطاع الرشيد بدهائه وبفضل أتباعه أن يقضي على هذه الحركة سياسياً وليس فكرياً حيث تمكن من خداع يحيى بعهد مكتوب استقدمه به إلى بغداد فأنهى دوره .[٧٠]

وفي عهد الخليفة المستعين بالله كان ظهور الحسن بن زيد الذي كان منتظماً في حركة يحيى بن عمر[٧١] وبقي فيها فترة حتى انتقل إلى طبرستان وأسس فيها الدولة الزيدية مستقلاً بعدها عن مركز الخلافة ، وارتباك الأوضاع

---

(٦٧) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١١ ، ص ٦ .

(٦٨) يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب أرسل له الرشيد وزيره الفضل بن يحي البرمكي فقبض عليه وأعاده إلى الرشيد الذي حبسه في سرداب إلى أن توفي داخل سردابه . ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص ١٥٧ .

(٦٩) نفس المصدر ، ج١١ ، ص ٤٥ .

(٧٠) النويري ، أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة ، ١٣٣٢هـ ١٩١٤م) ، ج٣ ، ص ٦ .

(٧١) يحيى بن عمر بن يحي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المكنى بأبي الحسن ، قام بدعوته في الكوفة سنة ٢٥٠هـ – ٨٦٣م واستطاع أن يتغلب على عاملها وأخرجه منها ثم ركز حكمه فيها ، أرسل له الخليفة المستعين عدداً من القواد لمحاربته فهزمهم إلى أن تمكن القائد الحسين بن إسماعيل من قتله وذبحه وأرسل رأسه إلى سامراء فنصب الرأس فيها ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص ٣١٦ .

السياسية فيها لقساوة عمال العباسيين وتعسفهم مع الأهالي(٧٢) فانضم الأهالي وغيرهم من الناقمين على العباسيين وانضم إليه الديلم أيضاً فكون منهم جيشاً استطاع أن ينتصر على جيوش الدولة العباسية وسيطر على طبرستان وظلت تحت سيطرته إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٤م .(٧٣)

تولى بعده أخوه محمد بن زيد الذي اضطربت الأمور في عهده حتى توفي سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م . وكان ذلك يعني بالنسبة للديلم في هذه المرحلة الإرتباط بحركة الحسن بن زيد الثورية وكان تأثير هذه الحركة أبعد في نشر الإسلام بصبغته الشيعية في هذه المنطقة .(٧٤)

بعد وفاة الحسن بن زيد وأخيه جاء داعية آخر هو الحسن بن علي الملقب بالأطروش .(٧٥)

أقام الأطروش بين قبائل الديلم ثلاثة عشر عاماً يدعوهم إلى الإسلام فأسلم عددٌ كبيرٌ منهم ولم يبق إلا القليل . وقد عمر الحسن بن علي الأطروش بلاد الديلم ببناء المساجد كما تمكن من تأمين الديلم ضد أعدائهم المجاورين .(٧٦)

لم يزل الأطروش يتنقل من مكان إلى آخر والناس يعتنقون الإسلام على يديه إلى أن استوعب معظم بلاد الديلم .

يتضح من هذا العرض البسيط أن الإسلام غزا بلاد الديلم غزواً يمكن وصفه بأنه كان سلمياًُ عن طريق الدعوة الزيدية، ومن ثم فقد كان الديالمة مسلمين على المذهب الشيعي وصاروا يدافعون عن المبادئ الشيعية بصفة عامة والزيدية بصفة خاصة .

---

(٧٢) ابن الأثير ، مصدر سابق، ج٧ ، ص ٩٠ .

(٧٣) نفس المصدر ، ج٨ ، ص ٤٢ .

(٧٤) نفس المصدر ، ج٩ ، ص ١١٢ .

(٧٥) الأطروش : هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد بالمدينة سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م من جارية خراسانية كان يلقبه الزيدية وأهل الدين بالإمام الناصر سجنه محمد بن عبد الله الخجستاني عامل نيسابور ونكل به حتى أذى سمعه فلقب بالأطروش توفي سنة ٣٠٤هـ / ٩١٧م بمدينة آمل ، بطرس البستاني ، ج٣ ص ٢٤ – ٢٥ .

(٧٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٣٠١ .

التعريف بالبويهين :

البويهيون من الديلم وقد اختلف الباحثون وأصحاب السير في نسبهم، فمنهم من يقول إنهم من سلالة الملك الساساني بهرام جور بن يزدجرد [(٧٧)]ويرى بعضهم أن نسبهم لا يرجع لبهرام جور ولكنه يرجع إلى كبير وزرائه مهربنس .[(٧٨)]

وهناك من نسبهم إلى بابل بن ضبة بن أدد [(٧٩)] أي إلى قبائل بني ضبة العربية .

ويذكر المؤرخون أن بني بويه أسرة فقيرة ببلاد الديلم كان أبوهم رجلاً من عامة الناس يتعيش على صيد السمك ويعينه أولاده على الحياة بأعمالٍ ضئيلةٍ يتكسبون منها، وكان أحمد بن بويه يتحدث بنعمة الله تعالى عليه فيقول " كنت احتطب الحطب على رأسي " .[(٨٠)]

بعض المؤرخين يذكر قصة نشأة بني بويه بأنهم كانوا معوزين حتى أن منجماً تنبأ لهم بالملك العريق والجاه الطويل والمال الكثير .[(٨١)]

وبويه جد الأسرة هو بويه بن فناخسروا الملقب بابي شجاع [(٨٢)] خلف بويه ثلاثة أبناء ، أكبرهم علي وأوسطهم الحسن وأصغرهم أحمد ، وكما اختلف المؤرخون في تحديد نسبهم اختلفوا أيضاً في تحديد أعمارهم ووقت وفاتهم وخاصة عمر علي والحسن ، فبالنسبة لعمر علي لم تذكر كتب التاريخ السنة التي ولد فيها ولكنها أجمعت على أنه توفي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م عن سبعٍ وخمسين سنة فعلى هذا الأساس يكون ميلاده في سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م .[(٨٣)]

---

(٧٧) نفس المصدر ، ج٨ ، ص ٩٩ .

(٧٨) ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ، وفيات الأعيان ، (القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ج٢، ص ٢٣٢ .

(٧٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ٢١٧ .

(٨٠) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٥٨ .

(٨١) نفس المصدر ، ج٣، ص ١٦٠ .

(٨٢) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٩٩

(٨٣) مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٢٠

أما بالنسبة للحسن فلم يذكر المؤرخون السنة التي ولد فيها شأنه شأن علي ولكنهم ذكروا أنه توفي سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م عن عمر اثنتين وثمانين سنة (٨٤) فعلى هذا الأساس يكون ميلاد الحسن في سنة ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م .(٨٥)

أما أحمد بن بويه فقد اتفق المؤرخون أنه ولد سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م وتوفي سنة ٣٥٦هـ / ٩٩٦م أي أن عمره وقت وفاته ثلاث وخمسون سنة .(٨٦)

(٨٤) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٧٨ .

(٨٥) نفس المصدر ، ج٣ ، ص ١٠٩ .

(٨٦) نفس المصدر ، ج٣ ، ص ١١١ .

الهجرة البويهية وتكوين الإمارة

كان علي بن بويه قائداً صغيراً من قواد زعيمٍ ديلمي هو ماكان بن كالي[٨٧] وكان مرداويج [٨٨]وغيره من القواد الذين استخدمتهم الدولة الطبرية .

فكانت العادة أن ينتقل هؤلاء الأجناد من خدمة رئيس إلى آخر بحسب الظروف الاقتصادية وحسب كثرة الغنائم وقلتها .[٨٩]

فلما ضعف أمر ماكان بن كالي وتفرق عنه كثير من جنده الديلم إلى قائد آخر هو مرداويج ومن هؤلاء جماعة يرأسهم علي بن بويه ،[٩٠] فولاه مرداويج ولاية الكرج [٩١] وبدأ على عهده بالإحسان إلى الناس فأحبوه فعمل مرداويج على طردهم من بلاد الكرج . ومنها زحف إلى أرجان[٩٢] فاستولى عليها دون قتال لأن حاكمها لم يستطع الصمود أمامه لقوته وكثرة جيشه .

مكث علي بن بويه في مدينة أرجان لفترة وبعدها زحف نحو النوبندجان[٩٣] وبدأ منها الاستعداد للإستيلاء على شيراز فدخلها بعد معركة حاسمة وجعلها قاعدةً لحكمه وذلك في سنة ٣٢٢هـ / ٩٢٤م [٩٤]ومن شيراز اتجه علي بن بويه إلى إقليم كرمان [٩٥].

---

(٨٧) ماكان بن كالي أحد رؤساء الديلم الأقوياء استولى على طبرستان عام ٣٢٦هـ ٩٢٨م . تمرد عليه أحد قواده ويدعى أسفار بن شيرويه واستطاع أن يهزمه بمساعدة قائد آخر يدعى مرداويج ضعف أمر ماكان وتفرق عنه جنده ومنهم علي بن بويه . لجأ ماكان للسامانيين توفي سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م . مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٧٧ .

(٨٨) مرداويج بن زيار : فارسي الأصل وقد عرف بتعصبه للفرس وكان يريد أخذ بغداد وينقل الدولة إلى الفرس ويبطل دولة العرب وكان متفقاً مع القرمطي صاحب البحرين من أجل الهجوم على بغداد وإسقاط الدولة العباسية وكان ذلك سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣ م . وقيل أنه كان قرمطياً وقد جعل عساكره صنفين صنف منهم جيل وديلم وهو خواصه وأهل بلده الذين ضم بهم الري ونواحيها وصنف اتراك . قتل مرداويج باصبهان سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٢٣ .

(٨٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ١٧٣ .

(٩٠) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣١٥ .

(٩١) الكرج : تقع إلى الجنوب الشرقي من همذان ومن هذه النقطة بدأت الهجرة البويهية ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ١٩٥ .

(٩٢) أرجان : تقع في أقصى الشمال الغربي لإقليم فارس وتقع في منتصف المسافة بين أصفهان وشيراز ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٤٣ .

(٩٣) النيوبندجان : مدينة كبيرة تقع في منتصف المسافة بين أرجان وشيراز ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٣، ص ٥٨.

(٩٤) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(٩٥) كرمان : تقع في الطرف الشمالي الشرقي في إقليم الجبال ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٥١٧ .

فاستولى عليه وفي شيراز بدأ علي بن بويه في تنظيم أمور دولته المالية وتأمين ملكه من أعدائه المجاورين .[٩٦]

وهكذا استقرت الأمور في فارس لأبناء بويه لذلك سعوا للإتصال بالخلافة العباسية للحصول على السند الشرعي لحكمهم للمناطق التي سيطروا عليها من أملاك الدولة العباسية . فأرسل علي بن بويه يطلب التقليد مقابل مبلغٍ كبيرٍ من المال تعهد بدفعه للخلافة .[٩٧]

ولما كانت الخلافة في حاجة إلى المال أرسلت له التقليد والخلع[٩٨] واللواء فأصبح بذلك والياً شرعياً .[٩٩]

بعد أن أمن علي بن بويه ملكه من ناحية الشرق بالإستيلاء على كرمان كان عليه أن يؤمن جبهته من الناحية الشمالية فأرسل أخاه أحمد بن بويه فاستولى على الأهواز في سنة ٣٢٦هـ / ٩٢٧م .[١٠٠]

وبامتلاك الأهواز يسهل لهم التوجه نحو العراق والذي كانت الأحوال فيه مضطربةً خاصةً بعد فشل إمرة الأمراء .[١٠١]

تطلع الناس إلى هذه القوة الجديدة التي ظهرت قريباً منهم فكاتب القواد الأتراك أحمد بن بويه الذي كان يحكم الأهواز وطلبوا منه المسير إليهم والإستيلاء على بغداد .

تقدم أحمد بن بويه إلى بغداد فاستقبله الخليفة المستكفي واحتفى به وخلع عليه

وبدخول أحمد بن بويه بغداد وتولية أمرة الأمراء سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م بدأ العصر البويهي الذي استمر حتى ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م .

وسنرى في المبحث التالي الأوضاع الإجتماعية قبل دخول البويهيين إلى بغداد .

---

(٩٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ١٠٣ .

(٩٧) نفس المصدر ، ج٨ ، ص ١٠٥ .

(٩٨) الخلع : ثوب يلبسه الحاكم ويمنحه هدية بعد أن يخلعه وهو بمثابة أمان للشخص الذي يخلعه عليه ، أكثر منه تكريماً له، القلقشندي (أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (القاهرة ١٩١٠م) ، ج٤ ، ص ٩ .

(٩٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٤٥ .

(١٠٠) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ١٦٥ .

(١٠١) نفس المصدر ، ج٩ ، ص ١٦٣ .

المبحث الثالث

الأوضاع الإجتماعية في بغداد وخراسان قبل البويهين

أ- بغداد

كانت هناك عدة عوامل أثرت على الأوضاع الإجتماعية في بغداد منها سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم وترف الخلفاء وضعف الوزراء و الأمراء ثم المصادرات والتضمينات.

فالأتراك قويت شوكتهم في بغداد منذ أوائل القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي فقد مكن لهم الخليفة المعتصم وقد أحس المعتصم نفسه – وهو الذي جلب الأتراك – بالخطر الذي يتهدد الدولة من جرائهم وبدأ يقاسي من الأتراك وجهلهم إذ لا حضارة لهم ، ولا رابطة تربطهم بالخلافة إلا مصلحتهم . كما عانى منهم العامة كثيراً فكانوا يدوسونهم في الأسواق بخيولهم لا يرحمون صغيراً ولا كبيراً، فاشتكى الناس إلى الخليفة المعتصم فبنى لهم مدينة سامراء حيث أنفق عليها أموالاً لا تعد ولا تحصى خاصة وأنها ضاهت بغداد في فخامتها .

وجاء الخليفة الواثق [١٠٢]وفي عهده كثرت هجرتهم إلى بغداد وكان لهذه الهجرة أثرها على حياة العامة فقد أقطع الخلفاء للقواد اقطاعات وضياعاً كثيرة لم يهتم بها القواد بل عينوا فيها من يقوم على زراعتها وهؤلاء بدورهم عينوا غيرهم وهكذا لم تجد الأرض من يهتم بها إلى أن صارت بوراً وأدى ذلك إلى قلة الإنتاج وارتفاع الأسعار واحتكار التجار للغلات ولم يجد الناس أقواتهم . إضافة إلى ذلك الحرب التي نشبت بسبب الأتراك بين الخليفة المستعين في بغداد والخليفة المعتز في سامراء والتي أمر فيها الخليفة المستعين بحصار سامراء اقتصادياً مما أوقف الجلب إليها وعطلت الأسواق وانعدمت السلع وتدهورت الأحوال الأمنية وكثر اللصوص وفي ظل هذه الظروف طالب الأتراك الخليفة المعتز بأرزاقهم فعجز عن ذلك مما أدى إلى سجنه وتعذيبه حتى مات .[١٠٣]

حاول الخليفة المهتدي (٢٥٥ – ٢٥٦هـ / ٨٦٨ – ٨٦٩ م) إصلاح الأحوال المالية فأخرج كل ما يوجد في الخزائن من آنية الذهب والفضة وأمر بضربها دنانير ودراهم محاولاً

---

(١٠٢) الواثق : هو أبو جعفر هارون الواثق بن المعتصم بن الرشيد تولى الخلافة سنة ٢٢٧ – ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ – ٨٤٧م ، إبن كثير ، مصدر سابق ، ج١١ ، ص ١٧٩.

(١٠٣) ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج٢، ص ١١٢ .

بذلك رفع الظلم عن الرعية بتخفيض الضرائب وتوفير المواد التموينية ولكنه دخل في حرب مع الأتراك انتهت بخلعه من الخلافة .(١٠٤)

استمرت الاضطربات السياسية التي اتبعتها اضطراباتٌ اقتصادية كان من نتائجها ثورة الزنج (١٠٥) والتي استمرت لمدة خمسة عشر عاماً من (٢٥٥ – ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ – ٨٨٣م) خسرت فيها الدولة عدداً كبيراً من قواتها العسكرية وإمكانياتها المالية فمنذ بداية الثورة تعرضت مدينة البصرة لخطر الزنج فدخلوها في سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م وروعوا أهلها فذبحوهم وخربوا المساجد وأضرموا النار في كل مكان .(١٠٦)

هذا وأن الكثير من سكان المنطقة قد فروا إلى بغداد ولم يعودوا إلى أراضيهم وقد ضاع خراج أراضيهم الغنية على الخلافة طيلة فترة الإضطرابات وأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار وكثرة الضرائب وأدى ارتفاع الأسعار إلى اختفاء السلع في الأسواق مما أدى إلى الغلاء الفاحش الذي نكب به العراق عام ٢٦٠هـ / ٨٣٧م فبلغ سعر الحنطة مبلغ ثمانمائة دينارٍ للكر .(١٠٧)

كذلك أصاب الضرر التجارة البحرية ، فقد تعطلت المواصلات البحرية إلى عام ٥٦٧هـ / ٨٨٠م خاصة في دجلة وأدى ذلك إلى تعطيل المواصلات إلى الخليج الفارسي وقد فقد كثير من العاملين في الموانئ وظائفهم مما كان له الأثر في وجود أعدادٍ كثيرةٍ من العطالة فانتشر اللصوص وتعرضت ممتلكات السكان للسلب والنهب .

---

(١٠٤) خليل إبراهيم السامرائي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، (الموصل ١٩٥٨م) ، ص ١١٣ .

(١٠٥) الزنج : هم أقوام جلبهم تجار الرقيق من أفريقيا الشرقية تم بيعهم في بغداد كانوا يعملون في شكل جماعات في منطقة البصرة في بقعة تمتد بها المستنقعات كانوا يتعرضون للأوبئة والأمراض الفتاكة تزعمهم على بن محمد الذي ادعى نسبه إلى سيدنا علي بن طالب كرم الله وجهه ووعدهم بتحقيق الرفاهية لهم فوجدوا ضالتهم في دعوته واستجابوا له فكون منهم جيشاً واتخذ المختارة مقراً له واستطاع بهذا الجيش أن يشكل تهديداً للخلافة العباسية إلى أن سقطت المختارة في سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م وقطع رأس علي بن محمد وأدخل بغداد بين يدي الخليفة المعتمد ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٤٥ .

(١٠٦) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت ١٩٦٥م)، ج١٣ ، ص ٢٢٣ .

(١٠٧) الكر : مكيال كان في العراق عامة وفي البصرة وواسط كان يساوي (١٢٠) مائة وعشرون قفيزاً ولكل قفير أربعة مكاكيك وكل مكوك خمسة عشرة رطلاً وكل رطل مائة وثمانية وعشرون درهماً وكان الرطل الشرعي في بغداد المتعارف عليه هو الرطل البغدادي الذي كان يعادل وزنه سنتاً واحداً . الطبري ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص ٣٨٦ .

كذلك قام الزنج بقطع طريق التجارة البرية إلى الأهواز[١٠٨] فهاجم اللصوص القوافل التجارية وتعرض التجار للقتل ونهبت بضائعهم .[١٠٩]

هاجم الزنج أيضاً مدينة الايلة مما يلي نهر دجلة وأشعلوا بها النيران فاحترق الكثير من المنازل وعمل فيها السلب والنهب ومات حرقاً عدد كبير من السكان وفر الباقون إلى مدينة عبادان[١١٠] فدخلها الزنج أيضاً وقتلوا أهلها ونهبوا ما كان بها من السلاح والمؤن وأصاب السكان كربٌ عظيمٌ .[١١١]

استمر صاحب الزنج في سلبه ونهبه إلى أن تمكن الموفق طلحة من القضاء عليه وذلك عن طريق إعلان الجهاد فهدأت الأمور قليلاً ولكن سرعان ما ظهر خطر آخر هو خطر القرامطة [١١٢]خاصة في أوساط الفلاحين الذين كان الملاك يسومونهم سوء العذاب مع التقتير الشديد في أجورهم فانصرف هؤلاء عن أعمالهم الزراعية بما فرض عليه من الصلوات الكثيرة التي أخبروهم بأنها مفروضة عليهم مما أدى إلى إضعاف الخزينة العامة للدولة فظهر الغلاء مرة أخرى وارتفعت أسعار المواد التموينية وكثرت الضرائب وقام القرامطة بمهاجمة قوافل الحجاج واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه في الكعبة إلى هجر عاصمة

---

(١٠٨) الأهواز : عاصمة إقليم خوزستان وكانت تعرف قديماً باسم هرمز شهر اتخذها زعيم الزنج مقراً له سنة ٢٦٢هـ ٨٧٥م . أعاد بناءها عضد الدولة في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي . ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٤٢ .

(١٠٩) الطبري : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٤٢ .

(١١٠) عبادان : مدينة عامرة على شاطئ البحر في الضفة الغربية من نهر دجلة ، ياقوت الحموي ، مصـــدر سابق ، ج٤ ، ص ٧٥ .

(١١١) مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢، ص ١٣٣ .

(١١٢) القرامطة : تطلق كلمة القرامطة على الجماعة التي قامت بحركات ثورية ضد الخلافة العباسية . ففي عهد المعتمد ظهر رجل بالكوفة قدم إليها من خوزستان يظهر الزهد والتقشف ويكثر الصلاة ويساعد الناس فانضم إليه عدد منهم وعرفوا أنه يدعو لإمام من أهل البيت . مرض ذلك الرجل فأخذه أحد أهل البلدة ويدعى كرمتية واقتنع بمبادئه وأخذ يدعو الناس لها ونسبت هذه الحركة إلى كرمتية بعد تخفيف الاسم إلى قرمط ، الطبري ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص ٧٦٢ .
وقيل كرمتية ، كلمة نبطية تعني أحمر العينين وقيل أن الاسم قرمط أطلق أول الأمر على الرجل لتقارب خطواته ، مجد الدين محمد بن مكرم بن يعقوب ، القاموس المحيط ، (القاهرة ١٣٣٠هـ) ، ج١ ، ص ١١٥ .

القرامطة في البحرين [١١٣] وكان من أشهر هؤلاء القرامطة زكرويه[١١٤] الذي كان قائداً لأعمال الشغب ضد الدولة العباسية .

ففي سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م زحف أبو طاهر [١١٥] على الكوفة وكان الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧-٩٣٢م) قد أعد بها المؤن والعتاد الوافر انتظاراً للجيش الذي بعث به من بغداد لتلك البلدة المنكوبة لكن أبا طاهر استولى على تلك الأحداث قبل وصول جيش الخليفة واستطاع أن ينتصر عليه فأدخل الرعب في قلوب الناس وسلب ونهب أموالهم .

وكان صاحب الشامة [١١٦]يقوم بذبح المسلمين كما تذبح الشاة مما زاد رعب السكان وأثار فزعهم وصمم أبو طاهر بالهجوم على بغداد واستولى في طريقه على كثير من المدن وقتل الكثير من أهلها وأضطرت السلطات إلى قطع القناطر والسدود لتحول بين القرامطة وبين دخولهم بغداد وأدى ذلك إلى توقف الإمدادات وشحت البضائع الواردة وبلغ سعر الكر من الحنطة مائة درهم .[١١٧]

ومن أسباب سوء الأوضاع الإجتماعية في بغداد أيضاً ترف الخلفاء فقد عاش معظم الخلفاء في اللهو والترف من بناء قصور فخمة ومعيشة كفلت لها كل وسائل النعيم وأدواته وامتلاك الجواري من كل الجنسيات وإنفاقُ الملايين على

حفلات القصر واستقبال الوفود واغتناء الجواهر الثمينة والتحف النادرة وإغداق

---

(١١٣) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٣٤ .

(١١٤) زكرويه : قرمطي مشهور خلف أحد قادة القرامطة ويدعى عبيدان بعد مقتله بدأ بمهاجمة قوافل الحجاج سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م . وقد تتبع العباسيون نشاطه السري محاولين القبض عليه ، ظل مختفياً عن الأنظار إلى أن قتل ولداه في إحدى المعارك فظهر وتم القبض عليه وقتل ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٣٧٧ .

(١١٥) أبو طاهر : هو أحد قادة القرامطة الذين كانوا يهاجمون المسلمين وقوافل الحجاج وكان زنديقاً لا يصوم ولا يصلي وكان يظهر الإسلام حتى لا يفتضح أمره ، الطبري ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص ٦٥٦ .

(١١٦) صاحب الشامة : أحد قواد القرامطة القساة اشتهر بالتنكيل بالمسلمين حين يقبض عليهم . تم القبض عليه سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م فأخذ وقطعت يداه ورجلاه ثم عذب وضرب عنقه ثم صلب على الجسر ببغداد ، الطبري ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص ٤٢٢ .

(١١٧) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٥٧ .

الملايين على الشعراء والمغنيين الذين مدحوهم .(١١٨)

فالخليفة المتوكل على الله كان أكثر الخلفاء إنفاقاً ولم تبلغ النفقات في عصر من العصور ما بلغته في عصره خاصة في بناء القصور، وكانت حيطان هذه القصور تتزين بالفسيفساء (١١٩)من الداخل والخارج والرخام المذهب وكلما بنى قصراً أتبعه بالآخر وسار على نهجه بقية الخلفاء . كذلك اتخذ المتوكل لنفسه سريراً من ذهب عليه تمثالٌ لسَبْعَين عظيمين ، وقد كان أثر هذه الحياة واضحاً على الرعية .

وسبب آخر لتردي الأوضاع هو ضعف الوزراء فقد تولى وزراء تنقصهم الخبرة والكفاءة الإدارية فتدهور الإقتصاد وانتشرت الرشاوي والمحسوبية

فالوزير حامد بن العباس (١٢٠)الذي ولاه المقتدر الوزارة لم يكن يعرف شيئاً من أمور الكتابة ولم يتخرج في الدواوين فأول ما قام به بعد توليه الوزارة هو تخزين الغلات فارتفع سعر المواد الغذائية في بغداد وثار أهلها وكسروا منابر بعض المساجد، فاستعمل حامد معهم الشدة وقتلهم وتفاقم خطر الثورة وأطلق الثائرون من كانوا بالسجون وأحرقوا بعض الجسور، ونهبوا الأسواق ووقع عدد كبير من القتلى والجرحى، وتم سجن من قبض عليه واستمرت الثورات حتى تدخل الخليفة المقتدر وأمر أن تفتح مخازن الغلات التي يمتلكها الوزير حامد بن العباس وتم بيعها في الأسواق .(١٢١)

---

(١١٨) نفس المصدر ، نفس الصفحة ..

(١١٩) الفسيفساء : الموضوعات الزخرفية المؤلفة بجمع أجزاء صغيرة ومتعددة الألوان من الزجاج والحجر وتثبيتها بعضها إلى بعض فوق الجص أو الأسمنت . ومن هذا تتكون موضوعات زخرفية ورسوم متعددة وقد تكون هذه الموضوعات الزخرفية هندسية أو رسوم كائنات حية أو نباتات ، غوستاف لوبورن ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة ١٩٤٨م) ، ص ٢٥٥.

(١٢٠) حامد بن العباس : ولي الوزارة سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م . فقد كان على خلاف غيره من الوزراء لأنه بدأ حياته بالتجارة والمال وضمان الخراج حتى عظم شأنه ولما ولي الوزارة كان في الثمانين من عمره توفي سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٥٥٢ .

(١٢١) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ١٨٣ .

كذلك كان الولاة على الأقاليم يرتشون ويختلسون أموال الخراج حتى عمال الحسبة كانوا يختلسون في أثناء مراقبتهم التجار وحركة البيع والشراء في الأسواق [١٢٢] أيضاً موظفو الدولة الذين كانوا يقومون على جباية الضرائب وأموال الخراج ، وتأثرت الرعية بذلك وتعرضوا للإهانة والمذلة فكان الموظفون يعذبون أصحاب الضياع وذوي الوجاهة والأعيان بالضرب والسحب على الوجوه، ويوضعون في القيود ويصب الزيت على رؤوسهم، ويتم تعليقهم في الجدار من أيديهم وأرجلهم حتى يستخرجوا منهم ما يريدون من أموال [١٢٣] وكان من يرث عن أبيه ميراثاً ضخماً يحاولون الإستيلاء عليه بطرق شتى إذ يسجنونه ويطلبون منه أن يثبت إنه ابن المتوفي ، وما يزالون يضربونه حتى يتنازل عن ميراثه .[١٢٤]

نتيجة لهذه الإضطرابات المالية للدولة أحدث الخليفة الراضي منصب أمير الأمراء على أن يكون حلاً للأزمة فولى محمد ابن رائق [١٢٥]والي البصرة وواسط وفوض إليه تغيير الأمراء وعزلهم وأطلق يده في جميع شؤون الدولة فأخذ يجمع خراج الأقاليم واستأثر به لنفسه فتكررت الأزمة الإقتصادية مرة أخرى وضج الناس ووقعت الحرب بين ابن رائق ويحكم وانتصر يحكم ودخل بغداد وتم تعيينه أميراً للأمراء ، ولم يكن أحسن حالاً من ابن رائق ، فساءت الأحوال المعيشية في عهده ، وتمرد جنده عليه فانتهز البريدي[١٢٦] الفرصة ودخل بغداد أميراً للأمراء ،ولم يقدم شيئاً لأنه وصل إلى هذا المنصب دون أن يقلده الخليفة ، فأخذ يسوم الناس ظلماً فادحاً في جباية الخراج ، ويأخذ أموال التجار عنوة ، ودخل البريديون دار الخلافة وقتلوا كل من

---

(١٢٢) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٥٥ .

(١٢٣) نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٢٥٣ .

(١٢٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٥٧ .

(١٢٥) ابن رائق : وهو أبو بكر محمد بن رائق من الأمراء الشجعان له شعر وأدب ولي شرطة بغداد زمن الخليفة المنصور . قتله ناصر الدولة الحمداني غدراً منه سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١١ ، ص ٣٩٩ .

(١٢٦) البريدي : ابو عبد الله البريدي احتل الأهواز سنة ٣٢٦هـ / ٩٢٧م . كون جيشاً من الأكراد والأعراب والديلم والقرامطة والبريديين كانوا حكاماً للعراق زمناً طويلاً . وكانوا أول أمرهم كتاباً أكثر مما كانوا قواداً . دخل البريدي مع البويهيين في حروبات . توفي سنة ٣٣٢هـ ٩٤٣ ، الطبري ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٥٨ .

وجد فيها من حاشيةٍ ونهبوها وسلبوا الناس مساكنهم وطردوهم منها وسكنوها، وعمت الفوضى بغداد .(١٢٧) تمرد الجند أيضاً على البريدي وراسل الديلم كورتكين(١٢٨) وبوصول كورنكين لمنصب أمير الأمراء بدأ الديلم في منافسة الترك، وقد عمت بغداد فوضى كبيرة . فنهب الديلم الأموال واعتدوا على السكان وأخذوا ممتلكاتهم ودخلوا الأسواق ونهبوها وأحرقوها .(١٢٩)

وفي سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م قلد الخليفة المتقي (٣٢٩ – ٣٣٣هـ / ٩٤٠ – ٩٤٤م) . أمرة الأمراء لابن رائق مرة أخرى ولكنه فشل للمرة الثانية في حل الأزمة الإقتصادية وتمرد عليه الأتراك منهم توزون (١٣٠) الذي دخل بغداد عام ٣٣١هـ / ٩٤٢م فاستولى على جميع الغلات وازدادت الأسعار وضج الناس من الغلاء ، ودخل توزون في حروب مع البريديين ولم يبق في الحكم طويلاً فقد توفي سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م وبعد وفاته تقلد ابن شيرازاد (١٣١)منصب أمير الأمراء ولم يكن أحسن حالاً من الذين سبقوه فزاد في أرزاق الجند وفرض ضرائب كثيرة على الكتاب والعمال والتجار وسائر الطبقات ببغداد حتى يتيسر له سداد نفقات الجند (١٣٢). فأخذ من المزارعين محاصيلهم وترك التجار أعمالهم وغادروا بغداد وظهرت مجموعةٌ من اللصوص كانت تداهم الناس في منازلهم وتسرق ما يملكون من حنطة وغيرها(١٣٣). وقد أدت هذه الإضطرابات وحوجة الخلافة إلى أموال لسد حاجة القصر والجيش

---

(١٢٧) إبن الأثير،مصدر سابق، ، ج٨ ، ص ١٨٣ .

(١٢٨) كورتكين : هو كورتكين بن الفارض الديلمي ويكنى بابي الفوارس وأبا شجاع وقد كان أول قواد جيش البريدي الذي دخل بغداد سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م . ابن كثير ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٢٣ .

(١٢٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ،ج٨ ، ص ١٥٤ .

(١٣٠) توزون : هو أحد القواد الأتراك الذين اشتركوا في التدبير لقتل مرداويج بن زيار بعد مقتل بجكم خرج مع غيره من الأتراك قاصدين ناصر الدولة الحمداني ولكن ناصر الدولة لم يطلق لهم ما أرادوه من الأموال فتوجه إلى ابن رائق بالشام ثم عاد إلى البريديين فخدمهم ثم انقلب عليهم والتحق بالحمدانيين وذلك بعد أن دبر مؤامرة فاشلة لقتل أبي الحسن البريدي ثم عاد وحاربهم مع سيف الدولة الحمداني ، وأخيراً تآمر على الحمدانيين فظفر بإمرة الأمراء ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص ٢٨٥ .

(١٣١) ابن شيرازاد هو جعفر بن شيرازاد كاتب توزون في منطقة هيت وهي منطقة قريبة من واسط كان يحارب الخارجين عن الطاعة ورد إليه موت توزون فاضطرب العسكر ثم عقدوا له الإمارة ، ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .

(١٣٢) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٣ .

(١٣٣) نفس المصدر ، ج٦ ، ص ٢٣٥ .

والقادة إلى سياسة تساعدها على إمداد بيت المال بحاجته، لذلك فرضت سياسة المصادرات فأخذ الخلفاء يصادرون أموال كتابهم ووزرائهمفالخليفة المعتصم صادر وزيره الفضل بن مروان لأنه طلب منه أن يعطي لأحد ندمائه بعض المنح والهدايا فلم يفعل الوزير فصادره المعتصم فبلغت أمواله المصادرة ألف ألف دينار وبلغت قيمة ممتلكاته الثلاثة ألف ألف دينار.

وقد صادر الواثق عدد من كتابه لأنهم كانوا يحتجزون الأموال بعيداً عنه ومنهم أحمد بن إسرائيل وبلغت قيمة ما صودر منه أربعة ألف ألف دينار إضافة إلى ضيعة ومنزلاً. كذلك الوزير الحسن بن وهب الذي بلغت جملة ما صودر منه خمسة ألف ألف دينار كذلك صاد المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيار وقد بلغت جملة ما صودر منه عقاراً ومنقولاً وتسعين ألف ألف دينار وفي عهد اتلمستعين تمت مصادرة الوزير أحمد بن الخصيب فكان جملة ما تمت مصادرته ثلاثة ضياع وداراً وعدد من الدواب . (١٣٤)

وكان من نتيجة ذلك أن زاد الضغط على الشعب الكادح فالوزراء والكتاب وعمال الأقاليم صاروا يفرضون الضرائب الباهظة ويفرضون جمارك على الموانئ لتعويض ما يصادر منهم ، فزادت حالات الفقر بين العامة والعطالة ولجأت الدولة إلى سياسة التضمينات .(١٣٥)، ولكن هذه السياسة فشلت أيضاً لعدم التزام الضامنين بتقديم الأموال لحل الأزمة المالية التي تمر بها الدولة

وهكذا كانت التضمينات والمصادرات سياسة ثابتة لجأت إليها الخلافة العباسية في عهد نفوذ الأتراك بسبب الحاجة الملحة للأموال كما غدت بذلك محل تنافس وتطاحن ثم صارت عاملاً من العوامل التي أسهمت في إضعاف الجهاز الحكومي والإداري للعباسيين مما انعكس على الحياة الإجتماعية .

---

(١٣٤) محمد حلمي محمد أحمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي، دار العلوم، القاهرة ١٩٥٩م، ص١٤٣.

(١٣٥) التضمينات : كانت تعني أن يعين شخص ما في ولاية ما أو لمنصب ما بشرط أن يضمن للخلافة مبلغاً محدداً من المال يقدمه بالطريقة التي تعين له أو ينفق عليها معه، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٥ .

ب- خراسان :

نجح الفرس إلى حدٍ كبيرٍ في اقتطاع أجزاء من الدولة العباسية والإستيلاء عليها واستبدادهم بها وقصر سلطة الخليفة على المظهر الإسمي . فقد استولى الطاهريون على خراسان (٢٠٥- ٢٥٩م / ٨٢٠- ٨٧٢م) والصفاريون[١٣٦] على فارس وسجستان (٢٥٤- ٢٩٠هـ/٨٦٧-٩٠٣م والسامانيون [١٣٧]على فارس وما وراء النهر في (٢٦٦- ٣٨٩هـ / ٨٧٩ - ٩٩٨م) والزيـارية [١٣٨]على جرجان وطبرستان (٣١٦ - ٣٣٤هـ / ٩٢٨ - ٩٤٥م).

وقد كان في ظهور هذه الإمارات أحياء لكثير من التقاليد الإيرانية والفارسية القديمة مما كان له أثره على جميع نواحي الحياة وقد اهتم الطاهريون بالنواحي الإقتصادية فقد انصرفت عنايتهم إلى الأمور الزراعية فأنفقوا عليها أموالاً كثيرة في حفر القنوات وإصلاح الأراضي وتوفير الأسمدة وتوزيعها على الفلاحين وتوفير مياه الري وشجعوا الفلاحين على العمل الجماعي في حصاد محاصيلهم ولم تكن تفرض عليهم ضرائب باهظة . كذلك اعتنى الطاهريون بتربية الماشية وتشجيع الفلاحين على امتلاكها والاهتمام بها وتحقيق الإكتفاء الذاتي لأسرهم[١٣٩] . أما الصفاريون فقد كان اهتمامهم بالزراعة قليلاً وعنـدما تولى السامانيون اهتموا أيضاً بالزراعة وخاصة نصر بن أحمد الثاني [١٤٠](٣٠١-٣٣١هـ/ ٩١٣-٩٤٢م ، ونوح بن سامان [١٤١] (٣٣١-٣٤٣هـ/٩٤٢-٩٥٤م)

---

(١٣٦) الصفاريون : تنسب هذه الدولة إلى منشئها يعقوب بن الليث الصفار الذي عمل هو وأخوه عمر كجنديين متطوعين مع زعيم المتطوعة صالح بن النضر الكناني وبعد وفاته تطلع الجند إلى يعقوب الذي أثبت مقدرته وكفاءته بحروبه التي شنها على الخارجين على الدولة وسمي بالصفار نسبة إلى معدن الصفر ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص **٥٤ – ٩٥** .

(١٣٧) السامانيون : ينتسبون إلى سامان رأس الأسرة السامانية وقد اختلف المؤرخون حول نسبهم وموطنهم هل هم من بلخ أم من سمرقند أو بعبارة أخرى هل ينتسبون إلى الجنس التركي أم الفارسي ويرجح القول إلى أن آل سامان من بلخ وينتمون إلى الجنس الفارسي ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص **٤٨ – ٥٥** .

(١٣٨) الزياريون : تنسب هده الدولة إلى الملك الساساني قياذ والذي حكم سنة **٤٤٨-٥٣١** للميلاد ومؤسسها مرداويج بن زيار الديلمي وهو أحد قواد الجيل الذين ظهروا في شمال إيران واستطاع أن يستولي على الري وأصفهان وطبرستان ، وذلك في عام **٣١٦هـ/٩٢٨م** . ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص **١١٥** .

(١٣٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص **٢٥٧** .

(١٤٠) نصر بن أحمد الثاني : تولى الأمور بعد مقتل والده وبايعه أصحابه وهو في الثامنة من عمره وقد اضطربت الدولة في عهده لصغر سنه ولكنه استطاع أن يتغلب على خصومه وقد امتد حكمه ثلاثين عاماً قضاها في إخماد الثورات التي كانت

فأصلحوا الأراضي خاصة الأراضي الواقعة شرق فارس فقاموا بعمل قنوات لمياه النهيرات الصغيرة والجداول . وبهذا الاهتمام من قبل الأمراء زاد اهتمام الفلاحين بالأرض وضاعفوا عملهم بها. ونتيجة لذلك توفرت المحاصيل مثل الأرز، الحنطة الذرة ، واشتهرت شمال فارس بجودة البطيخ وكان يحمل للعراق وكذلك اشتهرت سجستان بالعنب والكروم وطبرستان بالليمون والبقول والحبوب والرمان(١٤٢) وقد انعكس هذا الاستقرار الاقتصادي على الدولة والشعب . كذلك اهتم الزياريون بالزراعة وشقوا القنوات ووفروا البذور والأسمدة كما اهتموا بالأراضي واستخدموا الجواميس في حراثتها (١٤٣) فاتخفضت الأسعار بالنسبة للخضر والفواكه وأصبحت في متناول الجميع .

أما في مجال التجارة فقد شجع الطاهريون التجارة ونظموا الأسواق وظهرت طبقة التجار الأثرياء فسيروا السفن لحسابهم وجابوا الأسواق وركبوا البحار وكان لهم وكلاء في كل الأقاليم والمخازن في كل مكان وخفضوا لهم الضرائب وتوفرت السلع ووجدت الطبقة العامة حاجتها من المواد التموينية .

أما الصفاريون فقد اهتموا بالتجارة لما تجلبه لهم من عائد مادي استخدموه في تمويل جيوشهم وقدموا التسهيلات للتجار فلم تكن تفرض عليهم ضرائب وتم إعفاؤهم من الرسوم الجمركية في الموانئ وفروا لهم الحماية فقاموا بحراسة القوافل التجارية وتأمين الطرق من القفص والبلوص(١٤٤) الذين يقطعون الطريق من عامة كرمان وإلى مفازة سجستان(١٤٥) فتمكنوا من القضاء على ملوكهم وأخذوا كنوزهم .(١٤٦)

تندلع في أرجاء متفرقة من الدولة . ثم مرض وطال مرضه لمدة ثلاث عشرة شهراً ، فأقبل على الإكثار من الصلاة والتضرع والعبادة إلى أن مات سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، ابن خلكان ، مصدر سابق ،ج٢ ، ص ٢٣٢ .

(١٤١) نوح بن سامان : تولى سمرقند منذ سنة ١٩٨هـ / ٨١٣ م تعاون مع عبد الله بن طاهر في القضاء على الحسن بن الأقشين قائد الترك . لم يخلف نوح ولداً يخلفه في الحكم فأقام الخليفة المأمون مقامه في ولايته أخويه يحيى وأحمد ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٩٧ .

(١٤٢) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(١٤٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٤٤) أنظر ص ٥٨.

(١٤٥) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محي الدين، (بيروت ١٩٧٣م) ، ج ٣ ، ص ٩٥ .

(١٤٦) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، (الدار التونسية) ، ١٩٨٤ م ، ج٣ ، ص ٢٣٤ .

كذلك اهتم السامانيون بالتجارة وقد ساعد على ذلك النهضة الاقتصادية التي كانت بالدولة فعبرت تجارة سمرقند وبخاري إلى العراق والصين والهند حتى بلغت بحر الخذر غرباً ودول شمال أوربا، وقد اهتم الزياريون بالتجارة وقدموا كافة التسهيلات للتجار وكان مرداويج بن زيار مقرباً للتجار الذين كانوا يحملون له من رحلاتهم التحف النادرة والمجوهرات الغالية، وأنواع الزمرد والأحجار الكريمة .(١٤٧)

ساعد الإزدهار الاقتصادي على النهضة العلمية والفكرية في جميع مدن خراسان، بل امتدت إلى ما وراء النهر فالطاهريون كانوا أنفسهم على درجة عالية من الثقافة الرفيعة، فقد عرف عبد الله بن طاهر بقرض الشعر وكان ابن أخيه منصور بن طلحة يؤلف الكتب .(١٤٨)

وكان الشعراء يتوافدون على البلاط الطاهري منهم الشاعر فيروزي مشرقي (٢٦٥-٢٨٢هـ/ ٨٧٨-٨٩٥م) وله ديوان شعر في مدح الخلفاء والأمراء باللغة الفارسية وغيرهم .

تعددت المراكز الثقافية في عهد الطاهريين في بلاط مرو ونيسابور وبرغم تذوق الطاهريين للأدب الفارسي إلا أنهم أنكروا نشاط المانوية (١٤٩) في خراسان في عهدهم وقد صحب ذلك إحياء بعض المؤلفات القديمة .

كان الطاهريون يدأبون على كسب ولاء الرعية إذ كانت عنايتهم بالطبقة الفقيرة المستضعفة فقد دفعهم ذلك للعناية بالتعليم العام وتمكين أبناء الفلاحين من أخذ نصيب من الثقافة العربية والإهتمام بتعليم النساء أمور دينهن بإقامة الدروس في المساجد وعقد حلقاتٍ للتلاوة .(١٥٠)

أما الصفاريون فكان اهتمامهم باللغة الفارسية والشعراء الفرس ومعظم شعرهم في الحماسة . (١٥١)

---

(١٤٧) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٩٧ .

(١٤٨) محمد آمان صافي ، الأدب الأفغاني الإسلامي ، (المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) ،ص ٣٠ – ٣٣

(١٤٩) المانوية : إحدى المذاهب التي كان يدين بها الفرس وتنسب إلى ماني وهو إيراني من أسرة عريقة ولد سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠ م درس الزرادشتية والمسيحية ذهب ماني للهند داعياً لمذهبه وجدت دعوته اضطهاداً من رجال الدين الزرادشتيين ، فتم سجن ماني وتعذيبه إلى أن توفي سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م . أبن الإثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٣٥٧ .

(١٥٠) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٣٣ .

(١٥١) نفس المصدر، ج٣، ص٢٢٤.

أيضاً اهتم الزياريون بالنهضة الأدبية فنجد أن الأمير قابوس (٣٠٤هـ – ٩١٧م) وكان مكرماً للعلماء والشعراء يجزل لهم الصلات وكان الشعراء يجتمعون على بابه في النيروز والمهرجان [١٥٢] وتوزع عليهم الهدايا حسب رتبهم ومكانتهم وقد جعل لكل منهم وظيفة ورواتب ثابتة وقد قرب إليه العديد منهم الشاعر أبو القاسم محمد بن علي السرخسي وكان مجيداً للغة العربية والفارسية .

وقد ساهم قابوس أيضاً في النهضة الثقافية ليس بمجرد تذوق الشعر بل كان نفسه شاعراً ينظم الشعر بالعربية والفارسية وكان مثقفاً ثقافة واسعة وكان أديباً بارعاً ويعد من كبار الكتاب في عصره وفيه يقول الثعالبي [١٥٣] " جمع الله سبحانه وتعالى له عزة العلم وبسطة القلم وعلى فضل الحكمة ونفاذ الحكم وإني أتوج هذا الكتاب – اليتيمة – من ثمار بلاغته ."

عمل السامانيون على النهوض بالأدب العربي والفارسي على حد سواء ونتيجة لهذا نهض أدباء هذه الدولة واتصل بعضهم بقصور السامانيين وخاصة الشعراء وقرض بعض حكام السامانيين الشعر مثل منصور بن نوح[١٥٤]
٣٨٧ – ٣٨٢ هـ/٩٩٧–٩٩٩م الذي كان محباً للعلم والأدب مكرماً للعلماء والأدباء وكان يجيد نظم الشعر ولم يرو الرواة شعراً لأحدٍ من أمراء السامانيين غيره .

شجع هذه النهضة الأدبية في الدولة السامانية وزيران هما البلعمي[١٥٥] ت ٣٦٨هـ / ٩٩٦ م وكان واحد عصره في الفضل والرأي وإجلال العلم وأهله وقد قام بترجمة بعض الكتب التاريخية إلى اللغة الفارسية بأمرٍ من الأمير منصور بن نوح

(١٥٢) أنظر ص ١٤٣.

(١٥٣) يتيمة الدهر ، مصدر سابق، ج ٣ ، ص ٤٢٤ .

(١٥٤) منصور بن نوح : هو أبو صالح بن اسد بن سامان آخر أمراء الدولة السامانية وكان في ريعان شبابه عندما تولى الحكم وأفل نجم الدولة في عهده وكانت حياة هذا الأمير في أوائل عهد السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي وقد حاول مراراً ان يسترد الملك الذي ورثه عن أبيه وقد قضى معظم ايامه في الكر والفر والإدبار . ابن خلكاان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(١٥٥) البلعمي : هو أبو الفضل محمد بن عبد الله البلعمي أصل أجداده عرب من تميم فرعهم في بخارى وكان وزيراً لنصر بن أحمد الساماني . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

الساماني . أما الجيهاني (١٥٦) فقد كان فاضلاً شهماً صبوراً شجع الأدباء والعلماء وأغدق عليهم الأموال وكان محبوباً من الشعراء لأنه يجزل لهم العطاء ولصفاته الأخرى من كرمٍ ومروءة ونجدة . ومن الشعراء الشاعر الدقيقي(١٥٧) والخسروي (١٥٨) وغيرهم من الذين ذاع صيتهم في الدولة السامانية .

ومن الشعراء الذين برزوا في العصر الساماني الرودوكي (١٥٩) الذي كان نديم مجلس الأمير نصر بن أحمد وقد كان يجيد العزف على البربط .(١٦٠)

ظهر في الدولة السامانية كثيرٌ من العلماء الذين قدموا للإنسانية في ميدان العلم والمعرفة خدماتٍ كبرى في شتى العلوم فنبغ علماء في الطب والفقه والجغرافيا والفلسفة وغيرها .

أما الطب فقد تقدم في الدولة السامانية بفضل العالم الرازي (١٦١) أشهر أطباء عصره فقد ألف في الطب كتباً كثيرة وكان متقناً لهذه الصناعة حاذقاً بها عارفاً بأوضاعها وقوانينها وكانت تشد إليه الرحال لأخذ العلم منه ومن أشهر كتبه الحاوي

---

(١٥٦) الجيهاني : أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني كان وزيراً لنصر بن أحمد أيضاً وكان من المقربين له . كان حسن النظر في الأمور بعيد الهمة وله عدة مؤلفات . ابن كثير، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص ١٩٣ .

(١٥٧) الدقيقي : ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠ م هو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقي الطوسي . لقب بالدقيقي لدقة معانيه وهو من مثقفي شعراء الفرس وهو الذي بدأ نظم الشاهنامة ، سفر الملوك ، عمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين ، (القاهرة ١٩٦م) ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(١٥٨) الخسروي : ت ٣٩٠ هـ / ٩٩٩م . هو أبو بكر محمدبن الخسروي من الشعراء البارزين . لم يكن على صلة بأحد من أمراء الدولة السامانية ولم يقصر جهده الأدبي على أحد بل كان يتنقل في البلاد يمدح الأمراء والأدباء ، عمر رضا كحاله ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(١٥٩) الرودوكي : ت (٢٦٠ – ٣٢٩ هـ / ٨٧٣ – ٩٤٠ م) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم ولد بقرية رودك على مقربة من سمرقند ورغم أنه ولد أعمى إلا أنه كان حاد الذكاء . أتم حفظ القرآن وهو في الثامنة من عمره وقد منحه الله صوتاً رخيماً فتعلم الغنا والموسيقى . وبمجالسته للأمير الساماني نصر بن أحمد نمت ثروته فقيل أنه كان له مائة غلام ويحمل متاعه مائة بعير وأن أشعاره ملأت مائة كراسة . أفل نجم الرودوكي في أواخر حياته حين غضب عليه الأمير لأسباب دينية فتبدلت حياته إلى بؤس وشقاء وظل هكذا إلى أن توفي ، عمر رضا كحاله ، مصدر سابق ، ج ٥، ص ٥٧ .

(١٦٠) البربط : آلة موسيقية تشبه العود ، القلقشندي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(١٦١) الرازي : ت ٣١١ هـ / ٩٢٩ م : هو أبو بكر محمد بن زكريا أقبل على دراسة الطب بعد أن جاوز الأربعين من عمره– كان في حداثة سنه مولعا بالغناء . اشتهر بالكرم والعطف على المرضى وكان ينفق عليهم من ماله الخاص . ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٣٥٥ .

ويقع في ثلاثين مجلداً [١٦٢] ومنها كتاب الجامع وهو أيضاً من الكتب النافعة وكتاب الأعصاب ، والمنصوري الذي أهداه إلى أبي صالح الساماني الذي سمي الكتاب باسمه وقد اسندت للرازي إدارة مارستان الري لتفوقه في الطب .

أما في مجال الفلسفة فقد قامت حركة فلسفية ونهضة فكرية في ربوع الدولة السامانية على ايدي عالمين هما أبو زيد البلخي [١٦٣] وأبو القاسم [١٦٤] الكعبي وقد جمع ابو زيد بجانب الفلسفة والعلوم الشرعية عدة كتب منها كتاب أقسام العلوم وكتاب في نظم القرآن الكريم وأخبار السيرة .[١٦٥]

أما ابو القاسم فقد كان معاصراً للبلخي وقام بنشر كتبه وقد جمع بين الحكمة والفلسفة وكان يعتبر بحراً من العلوم وله إسهاماتٌ كثيرةٌ في عدة مجالات مثل نبوغه في علم الكلام .[١٦٦]

ومن الفلاسفة أيضاً ابن سيناء [١٦٧]الطبيب المشهور الذي بدأ انتاجه في عهد الدولة السامانية وقد ألف في المنطق مقتفياً أثر أستاذه الفارابي [١٦٨]وتكلم عن

---

(١٦٢) محمد بن خاوندشام المعروف بخواندمير ، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، تحقيق محمد السباعي ، (القاهرة ١٩٨٨ م) ، ص ١١٩ .

(١٦٣) أبو زيد البلخي : ت ٣٢٣هـ / ٩٣٤م . هو ابو زيد احمد بن سهل ولد ببلخ ورحل للعراق ومكث به ثمان سنين يأخذ العلم والفلسفة . عاد إلى بلاده ينشر علمه وفلسفته حتى لقب بجاحظ خراسان ألف نحو ستين كتاباً وقد توفي ببلخ في عهد السعيد نصر بن أحمد الساماني ، عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٦٩٦ .

(١٦٤) أبو القاسم الكعبي : ت ٣١٧هـ /٩٢٩م . هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد ولد ببلخ وكان من كبار المعتزلة له مذهب خاص وأتباع يقال لهم الكعبية ، عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٦٥٧ .

(١٦٥) ف بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية (تحقيق حمزة طاهر) (دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢م) ، ص ٨١ .

(١٦٦) نفس المرجع ، ص ٩٣ .

(١٦٧) ابن سيناء – ت ٣٨٠ – ٤٣٨ هـ / ٩٨٠ – ١٠٤٦هـ . هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سيناء من أهل بلخ انتقل منها إلى بخارى وقد شهد ابن سينا سقوط بخارى في يد أمير غزته سبكتكين ثم سافر إلى الري و همذان واتصل بعدد من العلماء مثل البيروني وابي الخير الخمار ، وظل كتابه القانون يدرس في الشرق . عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٥٣٥ .

(١٦٨) الفارابي : ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م : هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان فارسي الأصل تنقل في عدد من المدن الإسلامية مكث بدمشق ولقب الفارابي بفيلسوف المسلمين والمعلم الثاني . وكان يجيد العزف على العود وألف كتباً في

الطبيعة والإنسان والنفس والعقل . كان الأمير نوح بن أسد الساماني قد سمح له بدخول دار كتبه والإطلاع على الكتب النادرة بها .

وفي مجال الفقه الإسلامي فقد نبغ عددٌ كبيرٌ من العلماء وبلغوا مبلغ الإجتهاد فيه مثل العالم السمرقندي (١٦٩) فقد رحل إليه كثير من الناس ليأخذوا العلم عنه وإليه يرجع كثيرٌ من المحدثين في حكمه على رجال الحديث كما يستعين بدراساته في الفقه علماء الشريعة الإسلامية.وكان الأمراء السامانيون يستعينون بالفقهاء في توطيد سلطانهم كما فعل إسماعيل بن أحمد (٢٧٩- ٢٩٥هـ/٨٩٢- ٩٠٧ م) وقد أعفاهم من تقبيل الأرض بين يديه .(١٧٠)

وفي بلاط السامانيين بلغت الجغرافيا العربية أوجها العلمي على الرغم من أن العرب قد تكشفوا قبل ذلك بزمن طويل عن عنايةٍ خاصةٍ بوصف البلدان . كذلك عنيت الكتب المؤلفة في الخراج بالتنظيم المالي مما جعل الدولة السامانية تهتم اهتماماً كبيراً بشئون البلدان والشعوب المجاورة وبرز ذلك بصورة خاصة في اهتمامهم بالجغرافيا .(١٧١)

أما الصناعات فقد ازدهر عددٌ منها في ظل السامانيين، منها صناعة الخزف وخاصة الأواني الخزفية ذات الكتابات الكوفية التي تتخذ موضوعاتٍ زخرفيةً وبرز الفنانون الذين يجيدون مثل هذه الأعمال بفضل تشجيع الأمراء السامانيين، كذلك صناعة الجواهر واللؤلؤ والزمرد والماس، وغيرها من الأشياء والتي كان يرغب فيها السلاطين والأمراء .(١٧٢)

إلى جانب هذه النهضة الأدبية والعلمية فقد اهتم الطاهريون والصفاريون والسامانيون والزياريون بإحياء تراث آبائهم وأجدادهم . فنجد أن الطاهريين

الموسيقى وسمي بالفارابي لأنه ولد في محلة وسيج الواقعة في إقليم فاراب الواقعة بما وراء النهر . ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٥٥٧

(١٦٩) السمرقندي : ت ٢٥٤هـ / ٨٦٧م . هو أبو حاتم محمد بن حيان السمرقندي ولي قضاء سمرقند وقد برع في مجال الفقه وكان ملماً بالحديث مجتهداً لا يقلد أحداً . عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨٧ .

(١٧٠) ابن النديم، محمد بن إسحاق ، الفهرست ، (القاهرة ١٣٤٨هـ) ، ج٢ ، ص ١٤٥ .

(١٧١) المسعودي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢١٢ – ٣.

(١٧٢) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

والسامانيين يحتفلون بالنيروز والمهرجان (١٧٣) في شيء من الأبهة والعظمة وكانوا يخلعون في النيروز والمهرجان الخلع على قوادهم وخواصهم ويقيمون الأفراح والإحتفالات التي تقدم فيها الأغاني وتعزف فيها الموسيقى وهناك ألحانٌ خاصةٌ تعزف في النيروز والمهرجان . وبجانب احتفالاتهم بالنيروز والمهرجان، نجدهم يحتفلون بعيدي الفطر والأضحى واستقبال رمضان ووداع واستقبال الحجاج فكانت تضاء الأسواق وتعلق الزينات وتذبح الأضاحي وتفرق على الفقراء والمساكين وتقدم لهم الحلوى ويفرقون الكسوة على أفراد الشعب والأيتام .(١٧٤)

كذلك احتفل الزياريون بليلة الوقود (١٧٥)والنيروز والمهرجان، فقد قيل أن مرواديج بن زيار كان يؤكد انتسابه للأكاسرة الفرس، بل كان يعمل للتشبه بهم فقد روي أنه سأل عن تيجان الفرس وهيئتها فمثلت له فاختار صفة تاج كسرى فعمل له تاج من ذهب جمعت فيه أنواع الجواهر والأحجار الكريمة، وجعل أمامه سرير من الفضة على فرش مبسوط ودون ذلك كراسي ليرتب أصحاب الأقدار مراتبهم للإجلاس .

أما في مجال العمارة والبناء، فنجد أن الطاهريين الصفاريين والسامانيين والزياريين قد اهتموا ببناء القصور المحلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج عليها صورٌ من الجص المجسم برسوم هندسية وزخارف نباتية ورسوم

لحيوانات من الجوارح التي ترمز للقوة مثل الأسود والفهود والعقاب ومظاهر للصيد والغناء والرقص. كما كانت طبقاتها مغطاةً بستورٍ من الديباج مزينة بالرسوم التي كانت من مميزات الفن الفارسي .(١٧٦)

كذلك اهتموا ببناء المساجد فعملوا على إنارتها وأوقفوا عليها الأوقاف، فكانت مبنية من الآجر، واتخذت قبابها ومآذنها أشكالاً هندسية، وغطت أسقفها بأشكال هندسية دائرية أو نصف دائرية .(١٧٧)

---

(١٧٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(١٧٤) نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣٤٨ .

(١٧٥) ليلة الوقود : ليلة اشتهرت عند الفرس بإحياء الألعاب النارية ، المسعودي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٤٣ .

(١٧٦) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي ، الخطط ، (بيروت ١٩٦١م) ، ج١ ص ٣١٧.

ومن أجمل مباني السامانيين في العمارة الإسلامية مشهد الأمير إسماعيل ثاني أمراء البيت الساماني ، ولهذا المشهد أهميةٌ كبيرةٌ في الفن المعماري .

كذلك من المباني قبر الأمير قابوس الذي بناه من الآجر، وهو عبارة عن أسطوانةٍ كبيرةٍ مغطاةٍ بسقفٍ مخروطي الشكل والهيكل تقطعه عشر حافات بارزة، وقطر دائرته تسعة وخمسون قدماً، وسمك الحيطان سبعة عشر قدماً والإرتفاع من الأرض إلى رأس المخروط مائة وستون قدماً .(١٧٨)

أما في مجال العمارة العسكرية فقد اهتموا ببناء الاستحكامات الحربية من قلاع وحصون ، وحفروا الخنادق وشيدوا الأسوار وبنوا المدن العسكرية، حيث تقيم فيها مجموعة من الجند تصرف لهم الرواتب العالية ويقطعون الأراضي الزراعية المجاورة.

وكان الجيش الصفاري من أكثر الجيوش انضباطاً وطاعةٍ لزعيمه الذي كان مهتماً به اهتماماً بالغاً، حتى وصفت الإمارة الصفارية بالإمارة العسكرية .

تكون الجيش الصفاري من المتطوعة من جنسيات مختلفة، واستطاع يعقوب بن الليث الصفار أن يستفيد من هذا التجمع ، وأن يوجهه لتكوين دولة تستمد سلطانها الشرعي من الخلافة . وكان يشرف بنفسه على توزيع الأعطيات والأرزاق على الجند، فعمل على أن تكون صلته بالجنود جميعاً مباشرةً . أما قيادة الجيش فكانت منظمة وموزعة بين رجالٍ يوثق فيهم وتختلف مراتبهم حسب كفاءتهم .(١٧٩)

أما بخصوص أسلحتهم فكانوا يستخدمون السيوف والرماح والمزارق (١٨٠) وكان الفرسان يستخدمون الرماح الطوال، وكذلك الأقواس وكانوا يلبسون الدروع .(١٨١)

---

(١٧٧) أحمد كمال الدين حلمي ، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران منذ أقدم العصور حتى العصر الغزنوي ، (الكويت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

(١٧٨) نفس المرجع ، ص ٣٠٩ .

(١٧٩) أحمد كمال الدين حلمي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

(١٨٠) المزارق ، وهو الرمح الصغير في رأسه سنان من الفولاذ الحاد وطوله ثلاثة أذرع وكان خاصاً بالمشاة ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٧٦ .

كذلك اهتم الطاهريون والسامانيون بإعداد جيوشهم من حيث التدريب والتأهيل، وتم تزويدها بالسيوف والرماح وكانت جيوش الطاهريين لا تكف عن حماية مناطق الأطراف، ومحاربة الخارجين عن القانون والمناوئين للخلافة .

كذلك استطاع السامانيون بقوة جيوشهم صد غارات أعدائهم الأتراك الذين كانوا يغيرون على دولتهم . (١٨٢)

أما الجيش الزياري فبرغم من أن مرداويج قد اتخذ له جيشاً جند له أربعة آلاف من الأتراك، إلى جانب خمسين ألفاً من الديلم وقام بتسليحه بالسيوف والرماح والمطارد (١٨٣) وأقواس الناوك (١٨٤) وبذل لهم الإقطاعات والمنح فبرغم كثرة جيشه ونظامه، إلا أنه يفتقد إلى طاعة قائده والإخلاص له، ويبدو هذا في قتلهم لزعيمهم مرداويج على عكس الجيش الصفاري الذي كان ولاؤه لزعيمه كبيراً .

وهكذا نرى أن هذه الدول وبرغم انفصالها عن الخلافة العباسية إلا أنها أسهمت في النهضة الاقتصادية مما كان له الأثر في إثراء الحركة العلمية والأدبية في المشرق العربي .

---

(١٨١) الدروع : هي ثوب منسوج من حلقات حديدية متداخلة بعضها مع بعض ويسمى الزرد ويلبس على الجزء الأعلى من الجسم وله أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع . ويلبس تحت الدروع ثوب مبطن يحمي الجسم ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢، ص **٤٨٣**

(١٨٢) أحمد كمال الدين حلمي ، مرجع سابق ، ج **٣** ، ص **١٥٥** .

(١٨٣) المطارد : هي رماح قصيرة ولكنها أشد طعناً من الرماح الطويلة ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج**٣** ، ص **٣٤٥** .

(١٨٤) الأقواس الناوك : هي اقواس كبيرة تنصب على الأبراج والأسوار يحتاج إلى شدوترها عدد من الرجال والسهم الواحد منها يصيب عدة أشخاص في دفعة واحدة . ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج**٢** ، ص **٦٥٣** .

البويهيون في دار الخلافة

المبحث الأول

تولي إمرة الأمراء والسيطرة على الخلفاء

كان الخليفة العباسي الزعيم الروحي لدولة المسلمين وهو رمز السيادة الدينية وكان يتمتع حتى نهاية عصر نفوذ الأتراك ببعض الإمتيازات والحقوق التي ورثها منذ قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م . كانت تلك الإمتيازات رمزاً لسيادة الخلفاء العباسيين السياسية والدينية . وتشمل حق الخليفة في تعيين وزيرٍ يعاونه ، وإقامة الخطبة له في المساجد ، ونقش اسمه على السكة، وضرب الطبول أمام داره في أوقات الصلوات الخمس . فكانت أولى إجراءات البويهيين هي السيطرة على مقاليد الأمور وإضعاف هيبة الخلافة . فبعد دخول معز الدولة أحمد بن بويه بغداد سنة ٣٣٤هـ /٩٤٥م أجبر في ثاني يوم من وصوله على أن يأذن الخليفة المستكفي لابن شيرازاد بالظهور وأن يستكتبه [١٨٥] وكان الخليفة قد أقسم أن لا يتصرف بن شيرازاد في دولته [١٨٦] وقد أجابه الخليفة المستكفي على كره منه ورغم ذلك وعندما شك معز الدولة في الخليفة دبر مؤامرة لخلعه [١٨٧] فحضر معز الدولة إلى دار الخلافة وحضر رجلان من نقباء الديلم وهما يصيحان بالتحية للخليفة المستكفي وتظاهرا برغبتهما في تقبيل يده فمد المستكفي يده إليهما فجذباه وطرحاه أرضاً ووضعا عمامة في عنقه وجراه ماشياً إلى بيت معز الدولة حيث اعتقل بها[١٨٨] وسلمه معز الدولة للمطيع[١٨٩] الذي بويع بالخلافة في سنة ٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٤م فسمله المطيع وحبسه إلى أن توفي في سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م .[١٩٠]

---

(١٨٥) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧، ص ٢٥٤ .

(١٨٦) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

(١٨٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٢٥ .

(١٨٨) نفس المصدر، ج٣، ص١٥٥ .

(١٨٩) المطيع : هو الفضل المطيع لله بن المقتدر بويع للخلافة بعد وفاة المستكفي ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص ١٧٠ .

(١٩٠) نفس المصدر، ج١١، ص١٩٥.

كان الخليفة المطيع ألعوبةً في يد معز الدولة وقد سيطر عليه سيطرة كاملة بحيث لم تعد له سطوةٌ ولا سلطةٌ وقدر له في الشهر ثلاثة آلاف درهم لنفقته وقد بلغ من استهانة معز الدولة بالمطيع أنه كان يصحبه في معاركه التي يحاول بها تثبيت أقدام البويهيين في العراق(١٩١) فنجد معز الدولة يستصحب الخليفة معه في حربه مع ناصر الدولة(١٩٢) الحمداني في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وبعد أن انتصر أعاد الخليفة إلى داره في سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م .(١٩٣)

تكرر إخراج المطيع مع معز الدولة عندما كان يحارب أبا القاسم(١٩٤) البريدي والي البصرة ، وفي البصرة خلف معز الدولة المطيع واتجه للقاء أخيه عماد الدولة بارجان ، وبعد انتهاء زيارته عاد إلى بغداد وعاد المطيع إليها (١٩٥) وهذا يوضح مدى سيطرة معز الدولة على المطيع . ويذكر ابن الأثير(١٩٦) ما وصل إليه حال المطيع مع بني بويه عندما أغار الدمستق (١٩٧) ٣٦٢هـ/٩٧٣م على بلاد الإسلام في جموعٍ كثيرةٍ وتمكن من دخول نصبين (١٩٨) واستباحها خمسةً وعشرين يوماً ، مما دفع الناس إلى بغداد حيث هتفوا في الجوامع وكسروا المنابر ومنعوا الخطبة ، وتوجهوا إلى دار الخليفة وخلعوا بعض نوافذها ، ولم يحرك الخليفة ساكنا لأنه لا حول له ولا قوة .

---

(١٩١) نفس المصدر ، ج١٢ ، ص ١٧٣ .

(١٩٢) ناصر الدولة : هو أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان لقبه الخليفة المعتضد بناصر الدولة وخلع عليه وجعله أمير الأمراء وذلك في سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م . حكم الموصل سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م ، توفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١١ ، ص ٤٧ .

(١٩٣) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ٣٢٣ .

(١٩٤) أبا القاسم البريدي ، هو أبو القاسم بن عبد الله البريدي تولى السلطة بعد وفاة أبيه ، هزمه معز الدولة ففر إلى هجر ملتجئاً إلى القرامطة ، عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ١٤٩ .

(١٩٥) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ١٢٤ .

(١٩٦) الكامل ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ١٩٥ .

(١٩٧) الدمستق : هو النقفور ملك الروم من أغلظ الملوك قلباً وأشدهم كفراً وأقواهم بأساً وأكثرهم قتلاً للمسلمين . دخل حلب سنة ٣٥٢هـ /٩٦٢م وقتل أهلها وجعل جامعها اصطبلاً لخيوله . توفي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١١ ، ص ٢١١

(١٩٨) نصبين : مدينة على شاطئ الفرات وهي قريبة من حران ، ياقوت ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٩٥

وقد تجرأ الروم على بلاد الإسلام في ظل البويهيين لأنهم مشغولون باللهو والمجون وملذات الحياة تاركين أمر الجهاد .

أخيراً طلب عز الدولة بختيار بن معز الدولة (٣٥٦هـ-٣٦٧هـ/٩٦٨-٩٧٨م من المطيع تمويل الحملة التي أعدها من العامة والمرتزقة ، لمحاربة الدمستق [١٩٩]، فقال له المطيع : " إنما يلزمني من الغزو إذا كانت الدنيا في يدي وتدبير الأموال والرجال لي ، أما الآن وليس لي من ذلك شيء وإنما هو في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف فإن شئتم أن أعتزل اعتزلت وتركت الأمر كله لكم " .[٢٠٠]

وأصر بختيار على مطالبه خوفاً من شغب الجند وثورتهم . وأمام تهديد بختيار اضطر المطيع أن يلتزم بدفع اربعمائة ألف درهم اضطر من أجل الحصول عليها أن باع أغراض داره [٢٠١]. وشاع بين الناس أن الخليفة قد صودر [٢٠٢] وقد وصل من انحطاط رتبة الخلفاء أن اصبح أمر عزلهم وتوليهم في ايدي مماليك عز الدولة بختيار وسبكتكين[٢٠٣] الحاجب حيث تمكن من حصار دار عز الدولة لمدة يومين وأنزل أهله فيها ونهب ما فيها ونفاهم إلى واسط، ووصل به الأمر إلى إرسال الخليفة معهم فتوسل الخليفة إليه فعفا عنه وتركه بداره .[٢٠٤] أخيراً قام سبكتكين بعزل المطيع من الخلافة وسلمها إلى ابنه الطائع (٣٦٣-٣٨١هـ / ٩٧٣-٩٩١م) .[٢٠٥]

آلت الأمور للخليفة الطائع لله ولم يكن حاله مع بني بويه بأحسن من المستكفي أو المطيع فقد سيطر عضد الدولة بن بويه (٣٦٧-٣٧٥هـ/٩٧٧-

---

(١٩٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

(٢٠٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٢٠١) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

(٢٠٢) نفس المصدر ، ج ٢، ص ٢٢٠ .

(٢٠٣) سبكتكين : من مماليك عز الدولة بختيار وحاجبه وقد ترقى في المراتب حتى آل له الأمر إلى أن قلده الطائع الإمارة وخلع عليه وأعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة توفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٧م . وكانت مدة ايامه في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً . أبو المحاسن ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤١م)، ج٣ ، ص ١٠٨ .

(٢٠٤) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢٠٥) أبو المحاسن ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ١٣٤ .

٩٨٢م) على كل شيء وأصبح له الأمر والنهي حتىأن الطائع أمر أن تضرب الدبادب على بابه وقت الصبح والمغرب والعشاء ، وأن يخطب له على المنابر [٢٠٦].

قال أبو المحاسن : " [٢٠٧] وهذا أول ملك دقت الطبلخانة [٢٠٨]على بابه وصارت عادة من يومئذ " .

ويذكر الذهبي [٢٠٩] : " وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أطلق لولاة العهود ، ولا خطب بحضرة السلطان إلا له ولا ضربت الدبادب إلا على بابه وما ذاك إلا لضعف أمر الخلافة " .

هذا وقد تكرر مع الطائع ما حدث مع المستكفي وذلك في عهد بهاء الدولة في سنة ٣٧٩-٤٠٥هـ/٩٨٩-١٠١٨م حين احتاج إلى الأموال لحربه مع الطامعين في المنصب من آل بويه ، فشغب الجند فقبض بهاء الدولة على وزيره سابور [٢١٠] ليستخلص منه مالاً فلم يجد عنده ما يكفيه ، فأشار بالقبض على الطائع ليفوز بالكثير من المال ، أرسل بهاء الدولة للطائع للمثول بين يديه لتجديد الطاعة فأذن له الخليفة في ذلك فلما دخل بهاء الدولة قبل الأرض ، وأجلس على كرسي مظهراً الولاء الشكلي للخليفة ، ثم دخل بعض الديالمة وتظاهر برغبته في تقبيل يد الخليفة فلما مد الخليفة يده جذبه وأنزله عن سريره والخليفة يستغيث فلا يلتفت إليه أحد [٢١١] ثم أخذ بهاء الدولة كل ما وجد في داره وحمل الخليفة إلى دار بهاء الدولة حيث

---

(٢٠٦) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ .

(٢٠٧) النجوم الزاهرة ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢٠٨) الطبلخانة : كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٢٠٩) الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد ، دول الإسلام ، (الكويت ١٩٦١م)، ج ١١ ، ص ١٩٧ .

(٢١٠) سابور : هو أبو نصر سابور ابن اردشير ولد بشيراز سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م ولي الوزارة للأمير بهاء الدولة ثلاث مرات في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م بالإشتراك مع أبي منصور من صالحان ثم في سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م ولما شخص الأمير بهاء الدولة إلى فارس أنابه عنه في حكم بغداد كان من أكابر الوزراء توفي سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م وكان عمره إذذاك يقارب الثمانين ، ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، (حيدر اباد ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

(٢١١) ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج٢، ص ١٤٥ .

اشهد على نفسه بالخلع بعد خلافةٍ دامت ثمانية عشر عاماً تحت التسلط البويهي . (٢١٢)

كان بهاء الدولة قد مثل بالخليفة الطائع حياً فقطع أذنيه وجدع أنفه وكان لهذا أثرٌ سيءٌ في نفس الشعب العربي الذي أهينت كرامته من خلال إذلال الخليفة العباسي .

وتولى بعده الخليفة القادر بالله في سنة ٣٨١-٤٢٢هـ٩٩١-١٠٣١م)(٢١٣) وفي عهده استبد أربعة من أمراء بني بويه وهم بهاء الدولة وأبناؤه (٢١٤)ولم يكن للخليفة القادر سوى السلطان الروحي وتميز هذا العهد بأنه عهد اضطراب بين أهل البيت البويهي مما أضعف سلطانهم وهدد البيت البويهي كله بالإنحلال .(٢١٥)

وعلى ذلك فالخليفة القادر لم يكن وضعه يختلف عمن مضى من قبله من الخلفاء مع أمراء وسلاطين بني بويه وإن كان ضعف البيت البويهي آنذاك قد أتاح له شيئاً من الكلمة والنفوذ .(٢١٦)وقد شهد عهده إنحلال أمر الخلافة والسلطة جميعها ببغداد .

لم تقتصر المتاعب التي نجمت عن سيطرة البويهيين على الخفاء العباسيين وإنما شملت العامة في بغداد أيضاً ، فقد نزل معز الدولة بدار مؤنس ونزل أصحابه في دور الناس ، فلحق الناس من ذلك شدةٌ عظيمةٌ (٢١٧)كذلك الحرب التي دخلها معز الدولة بعد دخوله بغداد مع الأمير ناصر الدولة الحمداني المتغلب على الجزيرة

---

(٢١٢) نفس المصدر ، ج٣، ص ١٣٤ .

(٢١٣) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٢١٤) ١/ سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣-٤١١هـ/١٠١٢-١٠٢٠م) ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٧٧

٢/ مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة (٤١١ – ٤١٦هـ / ١٠٢٠-١٠٢٥) ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١١، ص ٢٤٥

٣/. جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة (٤١٦ – ٤٣٥هـ ١٠٢٥-١٠٤٣م) ، ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

(٢١٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٩٤ .

(٢١٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٢١٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

والموصل [٢١٨] وقد جرت تلك الحروب الويلات على أهل بغداد خاصة وإنها جَرَت في سنة قحط ، وقد غلت الأسعار غلاءاً فاحشاً حتى عدم الناس الخبز، وأكل الناس الموتي والجيف والحشيش والميتة ، [٢١٩]وبعد أن تحقق النصر لقوات البويهيين انقض جند معز الدولة من الديالمة على الجانب الشرقي من بغداد وغالبيته من أتباع أهل السنة والجماعة ، فأعملوا فيه حرقاً ونهباً وقتلاً دونما تفريق بين جند ناصر الدولة وبين العامة الذين مات منهم عددٌ كبيرٌ [٢٢٠] وفي عام

(٣٣٤هـ/٩٤٥م) عندما شغب الجند على معز الدولة وطالبوه بالأموال فاضطر إلى أخذ أموال الناس من غير وجوهها . وقد ساءت أحوال الأراضي الزراعية وأدى ذلك للأزمة الاقتصادية وانعدام الغلات واختفاء السلع واحتكارها عند بعض التجار .[٢٢١]

وفي سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) عندما قرر معز الدولة أن يبني لنفسه الدار التي عرفت بالدار المعزية ، قدرت تكلفتها بما يقارب الثلاثة عشر ألف ألف درهم [٢٢٢] .

وقد قام الأمير البويهي بمصادرة الدواوين وغيرها من أجل تغطية نفقاتها، كما إنه قام بإرغام الناس على بيع أملاكهم ليدخلها في البناء، وقد أدت تلك المصادرات إلى تردي الأوضاع فانعدم الأمن وكثرت حوادث النهب والإرهاب وزاد اضطراب المجتمع في جميع نواحيه ، حتى بطلت الأسواق وتعطلت المعايش وتعذر على أكثر الناس الوصول إلى ماء دجلة حتى شربوا ماء الآبار، وصاروا في شبه حصار[٢٢٣] وإزاء هذه الأحداث تصدى الشعب للتسلط البويهي ففي عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م عندما اقتحم الحمدانيون بغداد لإسقاط السلطة البويهية المتغلبة وقف أهل بغداد مساندين للجهود الحمدانية وتعرض الديلم للشتم والسب والقتل ببغداد .[٢٢٤]

---

(٢١٨) إبن الأثير، مصدر سابق، ج٨، ص٢٤٤.

(٢١٩) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٢٢٠) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .

(٢٢١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٢٢٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .

(٢٢٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(٢٢٤) نفس المصدر ، ج ٣، ص ١٠٩ .

وفي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م قامت ثورة شعبية اسقطت السلطة البويهية فيها وساندت أبناء ناصر الدولة (إبراهيم والحسين) في إعادة الإمارة الحمدانية للموصل وكان الشعب قد عزم على قتل جميع عناصر السلطة البويهية في الموصل ، ولكن الحمدانيين قاموا بتهدئة ثورة الشعب بإخراج عناصر التسلط البويهي من الموصل على أسوأ حال بعد تعرضهم للسب والرمي بالحجارة .[٢٢٥]

كذلك سخط أهل بغداد على البويهيين بسبب تعطيل الجهاد ، وقام خطباء المساجد بدورهم في تهيئة الناس وتوجه إلى دار الحاكم البويهي عددٌ من العلماء منهم أبو الحسن علي بن عيسى الرماني [٢٢٦]وا بن الدقاق [٢٢٧]الحنبليين توجها إلى دار بختيار وحرضوه على قتال الروم رداً على إغارة الروم على ديار بكر في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م .[٢٢٨]

كما سخطوا أيضاً على سياسة التعسف البويهي التي أرهقت كاهل الناس بالضرائب وغيرها . ففي عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م اعتدى صاحب المعونة على أحد المواطنين وقتله فثار الشعب وقبض على صاحب المعونة وقتله قصاصاً ثم هاجم الشعب السجون وأخرج من فيها .[٢٢٩]

---

(٢٢٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٢٢٦) الرماني : ابي الحسن علي بن عيسى الرماني كان إماماً في علم العربية علامة في الأدب أخذ عن ابن السراج وابن دريد وابن الزجاج له تصانيف في جميع العلوم مثل النحو ، الفقه ، الكلام ، من أشهر كتبه تفسير القرآن الكريم ، كتاب الحدود ، كتاب معاني الحروف وغيرها . توفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٥م ، عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٨٢٦ .

(٢٢٧) الدقاق : أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر فقيه أديب تولى القضاء ببغداد ودرس الفقه على أبي الحسن الكرخي . له كتاب الأصول على المذهب الشافعي ، وكتاب الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان عن الشيوخ الثقات في الأصول توفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ٢٠٦ .

(٢٢٨) ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٢٢٩) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٩٦ .

وشهدت مدينة نصيبين عام ٣٧٢هـ/٩٨٢م ثورةً شعبيةً ضد الوالي البويهي الحسن بن بشر الذي وصف بالظلم والتعسف ، وساس الناس بالشر واستحل الحرمات ، وهاجم أهل بغداد داره وقبض عليه وهو يحاول الهرب وتم قتله [٢٣٠]كما رفضت العامة السياسة المالية التي فرضها البويهيون ففي سنة ٣٧٣هـ/٨٩٣م . رجموا الوزير ابن سعدان [٢٣١] ٣٧٤هـ/٩٨٤م بالحجارة .[٢٣٢]

حاول صمصام الدولة (٣٧٣-٣٧٦هـ/٣٨٩/٩٨٦م فرض ضريبة العشر على المنسوجات [٢٣٣]. غضب الشعب واجتمع في جامع المنصور وكاد الأمر أن يتحول إلى ثورة شعبية إلا أن صمصام الدولة أذعن لإرادة الشعب وألغى مشروع الضريبة . [٢٣٤]

وفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م قامت مناوشات بين أهل بغداد والسلطة البويهية بسبب الضرائب التي فرضها وزير جلال الدولة

إبن ماكولا[٢٣٥] على المواد الغذائية وبعض الأعمال الحرة وهاجم أهل بغداد دار الوزير ومقر كتاب ومتصرفي الدولة وأضرموا النار فتدخل جلال الدولة وأزال الظلم عن الناس .[٢٣٦]

وفي عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م قاوم أهل بغداد بشدة قرار تلقيب جلال الدولة " شاهنشاه المعظم ملك الملوك " ولما خطب له بذلك على المنابر ثاروا على الخطباء وضربوهم بالحجارة . [٢٣٧]

---

(٢٣٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

(٢٣١) ابن سعدان : هو الحسن بن احمد بن سعدان وزير صمصام الدولة ساهم في تنظيم مالية الدولة وتحسين مواردها . اشتهر بالحلم والشجاعة وحسن التدبير ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

(٢٣٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٨ .

(٢٣٣) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٢٠١ .

(٢٣٤) ابن الأثير ،مصدر سابق ، ج٩ ، ص ٣٠٤ .

(٢٣٥) ابن ماكولا : هو أبو علي الحسن بن جعفر بن ماكولا وزير جلال الدولة بن بهاء الدولة عام ٣٨٧هـ/٩٩٠م اشتهرت عائلتهم بعمل بعض أفرادها في الوزارة منهم أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن ماكولا الذي وزر أيضا لجلال الدولة أبو القاسم هبة الله بن علي بن ماكولا وقدولي الوزارة لجلال الدولة ثلاث مرات ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ .

(٢٣٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص ٣٠٤ .

وتعد الحركة التي قام بها عمران بن شاهين[٢٣٨] رمزاً للمقاومة ضد السلطة البويهية حيث لاحظ هذا القائد ما يفعله البويهيون بالبلاد وعدم مقدرة الخليفة على الحد من نفوذهم فأراد أن يضعف من قوتهم فتحصن في منطقة البطيحة[٢٣٩] وتمكن من دحر عدة هجمات قامت بها القوات البويهية في سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م حتى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م مما اضطر الحاكم البويهي إلى مهادنته والإعتراف به أميراً على هذه المنطقة .[٢٤٠]

كما قامت نتيجة لهذه الظروف ثورة أمراء بني عقيل[٢٤١] ضد السلطة البويهية واستمرت هذه الثورة حتى سقوط الدولة البويهية سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ومن
الثورات أيضاً ثورة المزيديين [٢٤٢] حيث قاوموا البويهيين مما اضطرهم لعقد صلح معهم في سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م بسبب الأزمة الإقتصادية . ولكن الصلح لم يستمر واستمرت مقاومة بني مزيد للسلطة البويهية وزرع الفتنة بين أفرادها حتى سقوطها.[٢٤٣]

---

(٢٣٧) نفس المصدر ، ص ١٣٧ .

(٢٣٨) عمران بن شاهين : من قبيلة سليم التي تسكن في جنوب العراق كون عمران قاعدة شعبيةكبيرة من أهالي البطائح قاوم بها التسلط البويهي أرسل له معز الدولة حملة عسكرية بقيادة وزيره أبي جعفر محمد بن أحمد الصيمري عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م وتوفي الصيمري قبل الحرب فجهز معز الدولة القائد روزبهان الديلمي لحرب عمران وهزم عمران جيش معز الدولة . ظلت إمارة عمران بن شاهين مرهوبة الجانب حتى توفي في عام ٣٦٩هـ/٩٧٨م . أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٠ .

(٢٣٩) البطائح : هي مساحات شاسعة تغمرها المياه فيما بين واسط شمالاً والبصرة جنوباً عرفت بالبطائح . ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(٢٤٠) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

(٢٤١) بنو عقيل : من العرب العدنانية بدا تاريخهم السياسي عند قيام أمارتهم في الموصل عام ٣٨٠هـ:٩٩٠م وقد كان ضعف الأمارة الحمدانية قد مهد لظهور الأمارة العقلية أول زعمائها محمد بن المسيب السامرائي ، مرجع سابق ، ص ١٩٤م .

(٢٤٢) المزيديين : بنو مزيد من العرب العدنانية يرجع نسبهم إلى عدنان بن خزيمة بدأ نشاطهم السياسي عندما طلب الوزير أبو محمد المهلبي وزير معز الدولة البويهي من زعيمهم مزيد بن الريان حماية منطقة سور وسوادها ، السامرائي ، مرجع سابق ، ص ١٩١

(٢٤٣) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

وكذلك الدور الكبير الذي قام به العيّارون [٢٤٤] والشطار[٢٤٥] في زعزعة السلطة البويهية .

(٢٤٤) العيارون : جمع عيار والعيار هو الشخص الكثير التجوال الذي يتردد بلا عمل يخلي نفسه وهواها والعيار بالكسر الفرس الذي يحيد عن الطريق براكبه والعيار الكثير الطواف . كما يطلق العيار على الوزان او الكيال ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٩٥٥ –٦٢٢ .

(٢٤٥) الشطار : جمع شاطر وفعله الثلاثي شطر ويقال شطر عن أهله أي نزح عنهم وهجرهم ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٦، ص ٦٢٣ .

العيارون والشطار اصطلاحاً : هم علم على طائفة من اللصوص الشرفاء المتمردين على واقعهم الإجتماعي ذاع صيتهم في حقب الدولة العباسية أيام تفككها السياسي والأزمات الإقتصادية الخانقة ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٦٢٣ . لمزيد من التفاصيل أنظر صفحة ١٢٥ – ١٣٠ .

المبحث الثاني :

السيطرة على الوزارة :

كانت الوزارة [٢٤٦] في العهد التركي الأول قد انهارت مكانتها بعد أن عمل الأتراك للسيطرة عليها باعتبار الوزارة ثاني المراكز العليا في الدولة .

جاء البويهيون بغداد في عهد الخليفة المستكفي بالله فشغلوا منصب أمير الأمراء ثم صار لهم الحق في تولية الوزير دون غيرهم وصار هؤلاء الوزراء ينتسبون إليهم . [٢٤٧] ولم يعد للخليفة حق تعيين الوزير وكان يُعين للخلفاء كتاب يديرون لهم اقطاعاتهم المحدودة .

أحدث البويهيون تغييراً في نظام الوزارة حيث استخدم بعضهم وزيرين على غير ما جرت به العادة في استخدام الخلفاء العباسيين لوزير واحد . [٢٤٨]كان عضد الدولة بن بويه أول من اتخذ له وزيرين في آن واحد فقد استوزر نصر بن هارون [٢٤٩]وجعله على بلاد فارس كما استوزر المطهر بن عبد الله [٢٥٠] في بغداد . [٢٥١]

وفي عهد صمصام الدولة وفي سنة ٣٧٥هـ/٩٥٨م استوزر وزيرين هما أبي القاسم العلاء بن الحسن وأبو الحسن أحمد بن برمويه وخلع عليهما معاً

---

(٢٤٦) الوزير : أنشأ العباسيون في بداية توليهم الخلافة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م منصب الوزارة وجعلوه أعلى مؤسسة في الدولة بعد الخلافة أما قبل ذلك التاريخ فلم يكن المنصب موجوداً ، ومصطلح الوزير ورد ذكره في القرآن الكريم . قال تعالى : " واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري " سورة طه ، آية ٢٩ – ٣٠ .

الوزير لغة مشتقة من الوزر بمعنى الثقل أو العبء لأن الوزير يتحمل أعباء الحكم وأثقاله ، وثانياً من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر و يلجأ إلى رأيه ومعونته ، وفاء محمد علي ، مرجع سابق ، ص٨٣.

(٢٤٧) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٢٤٨) نفس المصدر، ج٣، ص٨٧.

(٢٤٩) نصر بن هارون : كان نصرانياً ويعتبر نصر بن هارون أول وزير غير مسلم يلي الوزارة في الدولة الإسلامية . استدعاه الأمير صمصام الدولة ليتولى له الوزارة ببغداد ، قتله الأمير شرف الدولة بشيراز ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٨٢ .

(٢٥٠) المطهر بن عبد الله ، ولد في مدينة آمل عاصمة طبرستان ، توفي في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ٢٣ .

(٢٥١) . ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج٣، ص ٢٨٧ .

" سيف وقباء [٢٥٢]ومنطقة) .[٢٥٣]

وكان لتنافس هؤلاء الوزراء اثره على الوزارة فقد تضاربت إختصاصاتهم وقراراتهم مما أدى لقيام الشغب احتجاجاً على فرضهم لضرائب فادحة من أجل توفير الأموال لتوزيعها على الجند .[٢٥٤]

في سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م استوزر الأمير بهاء الدولة أبا نصر سابور بن أردشير وابن صالحان[٢٥٥] فكانا يتناوبان القيام بأعمال الوزارة وكان كل منهما يأخذ الرشوة ويختلس من أموال الدولة وقاما بفرض ضريبة على الفلاحين مما أدى إلى ترك الفلاحين أراضيهم بوراً وأدى ذلك إلى قلة الإنتاج وارتفاع الأسعار مما تعذر على الفقراء والمساكين شراء ما يحتاجون إليه من مواد تموينية .[٢٥٦]

اسند الأمير فخر الدولة ٣٨٥-٣٨٧هـ/ ٩٩٥-٩٩٧م الوزارة إلى الوزير أبي العباس أحمد بن إبراهيم وأبي علي الحسن بن أحمد بن حموله بعد أن قدما له مبلغاً كبيراً من المال (رشوة) ليتوليا هذا المنصب ، وخلع عليهما خلع الوزارة على أن يوقع هذا يوماً وذاك في اليوم التالي ، فتضاربت القرارات وشغب الجند وتعطلت المصالح ، لأن كلاً من الوزيرين كان يحقد على الآخر ويعمل للتخلص منه بكل وسيلة .[٢٥٧]

استمر العداء بينهما بعد أن توفي فخر الدولة وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م تولى بعده ابنه مجد الدولة وتطلب الأمر خروج أحدهما على رأس أحد الجيوش لمحاربة

---

(٢٥٢) القباء : نوع من الثياب وسمي بذلك لاجتماع أطرافه ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ١٠ ، ص ١١٩ .

(٢٥٣) المنطقة : كل ما يشد به الإنسان وسطه أي (الحزام) وغالباً ما تكون من الذهب أو الفضة ، وأحياناً من الجلد أو القماش ، القلقشندي ، مصدر سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥٦ .

(٢٥٤) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١٩٩ .

(٢٥٥) ابن صالحان : هو منصور محمد بن الحسن بن صالحان عمل وزيراً أيضاً للأمير شرف الدولة بن عضد الدولة ترك العمل في الوزارة في سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م ، كان محسناً للعلماء والشعراء ، توفي سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م وعمره ست وسبعون سنة . مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

(٢٥٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ١٣٤ .

(٢٥٧) ابو شجاع ، محمد بن الحسين ، ذيل تجارب الأمم ، (القاهرة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م)، ج ٣ ، ص ١٠٨ .

أحد الخارجين على الدولة وكان كل منهما لا يرغب في الخروج حتى لا يستغل الآخر بالوزارة . (٢٥٨)

احتاج الجيش البويهي إلى مدد عسكري من الري فبعث ابن حمولة إلى أبي العباس الضبي من أجل ذلك ، ولكن أبا العباس تهاون في إرسال الإمدادات حتى يظهر عجز منافسه مما ترتب عليه هزيمة الجيش البويهي . ولما عاد ابن حمولة إلى الري قبض عليه أبو العباس الضبي وسجنه في إحدى القلاع ثم أنفذ إليه من قتله وانفرد بالوزارة . (٢٥٩)

وهذا يوضح مدى تهاون هؤلاء الوزراء في خدمة مصلحة البلاد مقارنةً مع مصالحهم الخاصة .

ولما آلت الأمور في بغداد إلى عز الدولة بختيار أخذ كاتباه أبو الفضل (٢٦٠) وأبو الفرج (٢٦١) يتنافسان على الوزارة ونجح أبو الفضل الشيرازي في الحصول عليها بواسطة أحد المقربين للأمير البويهي مقابل دفع مبلغ من المال وبعد عامين من تولي أبو الفضل للوزارة تمكن منافسه أبو الفرج من انتزاع منصب الوزارة منه بعدأن تعهد للأمير عز الدولة باستخراج مبلغ من المال من أبي الفضل الشيرازي وموظفيه وعماله في الولايات (٢٦٢) وتم له ما أراد وسجن ابو الفضل وصودرت أمواله .(٢٦٣)

وهذا التنافس على الوزارة كان له عواقب وخيمة على الدولة فقد كان من يتقلد هذا المنصب بالمال يعمل على استغلال منصبه ليحقق أطماعه ، واستعادة المال الذي دفعه للوصول لهذا المنصب ، فكثر فرض الضرائب على الناس وصودرت

---

(٢٥٨) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٣٩ .

(٢٥٩) نفس المصدر ، ج3 ، ص ١٤٠ .

(٢٦٠) أبو الفضل : هو ابو العباس بن الحسن الشيرازي ولد في مدينة شيراز وتولى الوزارة مرتين لعز الدولة بختيار ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

(٢٦١) أبو الفرج : هو محمد بن العباس بن فسانجس ولد بمدينة فارس وكان والده من أصحاب الثروات الكبرى ، قدم بغداد مع الأمير معز الدولة في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، عمر رضا كحالة، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٢٦٢) أبو شجاع ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢١٧ م

(٢٦٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

أموالهم واشتد الغلاء وارتفعت الأسعار فازدادت حدة الفقر وكثر اللصوص وقطاع الطرق . [(٢٦٤)]

كما قام هذان الوزيران باستخراج أموال كثيرة من مدينة استراباد مما أدى إلى غضب الناس وحدوث أعمال الشغب[(٢٦٥)]وساءت تبعاً لذلك الأوضاع الإجتماعية وتم تدخل السلطة (الوزراء) لقمع الشعب فوقع عدد كبير من القتلى والجرحى وعوقب من قبض عليه . [(٢٦٦)]

كان لسوء معاملة أمراء بني بويه لوزرائهم أثرٌ كبيرٌ في إضعاف هيبة الوزارة والحط من شأن الوزراء فنجد أن معز الدولة نقم على وزيره أبي محمد المهلبي [(٢٦٧)] فأمر بضربه بالمقارع خمسين مقرعة وحبسه في داره [(٢٦٨)] ثم صادره بعد وفاته . فقبض معز الدولة على أمواله وذخائره وكل ما كان له وأخذ أهله وأصحابه وحواشيه وذلك في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م . [(٢٦٩)]

لم يكن بنو بويه يتوانون عن مصادرة أكفأ وزرائهم فبعد وفاة الوزير الصاحب بن عباد [(٢٧٠)] أرسل فخر الدولة إلى داره من يتحفظ عليها ونقل جميع ما في الدار إليه [(٢٧١)] بل أن فخر الدولة أساء إلى سيرة الرجل الذي سانده ووطد له

---

(٢٦٤) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

(٢٦٥) أبي شجاع ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

(٢٦٦) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ .

(٢٦٧) المهلبي : أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي وزير معز الدولة . قام بأعمال الوزارة لمعز الدولة حين غاب وزيره أبو جعفر الصيمري وبذلك أتيحت له فرصة للإلمام بالأعمال الإدارية والتعرف على رسوم الوزارة ولما توفي أبو جعفر الصيمري في سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م عهدالأمير معز الدولة إلى ابي محمد المهلبي بأعمال الوزارة وامتاز بالشجاعة والمروءة . توفي سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م وهو يقود الجيش البويهي لقتال الوالي على البطيحة عمران بن شاهين ، ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(٢٦٨) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٣١٥ .

(٢٦٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٢٧٠) الصاحب بن عباد ، هو ابو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس ولد بالطالقان سنة ٣٢٤هـ/٩٢٥م أخذ الأدب عن ابن العميد ولي الوزارة لمؤيد الدولة بن ركن الدولة توفي سنة ٣٥٨هـ/٩٩٤م . وأغلقت مدينة الري ومشى فخر الدولة أمام الجنازة . وجلس للعزاء أياماً . ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ٣٤١
ذكر بعض المؤرخين أن الصاحب بن عباد هو أول من لقب بالصاحب من الوزراء وصار هذا اللقب علماً عليه وقد لقب بهذا اللقب لمصاحبته الوزير ابن العميد وقيل أيضاً لأنه كان يصحب الأمير البويهي مؤيد الدولة فلما آلت الأمور لمؤيد الدولة استوزره وسماه الصاحب ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٣٠ .

(٢٧١) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

ملكه ، وذلك حين طلب من الوزير أبي العباس الضبي تحصيل أمواله ، فقال له : " إن الصاحب أضاع الأموال ، وأهمل الحقوق وينبغي أن يستدرك ما فات منها " فاشترك أبو العباس وابن حمولة في القبض على أصحاب الصاحب بن عباد وتمت مصادرتهم .[٢٧٢]

ساء مصير الوزير ابن بقية [٢٧٣] كذلك وكان سبب ما أصابه أنه دفع عز الدولة بختيار إلى حرب ابن عمه عضد الدولة فلما انهزم عز الدولة نسب ذلك إلى رأيه ومشورته فقبض عليه في مدينة واسط سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م . وسملت عيناه ولزم بيته . [٢٧٤]

ولما بدأ عضد الدولة حكمه في العراق وبعد أن استقرت له الأمور بلغته بعض الأقوال عن ابن بقية فأمر بطرحه بين أرجل الفيلة فمات ثم صلب على شاطئ دجلة .[٢٧٥]

أيضاً قبض عضد الدولة على وزيره أبي الفتح بن العميد [٢٧٦] وصادر أمواله ونكل به حيث فقأ إحدى عينيه وجدع أنفه وجز لحيته ثم قتله ، فضلاً عن طمع مؤيد الدولة في ثروته .[٢٧٧]

تعرضت الوزارة لأسوأ حالاتها في عهد الأمير جلال الدولة بتولي هذا المنصب في العشر سنوات الأولى من حكمه عدد من الوزراء لم يستطع معظمهم الاحتفاظ بمنصبه سوى بضعة أشهر بسبب ثورات الجند المتتالية، وكان عزلهم نتيجة

---

(٢٧٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .

(٢٧٣) ابن بقية : محمد بن بقية وزير الأمير البويهي عز الدولة بختيار كان يعمل في عهد معز الدولة ضامناً لمدينة تكريت وأعمالها ثم تقلد الإشراف على مطبخ عز الدولة بختيار . استطاع أن يكسب ابن بقية ولاء الجند البويهي له بما يقدمه لهم من أرزاق وهدايا . وصفه بعض المؤرخين والكتاب بالكرم والسماحة وسعة الصدر ، رغم اتفاق المؤرخين والكتاب على أن ابن بقية لا يستحق الوزارة لأنه غير مؤهل لها . توفي سنة ٣٦٧م . أبي شجاع ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦١ – ٣٦٤ . .

(٢٧٤) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢٧٥) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢٧٦) أبو الفتح بن العميد : هو ابو الفتح بن الفضل بن العميد خلف أباه في وزارة ركن الدولة كان أديباً وفصيحاً بليغاً وصفه الثعالبي بقوله : "كان نجيباً لطيفاً سخياً رفيع الهمة كامل المروءة " يتيمة الدهر ، مصدر سابق،ج ٣ ، ص ١٥٤ . وقد وزر لمؤيد الدولة بن بويه قام بمصالحة ركن الدولة مع ولده عضد الدولة . جمع أفراد البيت البويهي وأزال الخلاف الذي بينهم . سجنه مؤيد الدولة في إحدى القلاع ثم قتل بعد ذلك ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٦٢٨ .

(٢٧٧) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

للنزاع بين الأمير جلال الدولة وجنده في تحقيق مطالبهم وأرزاقهم وفشل الوزراء في ذلك .[٢٧٨]

في سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ثار الجند على الملك الرحيم ٤٤٠-٤٤٧/١٠٤٨-١٠٥٥م آخر أمراء البويهيين بحجة تأخير الوزير لبعض أرزاقهم فاختفى الوزير منهم .[٢٧٩] أخذ الجند في البحث عنه ، فنادوا في البلدان إن من وُجد الوزير في داره حُل دمه وماله ، ومن دل عليه فله مكافأة حسنة ، ثم أخذوا في السلب والنهب وأحداث الفوضى ، واستقل اللصوص ذلك فتنكروا في زي الجنود وقاموا بنهب الحوانيت في الأسواق وهاجموا الدور ونهبوها .[٢٨٠]

يتضح مما تقدم عدم نجاح النظام الوزاري الذي استحدثه بنو بويه المتمثل في إسناد الوزارة لوزيرين ، حيث أدى ذلك إلى تنافسٍ حادٍ بين الوزراء فأخذ كل منهم يعمل للتخلص من شريكه في الوزارة لينفرد بالسلطة وليجمع لنفسه أكبر قدر من الأموال على حساب الشعب المنكوب .[٢٨١]

خلاصة القول أن منصب الوزارة في العهد البويهي في معظم مراحله عمل لمصلحة البويهيين فكان من مهام الوزير الأولى هي إرضاء نهم البويهيين وإرضاء أجنادهم الطامعين . فنجد أن تسلط الأمراء البويهيين على الوزارة أدى إلى اضطراب المجتمع في جميع نواحيه . من فرض للضرائب واستخدام أساليب التعسف والجور في جبايتها مما ادى إلى عجز الممولين عن أدائها فرحل كثيرٌ منهم عن مزارعهم وقراهم وتركوها خراباً وهربوا للمدن فأدى ذلك إلى نقص الخراج وإلى ارتفاع الأسعار واختفاء بعض المواد التموينية واشتداد الغلاء فازدادت نتيجةً لذلك حالات الفقر وعندما ثار الناس كان مصيرهم الموت أو السجن أو المصادرة .

---

(٢٧٨) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٧٧ .

(٢٧٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٩٢ .

(٢٨٠) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١٩٧ .

(٢٨١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

المبحث الثالث :

محاولة السيطرة المذهبية على الدولة

كان لتأثر بني بويه بالنشأة الشيعية أثره في رؤيتهم بعدم أحقية العباسيين بالخلافة فكان أول ما فكر فيه معز الدولة أحمد بن بويه هو نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي .

وقد استشار جماعةً من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين إلى أحد العلويين ، فحذروه من سخط الناس عليه ومخالفتهم له ، لأن عامة الناس في الأقطار الإسلامية قد اعتادوا الدعوة العباسية ودانوا بدولتهم وأطاعوهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأظهروا له خطر تلك السياسة على مستقبل أمراء بني بويه ، فعدل معز الدولة عن رأيه لما قد يتعرض له سلطانه السياسي ومصلحته الخاصة من خطر وجود خلافة علوية قوية وفضل أن يستبد بالسلطة في ظل خليفةٍ عباسيٍ ضعيفٍ .[٢٨٢]

ولكن ورغم ذلك فقد عمل البويهيون على الدوام وخلال فترة سيطرتهم على الخلافة العباسية على إظهار تشيعهم وتشجيعهم لحركات التشيع [٢٨٣]ويظهر ذلك منذ بداية وصولهم بغداد حرص أحمد بن بويه كما حرص غيره من أمراء بني بويه ، على التظاهر أمام العامة بالتفاني في خدمة الخليفة العباسي ، وطاعته وتعظيمه ، وإجلاله والحرص على إحاطته بكل مظاهر التبجيل . أما حين ينفردون بالخليفة بمعزل عن العامة فإنهم يتعمدون إهانته وإذلاله ، وكذلك لم يكن الأمراء البويهيون يعيرون الخلفاء أي اهتمام في اتخاذ قراراتهم . وهذا يعكس الناحية التطبيقية لمبدأ (التقية)[*] عند الشيعة[*] وهو إظهار الإنسان ما لا يبطن .[٢٨٤]

كانت أولى الفتن بين الشيعة والسنة في عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م . وهي إدعاء رجلٍ من الشيعة أن روح الأنبياء تنتقل إليه وتم القبض عليه ووجدت في داره

---

(٢٨٢) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٤٩ .

(٢٨٣) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(*) التقية : لغة الخوف والحذر والكتمان ز اصطلاحاً : ترك فرائض الدين في حالة الإكراه أو التهديد بالإيذاء . ابن منظور ، مصدر سابق ، جزء ١٥ ، ص ٤٠٢ . أما التقية عند الشيعة فهي كتمان الحق وترك الواجب الشرعي وارتكاب المنهي عنه خوفاً من الناس وتمثل ركناً من أركان الدين عندهم وحكمها حكم الصلاة وتاركها كتارك الصلاة . ابن منظور ، مصدر سابق ، ج١٥ ، ص ٤٠٣ .

(*) الشيعة في اللغة أصلها المشايعة والمطاوعة والمتابعة ، . ابن منظور ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص ٥٤ . والشيعة في الإصطلاح هم الفرقة من الناس الذين تابعوا سيدنا علي كرم الله وجهه وأهل بيته حتى صار هذا اللفظ اسماً خاصاً بهم ، . ابن منظور ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص ٥٥ .

(٢٨٤) **نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٨٧ .**

كتبٌ كثيرةٌ تدينه بالزندقة وأمر الخليفة المطيع بحبسه ، ولكن معز الدولة أمر بإطلاق سراحه .(٢٨٥)

كذلك في عام ٣٤٠هـ/٩٥١م ظفر الوزير المهلبي بقوم يؤمنون بتناسخ الأرواح فقام بضربهم وأمر بحبسهم ، إلا أن معز الدولة أطلق سراحهم بعد أن إدعوا أنهم شيعة من آل البيت .(٢٨٦)

وقد شعر الشيعة بهذا التعاطف فاستغلوه أسوأ استغلال ، لا سيما وهم يرون أن قبضة البويهيين قويةٌ على الخلافة والخليفة فأخذوا في سب بعض الصحابة ، وأمر معز الدولة أن يكتب على مساجد بغداد لعن الصحابة وقد قام أهل السنة من جانب آخر بمحو هذه الكتابات في أثناء الليل ، مما أغضب معز الدولة حيث اعتبر أن فعل أهل السنة هذا تحدياً لإرادته ، وصمم على إعادة كتابة ما محي فنصحه الوزير الصيمري(٢٨٧) أن يكتب لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ذكر في اللعن معاوية بن أبي سفيان .(٢٨٨)

كما عمل معز الدولة من ناحية أخرى على إحياء المناسبات الشيعية والإحتفال بها على نحو لم يحدث من قبل فقد احيا معز الدولة مناسبة لم يكن يحتفل بها من قبل في بغداد وخراسان وهي عيد الغدير " غديرخم" (٢٨٩) وذلك في عام ٣٥١هـ٩٦٢م في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وذلك حيث يعتقد الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالأمر من بعده لابن عمه علي بن ابي

(٢٨٥) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٧٧.

(٢٨٧) الصيمري : هو ابو جعفر علي الصيمري وزير معز الدولة كان من المقربين لعضد الدولة وكان دائماً يعمل على نصحه وإرشاده . توفي سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م . وقد حدث بعد وفاته تنافس كبار رجال الدولة على الوزارة إلى أن تقلدها أبو محمد المهلبي ، مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

(٢٨٨) معاوية بن ابي سفيان ٤١–٦٠هـ / ٦٦٠ – ٦٨٠ م . أبو عبد الرحمن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي . اسلم بعد الفتح وعمره اثنان وعشرون عاماً ولاه أبو بكر رضي الله عنه قيادة الجيش وولاه عمر بن الخطاب ولاية دمشق وفي عهد سيدنا عثمان بن عفان جمع له ولاية الشام كلها . كان معاوية داهية من دهاة العرب ومن أوفرهم حظاً في السياسة وكان عاقلاً حكيماً حليم في موضع الحلم شديد في موضع الشدة ، ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٢٨٩) خم : هو وادي بين مكة والمدينة به غدير ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

طالب[٢٩٠] حيث قال : " من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار" .[٢٩١]

وتعتبر الشيعة أن ذلك يعني الوصية لعلي بقيادة أمر المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

كان أهل السنة في بغداد يعارضون هذه الإتجاهات ولكن لم يكن في يدهم حول ولا قوة يقفون بها في وجه معز الدولة ورغباته فكان كثيراً ما يحدث هذا اضطراباً وتوتراً بين السكان من الشيعة والسنة .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن معز الدولة أمر في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥٢هـ٩٦٣م أن تعلق الزينات وتشعل النيران وبأن تفتح الأسواق ليلاً كما في ليالي الأعياد وذلك احتفالاً بعيد الغدير [٢٩٢].

وهذا يوضح مدى التزام بني بويه بتقاليد الشيعة ومواسمهم إضافة إلى ما يمثله من امتزاج طبيعي بين عقائد المتشيعة وعقائد المجوسية والتراث الفارسي القديم .

في عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م كتب الشيعة على الأبراج " محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر[٢٩٣] "فاندلعت الفتنة بين السنة والشيعة ونهبت ثياب الناس في الطرق ، واشتبك الفريقان وأصابت نيران الفتنة الجانبين ، ففي حين قتل أهل السنة جماعةً من الشيعة عمد الشيعة إلى خان[٢٩٤] الحنفية فأحرقوه وقتل مدرسهم أبا سعيد السرخسي .[٢٩٥]

---

(٢٩٠) علي بن ابي طالب بن هاشم الهاشمي القرش ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول خليفة أبواه هاشميان ولد في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بويع بالخلافة لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٣هـ وبقي فيها خمسة أعوام . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ .

(٢٩١) أحمد بن حنبل الشيباني ، المسند ، (القاهرة ١٩٣٥م) ، ج ١١ ، حديث رقم ٩٥٠ ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٢٩٢) ابن كثير ، مصدر سابق ،ج 12 ، ص ١٦٣ .

(٢٩٣) نفس المصدر، ج١١، ص٧٥.

(٢٩٤) الخان :هو أماكن اتخذت للعبادة ، ابن منظور ، مصدر ساق ، ج ٦ ، ص ٢٣٣

(٢٩٥) أبو سعيد السرخسي : ت ٣٤٣هـ / ٩٥٤م . هو أبو سعيد عبد الرحمن السرخسي كانت له مكانة رفيعة بين أهل العلم وقد اشتهر بالذكاء والحكمة ومن كتبه كتاب نبذة عن مناقب أبي حنيفة كانت له دروس تعقد في الصباح والمساء ، عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م وقع صدامٌ عنيفٌ في يوم عاشوراء بين السنة والشيعة فهجم السنة على الشيعة في مسجدهم وقتلوا عدداً منهم .[٢٩٦]

وهكذا لم تعد حتى لأماكن العبادة حرمتها أمام هذا التعصب الأعمى بين طائفتين مسلمتين وقد ظل الحال هكذا حتى توفي معز الدولة في ٣٥٦هـ/٩٦٦م .

استمرت الفتن بين السنة والشيعة بعد وفاة معز الدولة فنجد في احتفال عاشوراء في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة سموها عائشة [٢٩٧]وتسمى بعضهم بطلحة [٢٩٨]وبعضهم بالزبير [٢٩٩]وقالوا نقاتل أصحاب علي فثارت بذلك فتنة كبرى راح ضحيتها الكثير من الجانبين . [٣٠٠]

لقد كانت مغالاة بني بويه في التشيع سبباً في عزل الوزير ابي الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي وحبسه ثم قتله بالسم وذلك أن حاجب الوزير قام بإحراق الكرخ " معقل الشيعة " لإخماد فتنة سببها أن صاحب المعونة الشيعي كان قد قتل عامياً فقتله العامة وأحرقوه فأرسل الوزير حاجبه لقمع الفتنة وكان شديداً ملتزماً بمذهب أهل السنة كارهاً للشيعة وحركاتهم فألقى النار في عدة أماكن ، فاحترق خلقٌ كثيرٌ ، وأموال لا تعد ولا تحصى ، فأمر بهاء الدولة بالقبض عليه – اي الوزير – ولقي مصيره .[٣٠١]

---

(٢٩٦) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٢٩٧) السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم . أمها أم رمان بنت عامر بن عويمر بن عبد يس بن عتاب بن سبع بن الحارث بن كنانة ، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وعمرها تسع سنين ، روت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفيت سنة ٥٧هـ٦٧٨م ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي " الإستيعاب في معرفة الأصحاب " تحقيق علي معوض وآخرين (دار الكتب ، بيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ص ٨٩ .

(٢٩٨) طلحة بن عبد الله من الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى شهيد على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبد الله . توفي متأثراً بإصابته بسهم في معركة الجمل سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ .

(٢٩٩) الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي يكنى أبا عبد الله أمه حفصة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وعمره خمس عشرة سنة شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بدراً والحديبية . كان تاجراً مجوداً في التجارة قتل وعمره ٦٧ عاماً سبعاً وستين عاماً . أبي عمر يوسف ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٣٠٠) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٩٣ .

(٣٠١) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٣٢ .

وعندما تدخل الوزير الكوكبي [٣٠٢] لمنع احتفال الشيعة في سنة٣٨٢هـ/٩٩٢م سار الشيعة والديالمة إلى باب بهاء الدولة البويهي وصمموا على تسليم الوزير إليهم وكانت فرصة لبهاء الدولة لينتصر فيها للشيعة فقبض عليه بهاء الدولة وحبس اصحابه ثم قتل الوزير بعد ذلك . [٣٠٣]

لم تنته الفتن بموت هذا الوزير بل نشبت فتنة في سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٧م وذلك أن بعض الهاشميين السنيين قصدوا أبا عبد الله [٣٠٤] في مسجده وتعرضوا له بالأذى وسبوه فثار أصحاب الرجل وانضم إليهم الشيعة من أصحاب الكرخ وكانوا يحملون مصحفاً زعموا أنه مصحف الصحابي عبد الله بن مسعود [٣٠٥] وكان محرفاً مما دفع فقهاء السنة بأن يحرق هذا المصحف فقبض على الشيعة فتحيز لهم بهاء الدولة فأرسل الخليفة القادر بالله بدوره رجاله لنصرة أهل السنة وازداد الأمر اضطراباً وحرقت دورٌ كثيرةٌ من دور الشيعة وأخرج فقيه الشيعة بن المعلم بغرض نفيه .[٣٠٦]

هذا التصرف من الخليفة القادر بالله دفع البويهيين لإثبات أنهم ما زالوا على شيء من القوة [٣٠٧] فأذن الوزير فخر الملك [٣٠٨] في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م للشيعة للإحتفال بيوم عاشوراء مما فجر الأزمة بن الطائفتين فأحرقت الدور ونهبت وقتل عددٌ كبيرٌ من الطرفين واشتد القتال وتدخل الجند وناصرت كل طائفة من الجند على اعتقادهم ، فناصر الديلم الشيعة ، وناصر الأتراك أهل السنة وازداد عدد القتلى من الطرفين . [٣٠٩]

---

(٣٠٢) الكوكبي : هو ابو الحسن على بن محمد الكوكبي الوزير السني الذي اشتهر بالحلم والعدل وكان محبوبا من الرعية ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٧٥ .

(٣٠٣) ابن مسكويه : ،مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٣٠٤) أبو عبد الله محرز بن النعمان بن عبد السلام شيخ الشيعة المعروف بالشيخ المفيد بن المعلم كان ذو مكانة كبيرة لدى أمراء بني بويه له مؤلفات كثيرة في الفقه . توفي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م . الزركلي ،مصدر سابق ، ج ٤٢ ، ص ٢٥٥ .

(٣٠٥) عبد الله بن مسعود بن غائل بن حبيب الهزلي أبو عمر ٣٢هـ/٦٥٣م من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بيت مال الكوفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة السابقين للإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة . . الزركلي ،مصدر سابق ، ج ٤٢ ، ص ١٤٢ .

(٣٠٦) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١١٢ .

(٣٠٧) نفس المصدر ،ج١٢، ص ١٢٣ .

(٣٠٨) فخر الملك : هو أبو غالب محمد بن علي بن خلف ولقبه فخر الملك فارس من أهل واسط وكان والده صيرفياً بها ولي الوزارة للأمير بها الدولة . وفي سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م أنابه بهاء الدولة عنه في الإشراف على العراق في حالة غيابه ، . ابن الأثير ،مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ .

(٣٠٩) ابن كثير . ،مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١٤٥ .

وقد نشطت نتيجة لذلك الفتنة الطائفية بين أهل السنة والشيعة في سنة ٤٠٧هـ/١١٠٨م بواسط وراح ضحيتها الكثير من الجانبين .[٣١٠] ثم اشتدت في سنة ٤٠٨هـ/١١٠٩م بين أهل الكرخ من الشيعة والسنة .[٣١١]

شهدت الفترة الممتدة بين سنة ٤٠٣هـ/١٠١٤م إلى ٤١٨هـ/ ١٠٢٩م حدة الصراع على السلطة بين أمراء بني بويه مما أدى إلى حدوث فوضى في بغداد فانتشر اللصوص ونهبت الأموال وشغب الجند على الأمراء وقد تعطلت قوافل الحجاج لعدم توفر الأمن .[٣١٢]

لم تكن فترة جلال الدولة بأفضل من سابقتها فقد حدثت الفتن الطائفية بين السنة والشيعة في سنوات ٤٢١-٤٢٢هـ/١٠٣٢-١٠٣٣م وكانت من أبشع الفتن التي شهدتها بغداد . [٣١٣] فقد توسعت دائرة القتال فشملت معظم أسواق بغداد مثل سوق العطارين وسوق البزازين والبقالين ، بالإضافة إلى باب الطاق[٣١٤] وباب البصرة ، وقد نهبت دور اليهود لما شاع من أنهم أعانوا الشيعة من أهل الكرخ .

وقد عم الخراب وأتلفت الحرائق الكثير من دور بغداد [٣١٥] بالإضافة إلى ذلك فإن سنين ٤٢٣هـ-١٠٣٤م و٤٢٥هـ/١٠٣٦م هما من سنوات الفتن الكبيرة ، حيث اشترك فيها عدد كبير من أهل السنة والشيعة بالإضافة إلى العيارين والشطار ووقع عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين .[٣١٦]

استمر الشغب أيضاً في عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م وفي تلك الفترة حاولت السلطات الحاكمة (أي الخليفة) ، منع الشيعة من أهل الكرخ من القيام بالنواح على الحسين بن علي في يوم عاشوراء غير أنهم لم يأبهوا لهذا المنع ولم يلتزموا بأوامر السلطة ومارسوا بدعهم وتحدوا السلطة واشتد القتال بين السنة والشيعة ولم يتوقف إلا بعد تدخل الجند الأتراك الذين استعملوا القوة في قهر الشيعة .[٣١٧]

---

(٣١٠) نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ .

(٣١١) نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ١٤٧ .

(٣١٢) نفس المصدر ، ج١٢ ، ص ٢٩٥.

(٣١٣) ابن الأثير ،مصدر سابق ، ج٧ ، ص ٣٥٤ .

(٣١٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

(٣١٥) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١١٣ .

(٣١٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٥٦ .

(٣١٧) نفس المصدر ، ج ٩، ص ٣٥٧ .

قام الشيعة من سكان الكرخ ببناء سور حول منطقتهم في إطار استعدادهم لتحدي السنة وقد كان رد الفعل هو قيام أبناء السنة ممن يمتهنون صيد الأسماك وبيعها ، ببناء سور حول الضفة الشرقية لنهر دجلة مما يلي أسواقهم مما أدى إلى تأزم الأوضاع ، وعمت البطالة ، وتعطلت الأسواق.[٣١٨]

تطورت بعد ذلك الأزمة إلى قتال شديد جرى فيه إحراق العديد من القبور فأحرق السنة قبور بني بويه كذلك أحرق قبر ضريح موسى بن جعفر[٣١٩] وحاول الشيعة إحراق قبر الإمام أحمد بن حنبل[٣٢٠] إلا أن نقيب الطالبيين الشريف الرضي [٣٢١] منعهم من ذلك .

هذا وقد استمرت الفتن والمصادمات بين أهل السنة والشيعة ولم تقتصر على بغداد . ففي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م وقعت فتنة بين أهل أصبهان من السنة وأهل قم [٣٢٢] من الشيعة ، وذلك أن رجلاً من أهل قم سب بعض الصحابة فثار عليه أهل أصبهان ، ودار بينهم وبين تجار قم قتال ونهب أهل أصبهان أموال التجار في مدينة قم فبلغ الخبر ركن الدولة ٣٢٠-٣٦٦هـ / ٩٣٢-٩٧٦م فغضب لذلك وأرسل إلى أهلها أموالاً كثيرة تعويضاً لهم . [٣٢٣]

---

(٣١٨) نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٥٧ .

(٣١٩) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن الإمام علي رضي الله عنه توفي سنة ١٨٣ هـ/٧٩٩م . ودفن في المشهد الكاظمي في غربي بغداد ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

(٣٢٠) الإمام أحمد بن حنبل : - ت (١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م عربي الأصل ولد ومات ببغداد كان كثير الرحلات زار الحجاز واليمن والشام واتصل بعلمائها . عاصر الخليفة المأمون وحركته العلمية أشهر كتبه المسند الذي يعتبر أكبر موسوعة لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولفتاوي الصحابة من بعده ، الخطيب الغدادي ،مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣٢١) الشريف الرضي :- هو ابو الحسن بن أحمد بن موسى الموسوي يرتقي نسبه إلى موسى الكاظم فإلى الحسين بن علي ابن أبي طالب ولهذا لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد كان متعمقاً في علوم القرآن متبحراً في علم الكلام واللغة والنحو ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٥ ، ص ١٥٥ .

(٣٢٢) قم : تقع بين اصفهان وساوة أهلها شيعة إمامية أرسل أبي موس الأشعري قائده الأحنف بن قيس ففتحها عنوة سنة ٢٣هـ/٦٤٣م وكان تمصيرها في زمن الحجاج بن يوسف في سنة ٨٣هـ/٧٠١م ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٩٧ .

(٣٢٣) أبي شجاع ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

كذلك شهدت مدينة بيهق(٣٢٤) الشيعية مصادمات عنيفة بين السنة والشيعة وقد تحيز الأمير صمصام الدولة أبو كاليجارالمرزبان للشيعة وأمدهم بالأموال لتحسين أوضاعهم وكان هذا الأمير متعاطفاً ومقرباً لعامة الشيعة .(٣٢٥)

لم يقف أمراء بني بويه على مناصرة العامة من الشيعة ، بل تعدى ذلك إلى العلماء الشيعة فنجدهم يجلون علماء الشيعة والإعتراف بهم أياً كان تخصصهم للإستفادة منهم في نشر الفكر الشيعي ضمن مؤلفاتهم .(٣٢٦)

فقد كان الأمير عضد الدولة يعظم العالم أبا عبد الله محرز بن النعمان الذي عرف بتشيعه حيث كان عضد الدولة يجتاز على بابه فيقف حتى يخرج إليه أبو عبد الله فيسلم عليه ويسأله عن حاله .(٣٢٧)

كذلك من العلماء الذين قربهم إبا الحسن محمد بن عمر بن بهنة الطالبي الشيعي ت ٣٧٤هـ/٩٨٤ م) (٣٢٨)

ومن أشهر مؤلفي الشيعة أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالصدوق ت (٣٨١هـ/٩٩١م) وقد كان والده شيخ الشيعة في مدينة قم وقد استعان به الأمير ركن الدولة وبتعاليمه في الإمامة على تدبير سياسته وقد أهدى لركن الدولة كتابه صفات الشيعة وقد كان مقرباً من عضد الدولة أيضاً .(٣٢٩)

أنشأ البويهيون خلال فترة حكمهم العديد من مراكز التشيع واعتنوا عنايةً كبيرةً بتلك التي كانت موجودة وقائمة قبل وصولهم ، ووجدت هذه المراكز في كل من الكرخ بغداد ، الكوفة ، النجف (٣٣٠)، كربلاء (٣٣١) والبصرة .

وقد حظيت مشاهد الأئمة بعناية خاصة ففي النجف شيد عضد الدولة ضريحاً لقبر كان هناك يعتقد الشيعة أنه قبر الصحابي الجليل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

---

(٣٢٤) بيهق : ناحية من أعمال نيسابور بخراسان على بعد عشرين فرسخاً من نيسابور ومن أشهر علمائها ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الفقيه والمحدث المشهور ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ، ص **٢٩٣** .

(٣٢٥) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج **١١** ، ص **١٥٣** .

(٣٢٦) رشاد عباس معتوق ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي (مكة المكرمة ١٤١٨هـ) ، ص **٢١٩** .

(٣٢٧) نفس المرجع ، ص **٢٢** .

(٣٢٨) نفس المرجع ، ص **٢٣٣** .

(٣٢٩) نفس المرجع ، ص **٢٣٥** .

(٣٣٠) النجف :تقع على بعد فرسخين من الكوفة حيث قبر سيدنا علي رضي الله عنه يسكن بالنجف بعض العلويين ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج **٣** ، ص **٢٥٥** .

(٣٣١) كربلاء : تقع في غربي الفرات بها قبر سيدنا الحسين رضي الله عنه ، المقدسي ، مصدر سابق ، ص **٤٩٥** .

والذي يجعلونه أول أئمتهم (٣٣٢) وقد أحيط بسور حصين وأصبحت المنطقة المحصورة داخله مدفناً لبني بويه منهم عضد الدولة وشرف الدولة وعدد من أعيان الشيعة .(٣٣٣)

كذلك أمر عضد الدولة في سنة ٣٦١هـ/٩٧٨م بناء حضرة جليلة حول قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في كربلاء بعد ان كان الخليفة المتوكل قد أمر في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م – بهدم عمارة القبر والبنايات المحيطة به مع الإبقاء على موقعه .(٣٣٤)

وقيام عضد الدولة بإنشاء هذه المشاهد على قبر سيدنا علي وابنه الحسن رضي الله عنهما دليل على التشيع والعمل على إعادة البدع الشيعية من تأكيد وترسيخ العناية بالقبور وطلب الحاجات من أصحابها الموتى

كان البويهيون ما يزالون يأملون في تقوية مركزهم وتنشيط دولتهم فأنشأوا في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م نقابة للطالبين تقلد أمرها الشريف الرضي .(٣٣٥) وقرئ تقليده في دار الوزير فخر الملك بمحضر الأعيان وفي سائر الممالك .(٣٣٦)

لم يقتصر اهتمام أمراء بني بويه وحدهم بالدعوة الشيعية بل شاركهم وزراؤهم في ذلك فنجد الوزير بن سهلان (٣٣٧) قد بنى سوراً على مشهد الإمام علي رضي الله عنه وذلك في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م وقد أورد فقهاء الشيعة العديد من الروايات التي نسبوها إلى أئمتهم والتي تتضمن حث الناس على زيارة قبر الحسن وشد الرحال إليه وقد جاء في بعضها إن كل خطوة يخطوها الزائر في سبيل قبر الحسن له مقعد في الجنة .(٣٣٨)

كذلك بنى وزراء بني بويه دوراً للعلم تعتبر من المؤسسات المساعدة لمراكز التشييع ، وذلك لتشجيع علماء الشيعة على الإطلاع والتأليف من بينها دار العلم ببغداد ، وهي دار ابتاعها الوزير أبو نصر سابور أردشير سنة ٣٨٣هـ/٩٣٣م بمحلة

---

(٣٣٢) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص ٦٢ .

(٣٣٣) نفس ا لمصدر ، ج ١٢ ، ص ٦٣ .

(٣٣٤) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٥٦ .

(٣٣٥) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٣٦) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٤ .

(٣٣٧) ابن سهلان ، هو الحسن بن الفضل بن سهلان ولد سنة ٣٦١هـ/٩٧١م برام هرمز وهي مدينة مشهورة بخوزستان ولي الوزارة للأمير سلطان الدولة سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م سمله الأمير مشرف الدولة وسجنه حتى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م ثم قتل وقيل أنه توفي في سجنه ، ابن كثر ، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص ١٦ .

(٣٣٨) رشاد عباس معتوق ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

الكرخ وجدد عمارتها ونقل إليها كتباً كثيرةً وأوقف عليها أوقافاً كثيرةً وسماها دار العلم .[٣٣٩] ومن بينها الدار التي أسسها نقيب العلويين الشريف الرضي المتوفي سنة ٤٠٦هـ١٠١٥م في الكاظمية [٣٤٠] اسماها دار العلم ايضاً ووفر لها كافة الإحتياجات .[٣٤١]

ومن الكتاب الذين جعلوا دورهم مركزاً للتشييع والاعتزال أبو عبد الله المزرباني .[٣٤٢] ولقد لعبت هذه المراكز أدواراً مهمةً في تجميع الشيعة وتوحيد صفوفهم ، ونشر معتقداتهم وقد كان لتشيع البويهيين دوره الخطير في تشجيع العلماء القائلين بوجهة نظرهم وقد كان خطر هؤلاء الفقهاء كبيراً على المجتمع الإسلامي لما اتصفوا به من انحراف في المعتقد وتزييف للحقائق [٣٤٣] وكانت تعقد في بيوت الأمراء والوزراء حلقات المناظرات بين علماء الشيعة .

كان لتشجيع بني بويه للمذهب الشيعي أن زاد النشاط الفاطمي في بلاد العراق زيادةً كبيرةً بحجة الدفاع عن آل البيت في الخلافة خاصة في عهد أبي كاليجار بسبب نشاط داعيتهم هبة الله الشيرازي[٣٤٤] وتشجيع أبي كاليجار له حتى أنه هدد الخليفة العباسي القائم بالله ٤٢٢ –٤٤٧هـ/١٠٣١–١٠٥٥م بإعلان دولة الفاطميين في بغداد وقد كان لهبة الله الكثير من المؤلفات والكتب التي يعتمد عليها

الشيعة [٣٤٥] وقد لعبت كتبه دوراً كبيراً في نشر الضلال والإنحراف والزيغ وعبرت عن مدى تمسكه بمبادئ الحركة القرمطية ومن اشهر كتبه كتاب" الإيضاح والتبصير

---

(٣٣٩) نفس المرجع ، ص ٢٣١ .

(٣٤٠) الكاظمية : تقع على الجانب الغربي من دجلة ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٥٢ .

(٣٤١) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

(٣٤٢) أبو عبد الله المزرباني ت (٣٤٨هـ/٩٩٤م) كاتب وأديب شيعي كان عضد الدولة ممن يحضرون إلى داره للاستماع إليه وكان من المقربين له وكان يعمل بنصائحه وينفذ رغباته ويستشيره في كل أموره ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٥ ..

(٣٤٣) أبو المحاسن ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٩

(٣٤٤) هبة الله الشيرازي : داعية الفاطميين في مدينة شيراز كان يلقن أصول الدعوة الفاطمية لأبي كاليجار وكان ابو كاليجار حريصاً عليه وقال له : " سلمتك نفسي وديني وإنني راض بجملة ما أنت عليه " وهو من المجيدين للغتين العربية والفارسية ترقى في سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م إلى مرتبة داعي الدعاة ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٢٥ .

(٣٤٥) إبن خلدون، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

في فضل يوم الغدير " وقد كان لمؤلفاته هذه أثرها في إشعال الفتن السالفة الذكر في بغداد وواسط وغيرها من المدن .(٣٤٦)

وبرغم تشجيع أمراء بني بويه للشيعة ونصرتهم ومساندتهم لهم إلا أنه كانت للخلفاء العباسيين مواقفهم في نصرة أهل السنة (٣٤٧) وأول هؤلاء الخلفاء هو الخليفة المستكفي الذي رفض تعيين القاضي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب وعزله عن جميع أعمال القضاء ببغداد وكان معز الدولة قد عين هذا القاضي ليتولى أعمال القضاء ببغداد (٣٤٨) وقد كان هذا القاضي مشهوراً بالرشوة والإختلاس إضافة إلى تشيعه .ولعل معز الدولة أراد أن يجعل ذلك مدخلاً للتسلط المذهبي على أمل تعيين قضاة من الشيعة .

وفي سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٦م عندما أحرق قادة الجند الأتراك السنيون الكرخ أراد الشيعة الانتقام فتدخل الخليفة القادر وأنكر ذلك .(٣٤٩) وأصلح الأحوال وهدأت الأوضاع .(٣٥٠)

كذلك من مواقف الخليفة القادر في إسناد أهل السنة ما حدث في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م عندما قام الشيعة بالتعرض للقاضي أبي محمد الأكفاني (٣٥١)

---

(٣٤٦) رشاد معتوق ، مرجع سابق ، ص ٢٨٣ .

(٣٤٧) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٣٤٨) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٢٢ .

(٣٤٩) نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ٣٣ .

(٣٥٠) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٥١) الأكفاني : أبو محمد عبد الرحمن الأكفاني ت (٤٠١هـ/١٠١٠م تولى القضاء بمدينة المنصور رحل إلى خراسان ثم عاد إلى بغداد وكان من الحفاظ ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

والشيخ أبي حامد الاسفرائيتي .[٣٥٢] وسبوهما ورموهما بالحجارة بدار القطن .[٣٥٣] فأرسل الخليفة القادر أعوانه لنصرة أهل السنة فأحرقت دور الشيعة بالكرخ وتم القبض على عدد منهم ومعاقبتهم .[٣٥٤]

وفي سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م منع القادر العالم الشيعي ابن بابويه القمي ت (٣٨١هـ/٩٩١م) صاحب الكتب المنحرفة في العقيدة منعه من نشر كتبه وعوقب كل من وجدت لديه تلك الكتب التي كانت تدعو إلى نشر الفساد والضلال بين فئات المجتمع .[٣٥٥]

في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م جمع الخليفة القادر القضاة والعلماء والفقهاء في دار الخلافة وقرأ عليهم كتاباً طويلاً جمعه الخليفة نفسه فيه دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبين وتفضيل لمذاهب أهل السنة والجماعة ، وطعن في من يقول بخلق القرآن وكذلك قرئ عليهم كتاب يتضمن ذكرى الصحابيين الجليلين سيدنا أبي بكر الصديق [٣٥٦] وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وفضائلهما . وقد صنف قصيدة فيها فضائل الصحابة فكانت تقرأ في حلقات أصحاب الحديث ويجتمع الناس لسماعها كل جمعة في جامع المهدي .[٣٥٧]

---

[٣٥٢] الأسفرائيتي : هو أبو حامد محمد بن أحمد الأسفرائيتي ت (٤٠٦هـ/١٠١٧م) من علماء نيسابور قدم بغداد ودرس الفقه في جامع المنصور وهو من أكبر أئمة الشافعية ومن تلاميذه المشهورين الفقيه أبي الحسن أحمد بن محمد بن أحمد القاسم الضبي المعروف بابن المحاملي ، ألف العديد من الكتب في الحديث والفقه وغيرها ، ومن كتبه اللباب في الفقه ، تصدى للرد على علماء الشيعة ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ .

[٣٥٣] دار القطن : محلة ببغداد بالجانب الغربي من الكرخ ونهر عيسى واليها ينسب العالم البغدادي ابو الحسن الدارقطني ت (٣٨٥هـ/٩٩٥م ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١٧ .

[٣٥٤] رشاد معتوق ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ .)

[٣٥٥] ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١ .

[٣٥٦] أبو بكر الصديق : هو عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . تميمي قرشي يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . أول الخلفاء الراشدين ، لقب بالصديق لأنه صدق الرسول صلى الله عليه وسلم . ولد رضي الله عنه لسنتين من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٧٣ .

[٣٥٧] جامع المهدي : يقع في رصافة بغداد بالجانب الشرقي شيده الخليفة محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م وكان عدد من القضاة وقضاة القضاة يعقدون مجالس القضاء فيه وكان يروي فيه الحديث وكان كبار المحدثين يفضلون الجلوس فيه لسعته ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .

كذلك كلف الخليفة القادر الخطيب أبا منصور بن تمام(٣٥٨) ليخطب في مسجد براثا (٣٥٩) وهو مسجد الشيعة المعروف بعد أن تم القبض على خطيب المسجد الشيعي الذي كان يذكر في خطبته مذهباً منحرفاً ويذكر آل البيت وحقهم المغصوب ويسب الصحابة ويدعو عليهم ومن يتابعهم ويكفرهم .(٣٦٠)

كذلك كان لعلماء السنة دور في التصدي للتشيع والمتشيعين خاصةً علماء الحنابلة فقد نظموا دروساً في القرآن وعلومه والحديث وأقسامه ، والفقه وأصوله وذلك في المساجد وبيوت العلماء ودور العلم ومن هؤلاء العلماء الشيخ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الحافظ المفسر وهو من علماء أهل السنة الأفذاذ المعاصرين للفترة البويهية وقد أمضى إحدى وخمسين سنة من عمره (ولد سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م) توفي سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م) في التدريب والوعظ والتأليف والرد على الشيعة . (٣٦١)

كذلك العالم ابو القاسم عبد الله بن عبد الله بن الحسين الخفاف المعروف بابن النقيب ت(٤١٥هـ/١٠٢٤م) ، وهو من أئمة أهل السنة والجماعة والذين نصروا السنة وأسهموا في نشر العلم وتعليم الفقه والحديث والرد على علماء الشيعة في كثير من المسائل التي كانت مثاراً للجدل بينهم .(٣٦٢)

منهم أيضاً العالم أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن النجاد (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م) والذي كانت له حلقتان للتدريس في جامع المنصور الأولي قبل صلاة الجمعة للفتوى على مذهب الإمام أحمد بن حنبل والثانية بعد الصلاة لإملاء الحديث .(٣٦٣)

---

(٣٥٨) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٤٢ .

(٣٥٩) مسجد براثا : تقع براثا بالقرب من بغداد ويحتل مسجدها مكانة خاصة عند الشيعة حيث يزعم الشيعة أن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قد صلى في هذا الموضع في إحدى المناسبات سنة ٣٧هـ/٦٥٨م وهو خارج في طريقه إلى حرب الخوارج وبذلك أصبح الموضع يمثل أهمية خاصة لدى الشيعة . ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ .

(٣٦٠) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٤٥ .

(٣٦١) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ .

(٣٦٢) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٤٧ .

(٣٦٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

أيضاً العالم أبو القاسم إبراهيم بن جعفر المعروف بابن الساجي الحنبلي (ت ٣٩٩هـ/١٠٠٩م) والذي اهتم بالرد على علماء الشيعة وألف مصنفاً كبيراً للتصدي للتشيع السائد في عهد بني بويه وهو كتاب " البيان على من خالف القرآن وما جاء فيه من صفات الرحمن وما قامت عليه أدلة البرهان ." (٣٦٤)

وقد بذل علماء التفسير جهوداً كبيرة من أجل المحافظة على فهم مقاصد القرآن الكريم ومعاني آياته من التحريف والتشويه ومنهم أبو بكر بن الحسن بن محمد بن زياد الشيرازي ت (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) الذي كان يعقد حلقات التفسير بمساجد شيراز متنقلاً من مدينة إلى أخرى عاملاً على تصنيف التفاسير لمذهب أهل السنة والجماعة .(٣٦٥)

كذلك العالم المحدث أبو القاسم الجرجاني وكانت له أيضاً حلقات في المساجد بمنطقة أصفهان وهمذان والري للرد على علماء الشيعة وتطهير السنة النبوية مما حاول أعداء الإسلام دسه كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان يعمل على تمحيص الروايات وآثار الصحابة رضوان الله عليهم وتوضيح الحديث الصحيح من الحديث الموضوع .(٣٦٦)

واصل علماء السنة والجماعة تصديهم للأفكار المنحرفة وذلك بالاستمرار في التأليف في التخصصات العلمية المتنوعة وغالباً ما رفضوا اتخاذ أجرة على التعليم والتأليف .(٣٦٧)

كان من عادة علماء أهل السنة أن يوقفوا كتبهم على الدارسين بأن يودعوها في الجوامع مما وفر قيام مكتبات قيمة ملحقة بالجوامع مثل جامع المهدي ، جامع المنصور .

---

(٣٦٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٣٦٥) أحمد منير الدين ، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الإجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ، (ترجمة د. سامي الصفار) ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م ، ص ١٥٣ .

(٣٦٦) محمد البنداري ، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ، دار عمار ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. ، ص ١٣٣ .

(٣٦٧) نفس المرجع ، ص ٢٥٥ .

كذلك نظم أهل السنة والجماعة مجالس للوعظ والإرشاد والمناظرات العامة في المساجد ودور العلم وبيوت العلماء .فعندما انتشرت بين الشيعة ظاهرة سب الصحابة قام العالم الحنبلي أبو بكر محمد بن عبد ربه ت (٣٥٤هـ/٩٦٥م) بإملاء فضائل الصحابة في جامع المهدي وفي مسجد بباب الشام ببغداد .[٣٦٨]

وهكذا استمرت حلقات الوعظ والإرشاد بصورة متصلة في سنوات حكم البويهيين حيث كثرت في عهدهم الفتن الطائفية والإضطرابات .

واستمرار هذه الحلقات هو شعور علماء أهل السنة بمدى خطورة الفكر الشيعي على العامة .

---

[٣٦٨] نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٧ .

العناصر السكانية في دولة بني بويه

المبحث الأول

الأتراك :(٣٦٩)

ظهر الأتراك بأعداد كبيرة في المجتمع العباسي لأول مرة في أواخر القرن الثاني الهجري وذلك في عهد الخليفة المأمون وأخذت أعدادهم في الإزدياد منذ بداية القرن الثالث الهجري فكون منهم الخليفة المعتصم جيشاً منظماً اعتمد عليه في خلافته . (٣٧٠)

ففي سنة ٢٢٠هـ/٨٢٥م استقدم الخليفة المعتصم قوماً من بخارى وسمرقند وفرغانة وأشروسنة وغيرها من بلاد ما وراء النهر . وسبب إتجاه المعتصم للأتراك يرجع إلى عدة أمور منها ضعف ثقته بالفرس وذلك إن كثيراً من الجند لما مات المأمون كان ميلهم إلى إبنه العباس لأن أم المأمون فارسية فدعتهم عصبيتهم للمأمون أن يتعصبوا لإبنه فشغبوا عندما بويع لأبي إسحاق المعتصم بالخلافة وطالبوا بالعباس وهتفوا باسمه ، فأرسل المعتصم إلى العباس فأحضره فبايعه العباس ثم خرج للجند فقال : " قد بايعت عمي وسلمت الخلافة إليه فسكن الجند .(٣٧١)

هذه الحادثة جعلت المعتصم يفكر في الإستعانة بقوم غير الفرس وغير العرب فهداه تفكيره للأتراك .

كذلك سبب آخر هو أن أم المعتصم أصلها في تلك الأصقاع التركية فدعته العصبية في استدعاء الأتراك ففعل .

وبالرغم من أن الأتراك قد ساهموا في الانتصارات التي حققتها الخلافة العباسية على أعدائها إلا أن وجودهم في جيوش الخلافة كان له أثره في عزل

---

(٣٦٩) الأتراك : إحدى الشعوب الرعوية التي عاشت في أواسط آسيا وقدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ العالم . أول ظهور لاسم الترك يعود إلى القرن السادس الميلادي حيث كونوا أول امبراطورية لهم . بدأ انتشار الترك وتوسعهم في جميع الإتجاهات بعد انهيار امبراطوريتهم في القرن السابع فاتجهت طائفة منهم إلى أرض بيزنطة وبعضهم إلى الأراضي الخاضعة للدولة الإسلامية ، الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، البيان والتبيين ، (القاهرة ١٩٣٥م) ، ج ٥، ص ٢٥٥ .

(٣٧٠) بدر عبد الرحمن محمد ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٩م) ، الطبعة الأولى ، ص ٢٥ .

(٣٧١) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٥ .

وتولية الخلفاء وقتلهم إن استدعى الأمر ، فقد ضعف شأن الأمير عز الدولة بختيار عندما عزله الأتراك الذين كانوا يكونون السواد الأعظم في جنده ، وقد سبق وأشرنا في الفصل الأول إلى أن الأتراك كانوا أحد أسباب تردي الأوضاع في بغداد وسنرى لاحقاً أثرهم على مجريات الأحداث في بغداد وخراسان .(٣٧٢)

الفرس :

ومن العناصر التي تكاثر عددها في هذا العصر العنصر الفارسي وقد كان الفرس في العصر العباسي الأول هم عماد الدولة وبيدهم تصريف شئونها وكان الخليفة يعتمد عليهم في أهم الأمور وهم يحتفظون له بمظهر الأبهة والإجلال فإذا أحس الخليفة منهم استبداداً أوقع بهم كما فعل الرشيد بالبرامكة . (٣٧٣)

فلما جاء الأتراك أبعدوهم عن منزلتهم وغلبوا على الخليفة دونهم فانكمش الفرس على حنق ، ولعبت بهم العصبية الفارسية ، وأخذوا يدسون الدسائس ويدبرون المؤامرات ويخصون أنفسهم بالرجال والسلاح ويرمون إلى اقتطاع البلاد والإستيلاء عليها واستبدادهم بها وقصر سلطة الخليفة على المظهر الإسمي.(٣٧٤)

ومن الفرس بنو بويه الذين استولوا في سنة (٣٢٠-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) على فارس ثم على العراق وأخضعوا الخليفة لأمرهم وأزالوا ولاية الترك وأقاموا سلطانهم .(٣٧٥)

كان أثر الفرس واضحاً في المجتمع فقد ورثوا مدنية قديمةً مملوءةً بالتقاليد والأوضاع فطبعوا عليها بمحاسنها ومساوئها فلهم قدرة على تنظيم الحكم ومعرفة

---

(٣٧٢) نفس المصدر ، ج٩، ص ٢٧٣ .

(٣٧٣) البرامكة : أسرة فارسية دخلت الإسلام زمن الدعوة العباسية وكانت قبل ذلك تدين بالمجوسية ويشرف برمك (جد الأسرة) على معابدها بمدينة بلخ . فهي أسرة كانت حديثة العهد بالإسلام عند قيام الخلافة العباسية وقد اتصلت بها فور قيامها بعد أن اشتركت في الدعاية لها وأصبح خالد بن برمك وزيراً للسفاح أول خلفاء العباسيين وإن لم يتخذ لنفسه لقب الوزراء . ظل البرامكة محتفظين بمكانتهم في خدمة العباسيين حتى عهد الخليفة المهدي الذي اختار يحيى بن خالد البرمكي كاتباً وناصحاً لابنه هارون الرشيد فأحسن أداء واجبه نحوه ورعاه كأحد أبنائه حتى كان الرشيد لا يناديه إلا بلقب الأبوة ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

(٣٧٤) إبن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٧ .

(٣٧٥) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) ج ٣ ، ص ٤٧ .

واسعة بما يزيد الثروة ويضاعفها ولهم عقول مثقفة تتذوق الأدب والعلم[٣٧٦] لذلك أدخلوا على العراق طابعهم في حب الظهور وإدخال جميع وسائل الترف والبذخ في جميع نواحي الحياة .[٣٧٧]

العرب :

هذا العنصر كان يستوطن أساساً الجزيرة العربية ثم انتقلوا إلى البلاد المفتوحة محاربين في موجات أولها موجة الفتوحات الأولى في زمن الخليفة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وتبعتها موجات أخرى متتابعة في الجزيرة العربية وفي البادية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ آثر كثير من عرب الجزيرة سكنى الحواضر والأمصار في عهده .[٣٧٨]

إعتمد الأمويون على العناصر العربية دون غيرها من العناصر الأخرى لذلك ساد العنصر العربي زمن الدولة الأموية .[٣٧٩]

على الرغم من سيطرة العنصر الفارسي والتركي في عصور الدولة العباسية فإن العنصر العربي ظل يحتفظ بوجوده وكيانه في كثيرٍ من المناصب القيادية والإدارية .[٣٨٠]

كما أبقى العباسيون على الأجناد العرب في الجيش العباسي رغبةً منهم في المحافظة على العصبية العربية .

في العصر العباسي امتلك العرب الأراضي الزراعية واشتغلوا بزراعتها أما الحرف اليدوية فلم يزاولها العرب أنفةً منهم وتركوها للأعاجم . [٣٨١]

غير أن النزاع بين العصبيات العربية أدى إلى تفكك قوى العرب وتفتيت سلطانهم وأدى في النهاية إلى غلبة الأجناس الأخرى عليهم . ولم تزل حالهم في

---

(٣٧٦) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٣٧٧) نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

(٣٧٨) الطبري ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٤٦٥ .

(٣٧٩) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٤٦٦ .

(٣٨٠) بدر عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٣٨١) نفس المرجع ، ص ٢٨ .

تدهور وضعف إلى أن انهار بخلافة المعتصم سلطانهم فأسقط أسماءهم من الديوان وأحل محلهم الأتراك فانزوى النفوذ العربي وخاصة في بغداد .(٣٨٢)

لما ضعفت القوة المركزية في بغداد شرعت بعض القبائل الهائمة في صحراء الشام ووادي الفرات تنشئ مستعمرات ثابتة وكونوا دويلاتٍ ، فكونت قبيلة تغلب دولة الحمدانيين في الموصل وحلب ، وكون بنو عقيل العقليين في ديار بكر والجزيرة وكون بنو أسد دولة المزيدين في الحلة .(٣٨٣)

وهؤلاء العرب مع استيلائهم على المدن والقلاع لم ينبذوا عاداتهم القومية من البداوة وما إليها واعتزازهم ببداوتهم وأهم هذه الدول التي تجلت فيها العصبية العربية واشتبكت مع العصبية التركية والفارسية هي دولة بني حمدان التغلبية (٣٨٤) فقد عظم نفوذها في الموصل وباستيلاء البويهيين على مقاليد الأمور في بغداد كان لا بد أن تنشأ علاقة اتصال بينهم وبين الحمدانيين . فقد رأى الحمدانيون وهم عرب خلص سيطرة العناصر الفارسية على الحكم فوقعت الحرب بين الأمير الحمداني ناصر الدولة ومعز الدولة البويهي . فقد حاول ناصر الدولة الإستيلاء على بغداد سنة ٣٤٥هـ٩٥٧م ولكنه لم يفلح في ذلك .(٣٨٥)

ظهرت عصبية الحمدانيين لعروبتهم في قتالهم المتواصل للترك والفرس في العراق ونعني شعراءهم كالمتنبئ (٣٨٦) في الاعتزاز بعروبته .(٣٨٧)

الروم (٣٨٨)

---

(٣٨٢) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص ٤٦٩ .

(٣٨٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٨٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٨٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٣٨٦) المتنبئ : هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي ولد بالكوفة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م . نشأ بالشام بالبادية . برع في الأدب ففاق أهل زمانه مدح سيف الدولة الحمداني ثم صارا إلى مصر ومدح الأخشيد ثم هجاه وهرب منه إلى بغداد . سار إلى فارس ومدح عضد الدولة بن بويه فوشى به بعض المقربين إلى عضد الدولة فأرسل إليه عدد من الأعراب فقتل وهو في طريقه إلى بغداد سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م . وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ..

(٣٨٧) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص٢٢٣

من العناصر التي تكاثر عددها في العصر البويهي الروم . لقد جيء بهم كأسرى حرب من أراضي الدولة البيزنطية واعتبروا من الرقيق الأبيض . كثر المماليك الروم من رجال ونساء وغلمان في بيوت الخلفاء والأغنياء . (٣٨٩)

كثر عدد النساء الروميات في بغداد عن طريق الإسترقاق واعتبرن جواري وانتشرن تبعاً لذلك في قصور الخلفاء لاتصافهن بالجمال كما أصبح بعضهن في منزلة رفيعة عند الخلفاء عندما أصبحن أمهات وزوجات لهم .

فالمنتصر ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م بن المتوكل أمه رومية اسمها قبيحة وقد اشتهرت في التاريخ بثروتها وتغلبها على عقل الخليفة المتوكل والمعتمد على الله ، أمه رومية اسمها " فتيان " وأم الخليفة الراضي بالله رومية اسمها " ظلوم " والواثق أمه رومية أيضاً .(٣٩٠)

استكثر الخليفة المقتدر الخدم والمماليك من الروم (٣٩١) كما كان في بغداد دار تسمى دار الروم بالشماسية وكان لهم بهذا الحي كنيسة ودير يسمى دير الروم (٣٩٢) وقد أنجب هذا العنصر الرومي أدباء وعلماء وكان لهم في فنهم طابع خاص لم يكن مألوفاً في العقلية العربية والفارسية ومن أشهر هؤلاء ابن الرومي (٣٩٣) الشاعر المعروف والنحوي ابن جني .(٣٩٤)

الديلم :

---

(٣٨٨) الروم : اسم للأمبراطورية البيزنطية في اللغتين الفارسية والتركية . والروم معناها بلاد الروم أو البيزنطيين وإن كان هذا الاسم يستعمل للدلالة على الإمبراطورية الرومانية . وتدل كلمة الروم في بعض الأحيان على تركيا بوجه عام . بطرس البستاني ، ج٥، ص ٢٥٥ .

(٣٨٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٣٩٠) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٣٩١) نفس المصدر ، ج٢، ص٢٠٣

(٣٩٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ .

(٣٩٣) ابن الرومي : هو علي بن عباس بن جريج وله في الشعر ميزات قلما اجتمعت لغيره من شعراء العربية ولد سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م ببغداد في الموضع المعروف بالعتيقة ودرب الختيلة في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر بن المقتدر كان مؤمناً بالتشاؤم والتفاؤل والتطير . توفي سنة ٢٨٤هـ/٨٧٩م . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٣٩٤) ابن جني : هو أبو الفتح عثمان بن حيي الموصلي كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي نبغ في النحو والصرف تتلمذ على أبي علي الفارس ثم خلفه في التدريس ببغداد وحظي باهتمام بني بويه وله عدد من الكتب . توفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

أدت سيطرة البويهيين على العراق إلى دخول عنصر الديلم إلى هذه البلاد بأعداد كبيرة والديلم نوعان قدماء العهود ووافدون على هؤلاء القدماء وقد هاجروا إلى هذه البلاد بعد أن قام نزاع بينهم وبين مجاوريهم من القبائل الأخرى [٣٩٥] فرحلوا تباعاً إلى هذه المنطقة وانقسموا إلى قسمين ديلم وجيل [٣٩٦]. ولم يلبث أن امتزجت بهم عناصر في خراسان والري وقزوين وأصبهان وتم الامتزاج بين هذه العناصر وأصبح الديلم بمرور الزمن شعباً مستقلاً له مقوماته الخاصة وشخصيته المتميزة التي استطاع الحفاظ عليها .[٣٩٧]

انقسم الديلم إلى عدة قبائل كل قبيلة تسيطر على ناحية ، فكانت قبيلة شيرزيل أوندان تسيطر على ناحية " لياهج" التي تقع إلى الشرق من مصب سفيد روز [٣٩٨]

أما الناحية الجنوبية لهذه البلاد جنوب لياهج فيقيم بها آل جستان وكانت رياسة الديلم فيهم حتى القرن الرابع الهجري [٣٩٩] وذكر مسكويه[٤٠٠] إسم قبيلة آل مسافر وآل ليمز أيضاً ويبدو أن هذه القبائل كان يغير بعضها على بعض وتحتل القبيلة المنتصرة منها ناحية القبيلة الأخرى حتى تهاجمها قبيلة أخرى فتحيلها إلى مكان آخر .

من أبرز مميزات الديلم الكرم والشجاعة وليس أدل على كرمهم أنه لا يوجد لديهم خبازون أو قصابون لئلا يعتمد عليهم الغريب .[٤٠١]

كان السخاء والشجاعة من المميزات التي تؤهل صاحبها للرياسة عليهم ويشيد المقدسي [٤٠٢] بهم بقوله :" إنهم رجال في القتال وعندهم جلادة وسياسة "

---

(٣٩٥) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٤٥ .

(٣٩٦) نفس المصدر ، ص ٣٤٨ .

(٣٩٧) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٩٨) سفيد روز : نهر في أصفهان منبعه من جبل في غربي فارس ، القزويني ، مصدر سابق ، ص ٣٠٩ .

(٣٩٩) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

(٤٠٠) تجارب الأمم ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٤٠١) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٤٩٨ .

(٤٠٢) أحسن التقاسيم ، مصدر سابق، ص ٤٩٩ .

كان عامة الديلم فلاحين ولم يكونوا متحضرين كبقية الشعوب المجاورة لهم وكانت الفرس تسمي الديلم أكراد طبرستان نظراً لانعزالهم في بيئتهم .[٤٠٣]

والديلم مشهورون بالقسوة وغلظ الطبع والتضحية بالنفس وعدم الإنقياد لأحد ويضرب بهم المثل في ذلك . كما كانت لهم لهجة خاصة تستمد أصولها من اللغة الفارسية . أما أوصافهم الخلقية فالغالب عليهم النحافة وخفة الشعر وهم حسان اللحي والوجوه ومن عاداتهم إطالة شعر رؤوسهم .[٤٠٤]

الأكراد :

مواطنهم الأصلية منطقة جبال كردستان وهي جبال عالية في غربي فارس تمتد موازية لسواحل بحر الخذر وهم قبائل رعوية من البدو مربيي الماشية محاربون يعتمدون على القتال والسلب والنهب ويمتاز الأكراد بالعناد والوفاء والتضحية من أجل القبيلة ويدينون بالولاء لزعيم القبيلة وقد شاركوا في الجيوش الإسلامية وحاربوا أعداء الإسلام .[٤٠٥]

كانت لهم زموم موزعة على مدن وقرى ولكل مدينة رئيس من الأكراد يضمن خراج كل ناحية ويلزم بإصلاح أحوال ناحيته وحفظ الطرق وتنفيذ أوامر السلطان [٤٠٦]. ويكثر انتشارهم بإقليم فارس .[٤٠٧]

من قبائلهم قبيلة المازنجان في حدود أصبهان ولهم ضياع وأحياء كثيرة [٤٠٨].

سكن الأكراد في الجهات الشمالية والشرقية من الجزيرة الفراتية استقر بعضهم في قرى قرب الموصل ومن أشهر قبائلهم في القرن الرابع الهجري ، حميد ، هذياني ، حكاري .

---

[٤٠٣] نفس المصدر ، نفس الصفحة .

[٤٠٤] نفس المصدر ، نفس الصفحة .

[٤٠٥] الاصطخري ، مصدر سابق ، ص ١٢٣ .

[٤٠٦] نفس المصدر ، نفس الصفحة .

[٤٠٧] المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٤٣٣ .

[٤٠٨] نفس المصدر و نفس الصفحة .

احتفظ الأكراد بالنظام العشائري في حياتهم الإجتماعية ومن عناصر الأكراد القفص والبلوص .(٤٠٩)

القفص والبلوص :

منطقتهم شرق إقليم كرمان وعرفت الجبال التي يسكنون فيها باسمهم ، وهم شعب متبربر كانوا يعيشون عيشة مستقلة وكان رؤساء القفص والبلوص يؤدون إلى المتغلبين على إقليم فارس وكرمان ما اعتادوا من الإعتراف والطاعة وكان هذا الشعب يعيش عيشة خاصة لا يتعرض له ولاة كرمان ولا يتعرض هو لهم . لما دخل أحمد بن بويه كرمان غدر بالقفص والبلوص وأراد اقتحام بلادهم معتمداً على قوة جنده ولكن أهل الجبال علموا بمسيره إليهم فوضعوا له كميناً فاجأوه به على حين غرة فقتلوا معظم رجاله وأصيب هو بضربة قطعت يده اليسرى من الساعد وبعض أصابع يده اليمنى(٤١٠) لذا كان يقال له الأقطع .

يعرف القفص والبلوص بأنهم قوم لا أخلاق لهم ولهم قلوب قاسية وبأس وجلادة لا يبقون على أحد ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يتصدع .(٤١١)

قتالهم بالنشاب والسيوف فإذا قاموا بأسر الرجل أمروه بالعدو معهم نحو عشرين فرسخاً حافي القدم جائع الكبد ثم يقتلونه بعد ذلك .

لا يرغبون الدواب ولا يركبونها أنما هم رجالة . وهو يصبرون على الجوع والعطش زادهم شيء قليل من النبق .(٤١٢)

استمر القفص والبلوص متحصنين بجبالهم إلى أن غزاهم عضد الدولة بن بويه وأسرهم وسباهم وأخذ كنوزهم وأموالهم . (٤١٣)

هذا وقد كان لهذه العناصر المتباينة أثرها على المجتمع في جميع نواحيه.

---

(٤٠٩) نفس المصدر و نفس الصفحة .

(٤١٠) نفس المصدر ، ص ٤٨٨ .

(٤١١) نفس المصدر ، ص ٥٠٠ .

(٤١٢) نفس المصدر ، ص ٥٠١ .

(٤١٣) نفس المصدر ، ص ٥٠٢ .

المبحث الثاني

طبقات المجتمع :

الطبقة العليا :

الخلفاء والأمراء :

يطلق على هؤلاء طبقة الخاصة والتي تتكون من الخليفة وأهله ورجال دولته .

فالخليفة هو صاحب السلطتين الدينية والسياسية فحري لمن كان هذا منصبه أن يعظم الناس شأنه ويتقربوا إليه بالطاعة وبذل الخدمة وبالمدح والإطراء .

يذكر كثير من المؤرخين أن الخلافة (٤١٤) العباسية فقدت هيبتها وضعف شأنها في العصر البويهي وأن الخليفة أصبح عبارة عن رمز ديني ليس له من السلطة سوى الاسم فقط . أما السلطة الفعلية فكانت في يد الأمير البويهي .(٤١٥)

كان الأمير الذي يصل إلى كرسي الحكم في بغداد يحضر بين يدي الخليفة العباسي فيقلده رسمياً أمور الدولة قائلاً : " أفوض إليك كل ما أوكل الله تعالى إليَّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي أو أسبابي وما وراء بابي فتول ذلك مستجيراً بالله تعالى " . ثم يخلع عليه الخليفة ويلبسه التاج فيكسب الأمير البويهي بذلك الصفة الشرعية لحكمه .(٤١٦)

وفي رواية أخرى إنه عند تعيين الخليفة لأمير ما ، أن يحضر ذلك الأمير مجلس الخليفة فيطوقه ويسوره ويقلده سيفاً ويعقد له لواء مطعماً بالفضة ويكتب له عهداً بالإمارة أو الولاية .(٤١٧)

---

(٤١٤) الخلافة في اللغة مشتقة من مصدر خلف يخلف يقال خلفه خلافة وكان خليفة من بعده الجمع خلائف وخلفاء . وفي الإصطلاح المقصود بها من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا . فالخليفة في الدولة الإسلامية يجمع السلطة الدينية والدنيوية . يقول ابن خلدون : " الخلافة عند صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا " ، المقدمة ، مصدر سابق، ج ٤ ، ص ٥٣ .

لمعرفة المزيد عن الخلافة يمكن الرجوع إلى ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٧٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ،ص ٢٢٤ وغيرهم .

(٤١٥) البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليزك ١٨٧٨ ، ص ١٣٢ .

(٤١٦) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ٣٠٦ .

(٤١٧) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

كان أمراء بني بويه يحاولون التمتع بميزة ضرب الطبول على أبواب دورهم إسوة بالخلفاء وقد حاول معز الدولة أحمد بن بويه التمتع بهذه الميزة فأخفق في ذلك في عهد الخليفة المطيع .(٤١٨)

فلما ولي عضد الدولة أمور بغداد طلب من الخليفة الطائع أن يمنحه حق ضرب الطبول أمام داره فأجاز ذلك ثلاث مرات يومياً في صلاة الصبح والمغرب والعشاء .(٤١٩)

أصبحت هذه الميزة (ضرب الطبول) بعد ذلك حقاً من حقوق الأمراء البويهيين الذين يتولون الحكم . فكان الطبل يضرب ثلاث مرات أمام دار الأمراء صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة وفي عهد الخليفة القادر بالله أذن لجلال الدولة من بهاء الدولة بأن تقرع الطبول له خمس مرات يومياً .(٤٢٠)

وعندما تولى سلطان الدولة الحكم أمر بضرب الطبل أمام داره خمس مرات في اليوم أي في أوقات الصلوات الخمس دون استئذان من الخليفة .(٤٢١)

في سنة ٣٦٨هـ /٩٧٨م أمر الخليفة الطائع بأن تقام الخطبة للأمير عضد الدولة على منابر بغداد بعد الخطبة للخليفة(٤٢٢) . وكان عضد الدولة أول حاكم بويهي حصل على هذا الامتياز وجعلها سنة في أعقابه .(٤٢٣)

أما السكة فهي الرمز الثاني لسيادة الخليفة فقد انتقل التصرف بها إلى يد البويهيين فحذفوا لقب أمير المؤمنين واكتفوا بذكر اسم الخليفة على النقود .في حين أن الحاكم البويهي ذكر اسمه ولقبه وكنيته وأضيف أحياناً اسم رئيس الأسرة البويهية وألقابه . بل حتى ألقاب ولي العهد البويهي في بعض الأحيان .(٤٢٤)

---

(٤١٨) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤١٩) ابن الجوزي ، مصدر سابق ج ٧ ، ص ٩٢ .

(٤٢٠) ابن الأثير ، مصدر سابق ج ٩ ، ص ٣٠٥ .

(٤٢١) أبو المحاسن ، مصدر سابق ج ٤، ص ١٣٢ .

(٤٢٢) السامرائي ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

(٤٢٣) ابن الجوزي ، مصدر سابق ج ٧ ، ص ٩٢ .

(٤٢٤) السامرائي ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

حرص أمراء بني بويه منذ قيام دولتهم على التلقب بالألقاب [٤٢٥] كما كان خلفاء بني العباس مما رفع شأنهم في نظر الناس ففي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م لقب الخليفة المستكفي علي بن بويه " بعماد الدولة " ولقب الحسن بن بويه" ركن الدولة " ولقب أحمد بن بويه " بمعز الدولة " وزيادة في تشريفهم أمر بأن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم .[٤٢٦]

جرت العادة بعد ذلك أن يلقب الخليفة العباسي كل أمير من الأسرة البويهية يتولي السلطة ففي سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م لقب الخليفة المطيع لله الأمير أبا شجاع فناخسروا ركن الدولة بلقب عضد الدولة وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٦٥م لقب أبا منصور بويه بن ركن الدولة " مؤيد الدولة " كما لقب الخليفة الأمير بختيار بن أحمد بن بويه بلقب " عزالدولة " وفي سنة ٣٤٦هـ٩٧٤م لقب الخليفة أبا الحسن علي بن ركن الدولة " بفخر الدولة " [٤٢٧]

وفي سنة ٣٧٣هـ٩٨٣م ، أنعم الخليفة الطائع على الأمير صمصام الدولة بلقب "شمس الملة" كما لقب الأمير شرف الدولة بن عضد الدولة بلقب "شاهنشاه".

لقب الخليفة القادر بالله الأمير بهاء الدولة البويهي سنة ٣٧٩هـ/٤٠٥م بلقب غياث الأمة .[٤٢٨]

كان الخليفة في البداية هو الذي يختار اللقب للأمير البويهي وكان على الأمير قبوله وعدم الاعتراض عليه وذلك على اعتبار أن اللقب هدية من الإمام بمنحه لمن يشاء من أصحابه أو العاملين معه [٤٢٩] غير أن ذلك لم يدم طويلاً وأصبح من المألوف وابتداءاً من سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م في عهد الخليفة الطائع أن يختار الأمير البويهي لنفسه ما يشاء من الألقاب ثم يحصل على موافقة الخليفة

---

(٤٢٥) اللقب : هو ما يخاطب به الرجل سواء من ذكر عيوبه أو محاسنه ، القلقشندي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ .

(٤٢٦) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٤ .

(٤٢٧) نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٤٥ .

(٤٢٨) أبو المحاسن ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٣٥ .

(٤٢٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧، ص ١١٢ .

عليها ففي سنة ٣٦٩هـ/٣٧٩م طلب الأمير عضد الدولة من الخليفة الطائع أن يزيد في لقبه " تاج الملة " فلم يمانع الخليفة ولقبه كما طلب.[٤٣٠]

وقد جاوز بنو بويه حدهم في التلقب بألقاب لم تكن مألوفة أصلاً في مجتمع الدولة الإسلامية ولم يكن الخليفة العباسي نفسه راضياً عن تلقب الأمير عضد الدولة بلقب ملك الملوك ولما طلب أبو كاليجار بن سلطان الدولة ، بأن يتلقب " السلطان الأعظم مالك الأمم " عارضه العلماء فتلقب أبو كاليجار بعد ذلك " ملك الأمة " .[٤٣١]

في سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م زيد في ألقاب جلال الدولة (شاهنشاه الأعظم ملك الملوك " وذلك بموافقة الخليفة القائم بأمر الله وخطب لجلال الدولة بذلك على المنابر فنفرت العامة ووقعت فتنة شديدة .[٤٣٢]وعند ذلك رؤي الرجوع إلى الفقهاء والقضاة بجواز التلقب بذلك اللقب لأن المقصود به " ملك ملوك الأرض " [٤٣٣]

الوزراء :-

في أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي كان الشخص المرشح للوزارة يحضر إلى دار الخلافة فيخطره الخليفة باختياره ليكون وزيراً له ثم يخلع عليه خلع الوزارة وهي القباء [٤٣٤] والسيف والمنطقة[٤٣٥] المحليين بالذهب ويخرج الوزير على فرس بمركب ذهب يرافقه الأمراء والحجاب والقواد وكبار رجال الدولة [٤٣٦] ثم يتحول الوزير الجديد إلى الدار المخصصة للوزارة فيأتيه الناس بمختلف طبقاتهم للسلام والتهنئة فإذا بدأ ممارسة سلطاته كتب للأمراء والعمال خارج بغداد إشعاراً بتوليه الوزارة [٤٣٧].

---

(٤٣٠) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢، ص ٤٣ .

(٤٣١) نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٤٥ .

(٤٣٢) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ .

(٤٣٣) إبن خلكان ، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٣٣..

(٤٣٤) أنظر ص ٥٧.

(٤٣٥) أنظر ص ٥٧. .

(٤٣٦) ابن مسكويه، مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤٣٧) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

يذكر ياقوت الحموي وصف المراسم التي أجريت في سنة ٣٣٩هـ٩٥٠م،عند تعيين الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي فقال :

" حضر الجماعة المرشحون وكل منهم يعتقد أنه المختار المقلد ، وجلسوا في خركاة [٤٣٨] ينتظرون الإذن ثم وصل القوم ووقفوا على مراتبهم ودخل أبو محمد بعدهم . وقام في أخرياتهم فلما تكامل الناس أسر الأمير معز الدولة إلى أبي الحسن بن إبراهيم الخازن قولاً لم يُسمع فمشى إلى أبي محمد المهلبي وقبل يده ، وخاطبه بالأستاذية وحمله إلى الخزانة فخلع عليه " القباء والسيف والمنطقة " ثم خرج منصرفاً إلى داره وقدم له " شهري " [٤٣٩]ولما توجه إلى مقر الوزارة خلع عليه مرة ثانية كتابه عن موافقته على اختياره وكان من المتبع أن يقرر الأمير البويهي في نفس الوقت الذي يتم فيه اختيار وزير له الراتب الذي سيمنح لذلك الوزير وأن يضم إليه عدداً من الجند ليكونوا في خدمته ويستعين بهم في تنفيذ أوامره .[٤٤٠]

كذلك من الوزراء أبو غالب فخر الملك الذي ولي الوزارة للأمير بهاء الدولة ويعد من أعظم وزراء البويهيين وقد تمتع هذا الوزير بنفوذ واسع في الدولة أثناء وزارته وذلك لكفاءته وحزمه وحسن إدارته .[٤٤١]

وفي سنة ٤٠١هـ١٠١٠م ولى الأمير بهاء الدولة وزيره فخر الملك الإشراف على العراق نيابة عنه وبذلك جمع فخر الملك بين وظيفتي الوزير والحاكم الإداري .[٤٤٢]

من أشهر الوزراء في القرن الرابع الهجري بن عباد الملقب بالصاحب وزير بني بويه بالري .[٤٤٣]

ويعد الصاحب من أفضل الوزراء البويهيين وقد منحه الأمير مؤيد الدولة ٣٣٦-٣٧٣هـ/٩٧٦-٩٨٣م ثم فخر الدولة سلطة مطلقة في إدارة شئون البلاد

---

(٤٣٨) خركاة : كلمة تركية تعني القبة أو الخيمة ، القلقشندي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٤٣٩) شهري ، نوع من الخيول ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ١٠ ، ص ٤٣٣ .

(٤٤٠) ابن مسكويه : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٤٤١) ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ١٨٤ .

(٤٤٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤١ .

(٤٤٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤٢

التابعة لهما (الري – همذان – أصبهان) وكانا يحترمانه وينفذان أوامره حتى لو كانت تتعارض مع رغباتهما . (٤٤٤)

وقد كان له الفضل في وصول فخر الدولة للأمارة فقد استدعاه بعد وفاة الأمير مؤيد الدولة من السامانيين الذين كان ملتجئاً لديهم خوفاً من أخيه عضد الدولة لخلاف كان بينهما ، فأشار الصاحب على كبار رجال الدولة باستدعاء فخر الدولة ليتولى الإمارة خلفاً لأخيه .(٤٤٥)

نجح الصاحب في ضبط أمور الدولة وقام بتدبير شئونها ، من النواحي الإدارية والعسكرية خير قيام . وساعده على ذلك ما كان يتمتع به من خبرة إدارية وكفاءة حربية ، وما كان له من هيبة واحترام في نفوس كبار رجال الدولة حتى أن كبار قواد بني بويه كانوا يقفون ببابه لأخذ الإذن للدخول عليه ، كما رفع الصاحب بن عباد شأن الوزارة وحفظ هيبتها . (٤٤٦) . كان الأمير عضد الدولة معجباً به وكان يخرج بنفسه لاستقبال الصاحب إذا قدم إليه كما فعل في سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م حينما خرج على رأس كبار رجال دولته لاستقبال الصاحب عندما جاء إلى نهاوند وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له خركاة مجاورةً لمضاربه .(٤٤٧)

كان الصاحب على جانبٍ عظيمٍ من العلم والفضيلة ومكارم الأخلاق فقد استفاد من كثرة مخالطته للعلماء ورجال الأدب ، فكان كثير الإحسان إليهم حتى أنه كان يصرف في كل عام ما يزيد عن الألف ألف دينار من أعمال الخير والصدقات وكان يبعث إلى بغداد كل سنة مبلغاً كبيراً من المال يصرف على الفقهاء والأدباء وكانت صدقاته في شهر رمضان تعادل صدقاته في العام كله .(٤٤٨)

دأب هذا الوزير على عقد مجالسٍ لأهل العلم والأدب وكان يحسن معاملة جلسائه ويتبسط معهم ويقول : " نحن بالنهار سلطان وبالليل أخوان " . وبلغ من

---

(٤٤٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤٧

(٤٤٥) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١٧٤ .

(٤٤٦) ابن خلكان : ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٤٤٧) ابو شجاع : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ .

(٤٤٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

حب الصاحب لرجال العلم أنه أنفق عليهم كل أمواله . [٤٤٩]

كذلك من الوزراء ابن العميد [٤٥٠] الذي ولي الوزارة للأمير ركن الدولة بن بويه بالري سنة ٣٢٨هـ٩٣٩م وكان يضرب به المثل لبراعته في البلاغة والفصاحة حتى أنه كان يسمى بالجاحظ [٤٥١] الثاني . فقد كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة وتوسعاً في النحو والعروض ، اهتداءً للاشتقاق والاستعارات وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام .[٤٥٢]

هذا فضلاً عن تمكن أبي الفضل من علوم الهندسة والمنطق والفلسفة . فكان له معرفة تامة بعلمي التفسير والفقه وله ذاكرة قوية ومقدرة على الحفظ . كان له اهتمام خاص بالشعر وقد حفظ ابن العميد من الشعر ما لم يحفظه غيره . ومن أشعاره قصيدة أهداها إلى عضد الدولة بمناسبة النيروز منها هذه الأبيات :

أسعد بنيروزك أتاك مبشراً — بسعادة وزيادة وبيان
واشرب فقد حل الربيع نقابه — عن منظر متهلل بسام[٤٥٣]

أما من الناحية الإدارية فقد كان ابن العميد من أعظم وزراء العهد البويهي وأبعدهم أثراً في سياسة الدولة وتقدير أمورها ، وأكثرهم فهماً لما تحتاج إليه الوزارة من خبرة وحكمة ، ومرونة وتواضع .[٤٥٤]

---

(٤٤٩) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٨٤ .

(٤٥٠) ابن العميد : هو محمد بن الحسن بن محمد العميد والعميد لقب والده وكان العميد وزيراً لوشكمير بن زيار حاكم الري وقد توطدت عرى الصداقة بين العميد وبين علي بن بويه . بالتالي ساعد العميد علي بن بويه في تمكنه من ولاية الكرج . وهو فارسي الأصل من مدينة قم . نشأ وتربى بها عمل كاتباً " لماكان بن كالي " ثم للسامانيين وهم الذين لقبوه بالعميد كعادتهم فيمن يتقلد لهم ديوان الرسائل . توفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م أثناء قيادته لإحدى الحملات الحربية ، ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٤٥١) الجاحظ : هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من أكثر كتاب النثر أثراً . حتى قال ثابت بن مرة المترجم : " ما أجد هذه لامه إلا على ثلاثة أنفس : أولهم عمر بن الخطاب والثاني الحسن البصري والثالث أبو عثمان الجاحظ ، وإن أسلوبه وما تحويه كتبه من معلومات غزيرة يؤهله لأن يوضع في المرتبة الأولى من متقدمي كتاب النثر العرب ومن مؤلفات الجاحظ البيان والتبيين ، الحيوان ، كتاب البخلاء والطفيليين ومن أشهر مؤلفاته ، رسالة التربيع والتدوير وقد طبعت في ليون سنة ١٩٠٣ ضمن ثلاث رسائل . ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٦ .

(٤٥٢) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٤٥٣) الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(٤٥٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

أظهر ابن العميد أثناء تقلده الوزارة مهارة كبيرة في إدارة أعمال الدولة فهابه الناس واحترموه (٤٥٥) كما كان متفوقاً في الأعمال العسكرية وعلى معرفة تامة بأمور الحرب وقيادة الجيوش ، مما ساعده على التفوق في المجال العسكري قدرته على فهم نفسية الجند الذين كانوا يعملون تحت قيادته كما يظهر ذلك من خلال شرح ابن العميد لابنه أبي الفتح للطرق الصحيحة التي يجب أن يتبعها القائد في سياسة جنده (٤٥٦).

ساهم هذان الوزيران في النهوض بالحركة العلمية والأدبية بما قدماه من الإهتمام بالعلماء والأدباء وتأليف الكتب . فقد ألف ابن العميد كتاب المذهب في البلاغات ، وكتاب يضم دبوان رسائله . وقد أنشأ مكتبة عظيمة وعين أحد العلماء خازناً لها وهو مسكويه .(٤٥٧)

كان الوزير يتقاضى راتباً شهرياً أسوة ببقية موظفي الدولة وبلغ راتب الوزير في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) خمسة آلاف دينار في الشهر وكان يعطي كل واحد من أولاده مبلغاً من المال في كل شهر قدره خمسمائة دينار (٤٥٨).

فضلاً عن مرتب الوزير الشهري كان هناك مخصص سنوي وهو دخل الضياع العباسية التي كانت تمنح كإقطاع لكل من يتولى الوزارة ويقدر إيرادها

---

(٤٥٥) نفس المصدر ، ج٢، ص١٢٤..

(٤٥٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٤٥٧) إبن كثير، مصدر سابق ، ج١٢، ص١٢٣.

(٤٥٨) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

بخمسين ألف دينار هذا بالإضافة إلى الهدايا التي كان يقدمها الخليفة لوزيره عند تعيينه .(٤٥٩).

كان الأمير عضد الدولة حينما عين محمد بن بقية وزيراً له منحه إقطاعاً دخله في السنة أربعون ألف دينارٍ .(٤٦٠)

كان يصرف للوزراء إلى جانب الراتب مخصصات من الشمع والملح والثلج ، وعلى سبيل المثال كان يصرف للوزير ابن بقية في كل يوم ألف رطل من الملح وألف رطل من الثلج وألف رطل من الشمع (٤٦١) لاستخدامها في الأشياء الحياتية (٤٦٢).

كذلك كان الأمراء البويهيون يقطعون وزراءهم كثيراً من الأراضي الزراعية والضياع كمنح وهدايا لتحسين حالتهم المالية ففي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، زاد عضد الدولة في إقطاع وزيره أبي الحسن محمد المهلبي (٤٦٣) وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م أقطع الأمير عزالدولة بختيار أبا الفتح بن العميد ضياعاً كثيرةً في نواحي العراق فرتب ابو الفتح نائباً له للإشراف على إنتاجها وموافاته بثمنها .(٤٦٤)

وفي سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م أقطع الأمير عضد الدولة الصاحب بن عباد ضياعاً جليلة في نواحي فارس .(٤٦٥)

ونلاحظ أن بعض وزراء العهد البويهي كانوا من الأثرياء قبل توليهم الوزارة ويروى أن الصاحب بن عباد كان ينفق منذ نشأته حتى مماته من مال أبيه .(٤٦٦)

---

(٤٥٩). أبو شجاع ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١١ .

(٤٦٠) نفس المصدر ، ج٢، ص ٢٠٥ .

(٤٦١) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٧ .

(٤٦٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .

(٤٦٣) الهمذاني ، محمد بن عبد الملك ، تكملة تاريخ الطبري ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ج٢، ص ١٧٣ .

(٤٦٤) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٤٦٥) نفس المصدر ، ج٣، ص١٧٣ .

(٤٦٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

وهناك بعض الوزراء البويهيين استفادوا مالياً من مناصبهم وكونوا لهم ثروات طائلة أما عن طريق المصادرات التي كانوا يتبعونها في ذلك الحين أو عن طريق احتجاز مبالغ كبيرة من دخل الدولة لأنفسهم .

منح الألقاب للوزراء :

سار أمراء بني بويه على نهج الخلفاء العباسيين في منح الألقاب لوزرائهم لكنهم غالوا في ذلك حتى أصبح الوزير البويهي يحمل في بعض الأحيان ثلاثة أو أربعة ألقاب في آنٍ واحد يقول البيروني (٤٦٧): " وتشبه بهم ، أي الخلفاء العباسيين آل بويه لما كانت الدولة منتقلة إليهم ..... وبالغوا فيه ، واستقر منهم النفاق فسموا وزراءهم بكافي الكفاة والكافي الأحد وأوحد الكفاة " وقد منح البويهيون الألقاب لوزرائهم مكافأة لهم على ما كانوا يقدمونه للدولة من خدمات لإرضائهم من ناحية ثم لإعلاء شأنهم أمام الناس وكبار موظفي الدولة من ناحية أخرى .(٤٦٨) ففي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م لقب الوزير ابو الفتح بن العميد وزير ركن الدولة " بذي الكفايتين " كفاية السيف والقلم لما بذله من جهد كبير في إرجاع إمارة العراق إلى الأمير عز الدولة بختيار بعد أن انتزعها منه ابن عمه عضد الدولة . (٤٦٩)

كما لقب أيضاً في هذا العام الوزير محمد بن بقية وزير الأمير عز الدولة بختيار بلقب " نصير الدولة " وقد كان هذا اللقب مكافأة له على جهوده في نزاع الأمير عز الدولة مع ابن عمه عضد الدولة (٤٧٠) حول إمارة العراق حيث نجح ابن بقية في استمالة حكام البصرة والأهواز إلى جانب عز الدولة مما ساعد على عودة عضد الدولة إلى فارس واستعادة بختيار للإمارة .(٤٧١)

---

(٤٦٧) البيروني ، الآثار الباقية ، مصدر سابق ، ص ٣٤٥ .

(٤٦٨) نفس المصدر ، ص ٣٤٦ .

(٤٦٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٤٧٠) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ .

(٤٧١) نفس المصدر ، ج٦، ص٣٥٢ .

كذلك لقب الأمير مؤيد الدولة وزيره الصاحب بن عباد : كافي الكفاءة " لكفايته ولما أحرزه من نصر حربي في توسيع نفوذ آل بويه حتى قيل إنه فتح خمسين قلعة (*)بفارس وضمها إلى حوزة البويهيين .(٤٧٢)

تجلت ظاهرة تعدد ألقاب الوزراء البويهيين منذ بداية القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي – وهي فترة النزاع المستمر بين أمراء آل بويه على وزرائهم كسباً لودهم وضماناً لعدم انضمامهم إلى خصومهم مما يزيد من إضعاف مراكزهم . (٤٧٣)

ومن الوزراء الذين تلقبوا بعدة ألقاب أبو غالب الحسن بن منصور وزير الأمير شرف الدولة وكان يحمل ثلاثة ألقاب ، هي " ذوالسعادتين " وزير الوزراء ، نجاح الملوك (٤٧٤) . كما تلقب أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن ماكولا وزير جلال الدولة بأربعة ألقاب هي "علم الدين " ، " سعد الدولة " ،" أمين الملة " ، " شرف الملك " .(٤٧٥)

أما الوزير محمد باشاذ وزير الأمير أبي كاليجار فقد منحه الأمير خمسة ألقاب هي " معز الدين "،" ملك الدولة ، " سيد الأمة "،" وزير الوزراء، " عماد الملك " .(٤٧٦)

القواد :

كان يتم تعيينهم بواسطة الأمراء . كانت لهم مكانتهم في العصر البويهي . كان بيدهم مصير الخلفاء ، يخلعونهم متى ما ارادوا وينصبونهم متى شاءوا (٤٧٧) امتلكوا الضياع والأراضي فعاشوا في رفاهية ودعة في العيش . لذا نجد الخلفاء يفدون أنفسهم منهم وبكل ما يملكون ، فكانوا يعطونـهم الأموال ويقطعونـهم الإقطاعات الكبيرة على نحو ما كانوا يقطعون الوزراء . ونجد أن معز الدولة

(*) من القلاع التي فتحها قلعة سمبروم وقلعة موغكان في غرب فارس وقلعة فارم وفريم ، ومن القواد كوردفير ، وشيرج وبارس وفراتكين وتكنيك و إبراهيم بن كاسك وغيرهم .

(٤٧٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ .

(٤٧٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

(٤٧٤) ابن كثير ،مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٣١٥ .

(٤٧٥) نفس المصدر ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ .

(٤٧٦) نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ١٠ .

(٤٧٧) نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٢٥ .

وزع كثيراً من أقاليم العراق إقطاعاً بين قادة جيشه ، وكانت تدر عليهم أموالاً كثيرة.[٤٧٨]

كذلك الأمير صمصام الدولة فقد كان يقطعهم الإقطاعات الكبيرة ويحقق رغباتهم بتوفير الأرزاق لهم ولأبنائهم ، ولكن برغم ذلك نجد بعض القواد يتدخلون في رسم سياسة الدولة ونصرة أميرٍ على آخر. [٤٧٩] فالقائد أسفار بن كردويه تدخل في خلع الأمير صمصام الدولة فاتصل بكبار قواد الجيش واتفق معهم على تنصيب بهاء الدو لة ، ولكن صمصام الدولة علم بذلك وعاد إلى منصبه بمساعدة قائدٍ آخر .[٤٨٠]

في عهد مشرف الدولة ثار عدد من القواد وكادوا يخلعونه من منصبه عندما تباطأ في صرف حقوقهم .[٤٨١]

قد يتعرض القواد لنقمة الأمير أحياناً مثلما فعل عز الدولة بختيار عندما اشتدت حوجته إلى الأموال قام بمصادرة إقطاعات قواده ونفاهم إلى مناطق نائية بخراسان .[٤٨٢]

وفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٢٨م قام القائد إبراهيم بن المرزبان بمساعدة السلطان جلال الدولة على استرداد البصرة من عماد الدولة بن سلطان الدولة " ابو كاليجار " وذلك في سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م . بعد أن كان سلطان الدولة قد طرده منها في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م . وفي سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م ثار القواد على جلال الدولة وطالبوه بالأموال إلى أن اضطر إلى بيع فرسه وثيابه وخيمة وفرق ثمنها عليهم .[٤٨٣]

---

(٤٧٨) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ .

(٤٧٩) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ .

(٤٨٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ .

(٤٨١) نفس المصدر ج ٣ ، نفس الصفحة .

(٤٨٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، نفس الصفحة .

(٤٨٣) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٦٣٥ .

هناك عدد من القواد الذين استطاعوا بقوتهم وشجاعتهم تكوين دويلات كان لها دور في الحياة السياسية والإجتماعية ومنهم مرداويج بن زيار ويعقوب ابن الليث الصفار وعلي بن بويه وغيرهم .

الكتـاب :

لما تعددت الدواوين في الدولة العباسية أصبح من الضروري تعيين طائفة من كبار الموظفين للإشراف على هذه الدواوين ، ويسمى هؤلاء الموظفون :
" الكتاب " ومن أشهر الكتاب في العهد العباسي كاتب الرسائل ، كاتب الخراج ، كاتب الجند ، كاتب الشرطة وغيرهم . (٤٨٤)

ومهمة كاتب الرسائل هي إذاعة المراسم وتحرير الرسائل السياسية إلى الملوك والولاة وختمها بخاتم الخلافة بعد اعتماده من الخليفة كما كان يجلس مع الخليفة أو أمير الأمراء في مجلس القضاء .

وهناك صفات لا بد أن تتوفر في الكاتب عامة وكاتب الرسائل خاصة، فلا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة وزيادة العلم ، وعارض البلاغة ، فإنه معرض للنظر في أمور العلم لما يعرض في مجلس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الأدب والتخلق بالفضائل .(٤٨٥)

لم يكن اتخاذ الكتاب مقصوراً على الخلفاء وحدهم بل كان عمال الأقاليم وأمراء الأمراء وسلاطين بني بويه يتخذون كتاباً يعاونونهم في إدارة الدولة . فقد اتخذ توزون الذي تقلد إمرة الأمراء في عهد المتقي أبا جعفر بن شيرازاد كاتباً له كما نرى بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه في الري(*) وهمذان (*) وأصبهان(*) يتخذ بن عباد كاتباً له ، ويعهد إليه بتنشئة مؤيد الدولة بن ركن الدولة . ولم يلبث هذا الكاتب أن ارتقى إلى رتبة الوزارة في عهد مؤيد الدولة وأخيه فخر الدولة .(٤٨٦)

---

(٤٨٤) الجهشياري ، أبو عبد الرحمن بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص ٥٢ .

(٤٨٥) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ .

(*) الري : يقع في الطرف الشمالي الشرقي في إقليم الجبال ، سميت بالمحمدية في خلافة المنصور عندما نزلها ابنه المهدي ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(*) همذان : تقع غرب إيران على خط طول ٣٥ – ٤٨ ^{o} شرقا وخط ٢٤-٣٤ شمالاً فتحها المسلمون بقيادة المغيرة بن سغبة سنة ٢٤ هـ ، اليعقوبي، مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

(*) أصبهان : تقع في وسط إيران بين طهران وشيراز في الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال بين خطي عرض ٤٢ – ٣٢^{o} شمالاً وخط طول ٤٣ – ١٥^{o} شرقاً ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

(٤٨٦) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج٣، ص١١٨. .

من أبرز كتاب البويهيين أبو إسحاق الصابئ[٤٨٧] صاحب الرسائل[*] المشهورة المطبوعة ، فكان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة البويهي ، تقلد ديوان الرسائل عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م .[٤٨٨] ظل محافظاً على دينه الوثني رغم ما خوطب ومُني ووعد بالوزارة إذا هو أسلم ورغم أنه كان صابئاً إلا أنه كان يصوم رمضان ويحفظ القرآن وكان محبوباً من عظماء المسلمين .[٤٨٩]

كان الصابئ يناصر عز الدولة على عضد الدولة فلما انتصر عضد الدولة وقتل عز الدولة قبض عليه وحبسه وأراد إلقاءه تحت أرجل الفيلة فتدخل البعض لدى عضد الدولة فتركه .[٤٩٠]

يعد الصابئ من أعظم كتاب عصره ، وقد وصف بأنه إمام الكتاب في عصره وأنه يجيد في الكتابة الرسمية والسلطانيات .

كذلك من الكتاب أبو القاسم بن العزيز بن يوسف الذي يعد من أكبر كتاب عصره تقلد ديوان الرسائل لعضد الدولة وتقلد الوزارة بعده عدة مرات لأبنائه ، وهو في أسلوبه أقل الزاماً للسجع وكان يمزج شعره بنثره . [٤٩١]

يعد أبو حيان التوحيدي [٤٩٢]من أكبر كتاب البويهيين وأميزهم فكتابته يعنى فيها بالموضوع كما يعنى بالشكل ، وهو غزير العلم ، واسع العقل ، حسن الصياغة ، جيد السبك ، حتى أنه لقب بالجاحظ ومن كتبه المقايسات والبصائر ، ورسالة في الصداقة ويعتبر أبو حيان واسع المعرفة وله اتصال تام بالفلسفة

---

(٤٨٧) الصابئ : هو اسحق بن هلال بن إبراهيم بن زهران الصابئ الحراني أديب وعالم له يد طولى في علم الرياضة خصوصاً الهندسة .ولد بحران . أمر عضد الدولة من الصابئي أن يؤلف له كتاباً في أخبار الدولة البويهية فألف كتاب " التاجي " وقد وشى بعض الناس إلى عضد الدولة أن الصابئ سئل وهو يكتب هذا التاريخ . ماذا تصنع ؟ فقال : " اباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها " فقبض عليه عضد الدولة وحبس أربع سنين ثم خرج وقد ساء حاله . توفي ببغداد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٣م . الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(*) له عدد من الرسائل منها رسالة في وصف المتصيد والصيد وفي الملوك والرؤساء وتهانيهم في المناسبات المختلفة وغيرها من الرسائل .

(٤٨٨) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج٢، ص ٣٣٣ .

(٤٨٩) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ .

(٤٩٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص. ٢١٥

(٤٩١) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .

(٤٩٢) ابو حيان التوحيدي : هو علي بن محمد بن العباسالتوحيدي ، صوفي ، متكلم ، أديب ، لغوي ، قدم بغداد فأقام بها مدة ثم مضى إلى الري ، أخيراً جاور بيت الله الحرام . ومن تصانيفه الإشارات الإلهية ، الرسالة الصوفية ، ورسالة في علم الكتابة ورسالة الحياة ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٠٩ .

والتصوف والأدب من شعر ونثر وتاريخ وسيرة ، خبيراً بأحوال الزمان ، حمله البؤس للتنقل في الأمصار والاتصال بالوزراء مثل الوزير ابن سعدان .[٤٩٣]

ومن كتاب شيراز ابو أحمد عبد الرحمن بن الفضل ٣٥٠هـ/٩٦١م . كاتب معز الدولة الذي برع في النظم والنثر،[*] وكان مشهوراً بأمانته وكفاءته .[٤٩٤]

وهكذا لم يقل مركز الكاتب عن مركز الوزارة في كثيرٍ من الأحيان حتى أن الكتابة كانت ترشح صاحبها لتقليد الوزارة .

الأشراف :

ظهرت في العصر العباسي جماعة من المسلمين تفخر بقربتها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبنسبها القرشي متمسكة بما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي اشارت إلى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى :

((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) [٤٩٥] وغيرها من الآيات . متخذة من القرابة صفة دينية تميزها عن غيرها ، وقد أطلق عليهم الأشراف أو أهل البيت وتشمل طبقة الأشراف بني هاشم من العباسيين والعلويين .

وكان لهم نقيب في كل مدينة من المدن الكبيرة مثل بغداد ، واسط ، الكوفة ، البصرة ، الأهواز . [٤٩٦]

وكانت مهمة هذا النقيب تفقد أحوال الطالبيين والهاشميين ، وتعهد شئونهم باستمرار ، وأن يثيب المحسن ليزداد إحساناً وأن يعاقب المسئ ليقلع عن إساءته وإعطاء كل ذي حق حقه من الرعاية والإحسان والإكرام ، كذلك من مهامه هو إحاطة النسب الأطهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدعياء ، أو يدخل فيه الدخلاء ، ذلك أن كثيراً من الناس يحبون أن ينسبوا إلى هذا النسب الشريف وهم

---

(٤٩٣) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج ٤ ن ٢١٨ .

(*) ومن أشعاره في الكرم :

ما منهم إلا امرؤ غمر الندى   سمح اليدين مؤهل مرهوب

يغريه بالخلق الرفيع وبالندى   والمكرمات القول والتأنيب

(٤٩٤) الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٤٩٥) القرآن الكريم ، سورة الأحزاب ، الآية ٣٣ .

(٤٩٦) ابن طباطبا : مصدر سابق ، ج٣، ص ١٥٧ .

ليسوا فيه . كذلك عليه أن يربى اليتامى وأن يعلمهم ويجعلهم يقصدون الكتاتيب ليتعلموا القرآن الكريم ويزوج الأيامى وأن يهتم بتسيير الحجاج إلى بيت الله الحرام وغيرها من المهام الأخرى .(٤٩٧)

وفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م قلد الخليفة الطائع لله الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبيين والنظر في المظالم وإمارة الحج ، وكتب عهده بذلك واستخلف ولديه المرتضى أبا القاسم والرضي أبا الحسين على النقابة (٤٩٨).

وفي سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م ولي الأمير بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسن بن موسى الموسوي قضاء القضاء والحج والمظالم ونقابة الطالبيين ولقب بالطاهر الأوحد ذي المناقب .(٤٩٩)

وكان عهد النقيب يقرأ بحضور الخليفة وحضور القضاة والشهود والأشراف وكبار رجال الدولة .(٥٠٠)

كانت إدارة الحج تسند إلى شريف الطالبيين بتقليد من الخليفة وكانت هذه الوظيفة تعود على صاحبها بأرباح وفيرة . فأحياناً تقطع له الإقطاعات وأحياناً يكون له مرتب وقد يجمع النقيب بجانب النقابة وظيفة القضاء فيقوم بالنظر في الأحكام (٥٠١).

---

(٤٩٧) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١٤٧ .

(٤٩٨) نفس المصدر ، ج ١٠ ، ص ١٤٨ .

(٤٩٩) نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ١٣٣ .

(٥٠٠) نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ١٠٢ م

(٥٠١) نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ١٠٣ .

الطبقة الوسطى :

العلماء :

يعتبر العلماء ورثة الأنبياء [٥٠٢] لذلك فقد لعبوا منذ البداية دوراً خطيراً في المجتمع الإسلامي كما كانوا يتمتعون بالتجلة والإحترام التام .

كانت كلمة العلماء مسموعةً لدى الناس لذا خشيهم الخلفاء والحكام وأرباب الدولة فقد كانوا قريبين من عامة الناس فكانوا يقيمون بين ظهرانيهم ويسكنون في الأحياء الشعبية في مختلف أنحاء المدينة . يجالسون الناس في الأسواق ويصلون معهم في المساجد .[٥٠٣]

كانوا يعطفون على الفقراء ، ويمدون لهم يد المساعدة لذا أحبهم الناس وأبدوا لهم كل التقدير والإحترام ، وقد كانوا يعبرون عن احترامهم هذا بمختلف الوسائل لا سيما في مناسبات استقبالهم وتوديعهم .[٥٠٤]

وبرغم خشية الحكام من العلماء إلا إنهم قربوهم إليهم ، وكانت لهم منزلة كبيرة فكانوا يستعينون بهم لحل النزاعات وتهدئة العامة عندما يثورون عليهم .[٥٠٥]

وكان العلماء في خراسان يتمتعون بجاهٍ واحترامٍ لا نظير له في سائر البلاد ومن أمثلة ذلك أن أحد العلماء الزهاد دخل خراسان في سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م فخرج أهلها بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه ، ويأخذون تراب نعليه ، ويستشفون به وكان أصحاب البضائع ينثرون بين يديـه الحلوى والفواكه، وهو ينهاهم عن ذلك .[٥٠٦]

كذلك العالم أبو العباس الأصم أكبر علماء خراسان ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م ، والذي كان محبوباً من الناس وكان إذا ذهب إلى المسجد وجد الطريق قد امتلأ بالناس فكانوا يقومون له ويحملونه على عواتقهم إلى المسجد .[٥٠٧]

---

(٥٠٢) ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) ، (دار الحديث للنشر ، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) ج ١ ، ص ٨١ ، حديث رقم ٢٢٣ .

(٥٠٣) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٠٦ .

(٥٠٤) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٥٠٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .

(٥٠٦) آدم منز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، (دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧)، ج١ ، ص ٢٨٥ .

(٥٠٧) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

وكان لحب العلماء هذا أثره في حرص الطلاب وغيرهم لحضور حلقات تدريسهم وكان الفقهاء أكثر العلماء تلاميذاً ، فقد كان العالم ابو حامد الاسفرائيتي ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م يحضر دروسه ببغداد ما بين ثلثمائة وسبعمائة طالب .[٥٠٨]

أيضاً العالم أبو الطيب الصعلوكي الفقيه الأديب ت ٣٨٠هـ/٩٩١م مفتي نيسابور وكان يحضر حلقات دروسه أكثر من خمسمائة طالب علم . [٥٠٩]

لم يكن العلماء يعتمدون في أرزاقهم على الدولة فكانوا يرتزقون من عمل أيديهم . فالعالم الاسفرائيتي كان فقيراً وكان يعمل حمالاً في الصباح وحارساً في المساء لبعض الدور .[٥١٠] أيضاً العالم أبو العباس الأصم كان يعمل وراقاً . والعالم أبو بكر الحوزقي ت ٣٨٨هـ/٩٩١م . وكان من أكبر محدثي نيسابور فقد أنفق في الحديث مائة ألف درهم ولم يكسب درهماً .[٥١١]

كذلك ساهم العلماء في تشييد دور العلم فقد بنى العالم ابو بكر السيتي ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م مدرسة لأهل العلم بنيسابور وأوقف عليها جملة من ماله الكثير . وكان من كبار المدرسين . [٥١٢]

من أشهر علماء القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، أبو الحسن الدارقطني وقد اجتمع له مع علم الحديث المعرفة بالقراءات والنحو والفقه والأمانة والعدالة وصحة العقيدة .[٥١٣]

وقد كان مقرباً من الأمير عضد الدولة البويهي واشتهر في الفقه العالم أحمد بن عمر بن سريح الذي كان مقرباً من الأمير سلطان الدولة وكان يرجع إليه في كثير من الأمور .[٥١٤]

---

(٥٠٨) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق، ج ٤ ، ص ٢٥٥ .

(٥٠٩) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٩٣ .

(٥١٠) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

(٥١١) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

(٥١٢) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٥١٣) عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٥١٤) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

كذلك من أشهر علماء القرن الرابع أبو علي الفارسي (٥١٥) الذي قدم بغداد في سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م وكانت له حلقة تدريس بعد صلاة العصر وتستمر حتى صلاة المغرب واستمرت حلقاته حتى ٣٤٠هـ/٩٥١م ، ثم زار سيف الدولة بحلب سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م ثم عاد والتحق ببلاط الأمير البويهي عضد الدولة وعلت مكانته عنده وكان عضد الدولة : " يقول أنا غلام أبي علي في النحو " .(٥١٦)

وقد قال عنه بعض تلاميذه أنه أعلم من المبرد (٥١٧) وقد صنف أبو علي لعضد الدولة كتاب الإيضاح والتكملة في النحو وله أيضاً كتاب الإغفال وهو ما أغفله الزجاج (٥١٨) في المعاني وكتاب جواهر النحو وكتاب الأولويات في النحو وكتاب المقصور والممدود . وهناك غيرهم من العلماء الذين قدموا خدمات جليلة للمجتمع وفي مجالات عديدة كالطب والهندسة والنحو والتنجيم .

ومن أشهر النحويين بمدينة سيراف أبي سعيد الحسن بن عبد الله الذي كان بارعاً في العديد من العلوم مثل الحديث والفقه فكان يعقد حلقات للرد على الشيعة بالإضافة إلى تدريسه للنحو .(٥١٩)

وسبق أن أوضح البحث دور العلماء في محاربة البدع والضلال والإنحرافات التي ظهرت في المجتمع في العصر البويهي .

التجار :

---

(٥١٥) أبو علي الفارسي : هو ابو علي أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ولد بمدينة نسا سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م . أمه عربية هاجرت أسرته إلى فارس ، توفي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١١٤٥ .

(٥١٦) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

(٥١٧) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م . أخذ عن أبي عمر الجرحي وأبي عثمان المازني قرأ عليهما كتاب سيبويه . وكان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً . لقب بالمبرد لأنه لما صنف للمازني كتاب الألف واللام سأله عن أنباء دقيقة فيه فأجابه بأحسن جواب . فال له المازني : " قم فأنت المبرد بكسر الراء ، اي المثبت للحق ، توفي سنة ٢٧٩هـ/ـ٨٩٢م الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٥

(٥١٨) الزجاج : هو أبو اسحق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي من أهل الدين والفضل والأدب والنحو . لزم المبرد وتعلم على يديه وله كتب عدة في النحو واللغة والأدب . ولد سنة ٣١١هـ/٩٢٣م . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٨٩ .

(٥١٩) عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

هم طائفة من الناس كانوا يعملون بالبيع والشراء بهدف الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون وكان جماعات التجار ونظراً لكثرة ما يربحونه من أموال يشكلون طبقة هامة من طبقات المجتمع .(٥٢٠)

والاشتغال بالتجارة يستلزم احتكاكاً مباشراً بالسوق وكان التجار على علم وافر بأحوال السوق وما يروج فيها من سلع .(٥٢١)

والتجار نوعان ، نوع يعمل في الضروري من السلع وهؤلاء يتعاملون مع الأهالي والعامة . ونوع يتجر في الكمالي وأدوات الزينة . وهؤلاء يتعاملون مع ذوي السلطان والأعيان .(٥٢٢) فكانوا يجلبون لهم التحف النادرة ، والجواهر الغالية الثمينة ، ويخصونهم بأنواع الحرائر والديباج .

اتسع نفوذ التجار نتيجة ازدياد الترف والبذخ لدى رجال الحكم ، وعلى رأسهم الخليفة ، تمكنوا من تحقيق أرباح كثيرة ومنهم التاجر الجصاص (٥٢٣) الذي

بلغ من نفوذه أن هدد الوزير ابن بقية بأن يدفع للخليفة مالاً ليستوزر غيره وذلك لكي يتقاضى عن مخالفات ارتكبها فأذعن الوزير .(٥٢٤)

وكان الوزير ابن بقية إذا زاره أحد التجار يأمر بعض غلمانه ليوصله إلى داره إكراماً له . كما كان يوصي بإنجاز معاملاتهم .(٥٢٥)

يعتبر تجار مدينة كازورن بفارس من أغنى التجار في تلك المنطقة ويتمتعون بمكانة هامة بما لديهم من أموال ضخمة يجلبون بها جميع انواع التجارة إلى كل مناطق خراسان وقد تجاوزت ثروة بعضهم الملايين من الأموال والجواهر وكان

---

(٥٢٠) الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٥٢١) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

(٥٢٢) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٥٢٣) الجصاص : هو عبد الله بن أحمد الجصاص الجوهري اشتهر بالجوهري لاشتغاله بالجواهر النادرة كانت لديه ثروة ضخمة حتى أن الخليفة الراضي استدان منه عند اشتداد الأزمة المالية وذلك عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م . الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .

(٥٢٤) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ .

(٥٢٥) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

الأمير عضد الدولة يطلب من التجار أن يخصوه بالتحف النادرة والجواهر الغالية وكان يسهل لهم أمورهم إضافة إلى ما يبذله لهم من أموال وإقطاعات .[٥٢٦] وكان لتجار مدينة أصبهان سوق خاص لتجارتهم ولكل سوق سور وباب محكم وكان داخل هذا السوق في اليوم عشرة آلاف درهم .[٥٢٧]

كذلك كان تجار مدينة سيراف يتمتعون بثروة هائلة فأقاموا مساكن عاليةً تتكون من طوابق مبنية من أخشاب متينة كانوا ينفقون على مبانيهم الأموال الكثيرة فقد أنفق التاجر أبو بكر أحمد بن عمر السيرافي على داره خمسبن الف دينار وكانت هذه المساكن تزود بأجمل الفرش والأثاث وأقيمت فيها الولائم الكبيرة التي تحتوي على فاخر الطعام .[٥٢٨] كما عقدت مجالس المنادمة بها وامتلكوا الجواري اللاتي يجدن فن الغناء .

وعلى الرغم من تلك المكانة التي وصل إليها التجار في بلاد العراق وخراسان إلا أن ذلك لم يمنع من تعرضهم للمصادرة في بعض الأحيان من قبل السلطة الحاكمة التي كانت تستولي على أموالهم قبل وصولها إلى الأسواق .[٥٢٩]

كذلك كانت تجارتهم تواجه الأخطار من هجمات العيارين والشطار[٥٣٠] . ففي سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م أحرقوا سوق الكرخ وغلا سعر الحنطة حتى بيع الكر بمبلغ مائتي دينار .[٥٣١]

القضاة : [٥٣٢]

---

[٥٢٦] **ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .**

[٥٢٧] **المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٤٣٤ .**

[٥٢٨] **ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .**

[٥٢٩] **نفس المصدر ، نفس الصفحة**

[٥٣٠] أنظر ص ١٢٥-١٣٠.

[٥٣١] ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٩١٧ .

[٥٣٢] القضاء في اللغة يعني الحكم والفصل : ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ١٥، ص ٤٠٢ .ويرد لفظ القضاء على وجوه كثيرة منها الإتمام والإكمال كقوله تعالى : " فلما قضى موسى الأجل " . القرآن الكريم ، سورة القصص ، آية ٢٩. منها الأداء كأن تقول : " قضى محمد دينه ومنها الحكم بمعنى المنع منه سمي القاضي حاكماً لمنعه الظالم عن ظلمه . عبد الله بن ابي زيد القيرواني ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مصر ، دار الكتب العربية ، ١٩٥٩م ، ج ٢ ، ص ١٠٣ . أما في الاصطلاح : هو قول ملزم يصدر عن ولاية عامة أو هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام . فالقضاء هو الحكم بين الناس بالحق والحكم بما أنزل الله ، القيرواني ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ . .والأصل في القضاء قوله تعالى : " يا داؤد إنا جعلناك في الأرض خليفة فاحكم بين الناس بالحق ، القرآن الكريم ، سورة ص ، آية ٢٦.

ارتبط القضاء في الإسلام بالعدالة ، فان صلُح شاعت العدالة واستشعر الرعية الاطمئنان والأمان ، وصلح أمر الدولة وإن فسد القضاء فسدت العدالة وعمت الفوضى ، وانتشر الفساد .

والقضاء من الوظائف الهامة في الدولة الإسلامية يقول ابن خلدون (٥٣٣) :

" فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب على الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للداعي وقطعاً للتنازع إلا أنه من الأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة " .

ونظراً لخطورة هذا المنصب وأهميته للفرد والمجتمع فقد حدد العلماء المواصفات التي يجب توفرها في القاضي . فلا بد أن يكون القاضي رجلاً قوياً حراً مسلماً عادلاً ويتمتع بسلامة السمع والبصر وأن يكون ملماً بأحكام الشريعة .

القضاء ضروري للمجتمع وإن أي مجتمع يحتاج للقضاء بلا استثناء سواء كان مجتمعاً إسلامياً أو غير إسلامي وبهذا أمر الإسلام بالقضاء قال تعالى : " وأن احكم بينهم بما أنزل الله " (*). وقد باشره النبي صلى الله عليه وسلم حيث فصل في خصومات الناس وأرسل بعض أصحابه قضاة إلى خارج المدينة . (٥٣٤)

ويرجع حرص العلماء في وضع الشروط والمواصفات الخاصة بالقاضي وذلك لعظم هذه الوظيفة وتأثيرها المباشر في أوضاع الرعية من حيث العدل وإقامته ومدى ثقة الناس واطمئنانهم في الحصول على حقوقهم .

---

(٥٣٣) المقدمة، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٢٤٣ .

(*) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٤٩.

(٥٣٤) القيرواني ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

تدخل الخلفاء في القضاء حتى حملوا القضاة في كثيرٍ من الأحيان على السير وفق رغباتهم وكثيراً ما اعتذر العلماء عن قبول هذا المنصب ففي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م أعتذر أبو بكر الرازي عن قبول منصب قاضي القضاة بعدأن طلب منه الخليفة القادر ذلك مراراً .(٥٣٥)

كان لقاضي القضاة ديوان يعرف بديوان قاضي القضاة ومن أشهر موظفي هذا الديوان الكاتب ويتقاضى (٣٠٠) درهماً في الشهر والحاجب ويتقاضى (١٥٠) درهماً وعارض الأحكام ويتقاضى (١٠٠) درهماً وخازن ديوان الحكم وأعوانه ويتقاضون جميعاً (٦٠٠) درهم .(٥٣٦)

اتسعت سلطة القضاء فبعد أن كان عملهم يقتصر على الفصل في الخصومات أصبح يجمع إلى ذلك استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أحوال المحجور عليهم من المجانين واليتامى (٥٣٧). وكانوا يقومون بعقد الخطبة والزواج فالقاضي أبو الحسن التنوخي كان وكيلاً عن عضد الدولة ببغداد في عقد زواج ابنته شاه زنان من الخليفة الطائع لله بحضور الأشراف والقضاة ووجوه الدولة (٥٣٨).

كان أصحاب الحاجات من الناس يلتجئون للقاضي عساه يتوسط عند الوزير في بعض الحاجات فكان القاضي أبو القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي يخرج من كمه رقاعاً من حاجات الناس ويعرضها على الوزير ابي محمد المهلبي ليوقعها (٥٣٩).

---

(٥٣٥) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص. ١٩٥ .

(٥٣٦) السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، (القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ، ج٣، ص ٢٤٣.

(٥٣٧) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣١٨ .

(٥٣٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

(٥٣٩) السيوطي ، مصدر سابق ، ج١، ص ٢٦٦ .

إشتهر عدد من العائلات الكبرى بتقليد مهمة القضاء مثل عائلة التنوخي[٥٤٠] ببغداد . فالحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داؤود بن إبراهيم التنوخي تقلد القضاء في سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م بمساعدة الوزير أبي محمد المهلبي
تقديراً لما قام به والده أبو القاسم علي بن محمد التنوخي الذي كان قاضياً أيضاً وقد تقلد القضاء في سنة ٣١١هـ/٩٢٣م .[٥٤١]

وهناك عائلة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب التي تولى أفرادها مهمة القضاء بل وصل منهم من تقلد منصب قاضي القضاة ففي سنة ٣٥٠هـ/٩٦٨م ولى القضاء عبد الله بن الحسن وهو آخر من تولى القضاء من عائلة عبد الملك بن أبي الشوارب .

كذلك في فارس اشتهرت عائلة بنو بردة فقد تولوا القضاء منذ ٣٣٥ – ٤١٥هـ/٥٤٦-١٠١٩م اشتهر منهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن بردة الذي تولى القضاء لسلطان الدولة بكرمان سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م .[٥٤٢]

اقتضى تطور نظام القضاء في هذا العصر التحري عن الشهود . فإن كان الشاهد معروفاً بالسلامة ولم يعرف عنه ما يجرمه قبل القاضي شهادته وإن كان غير معروف بها لم تقبل شهادته وإن كان مجهولاً سأل عنه جيرانه ، وكان القاضي يمتاز باستقلال الرأي ولا يقبل الشفاعات ولا الوساطات حتى أن قاضي جيش عضد الدولة بخراسان أراد أن يشفع في بعض أبناء العدول ليتقدم إلى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله ، فقال له عضد الدولة هذه العبارة التي تبين لنا مدى احترام رأي القاضي وعدم تدخل أولي الأمر في أعماله : " ليس هذا من أشغالك إنما الذي يتعلق بك

---

(٥٤٠) عائلة التنوخي : عائلة تنتمي إلى القبيلة العربية تنوخ واصلها من قوم قضاعة وقضاعة لقب والإسم عمر بن مالك بن عمرو بن فرة بن زيد بن مالك بن حمد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد برز من هذه العائلة القاضي ابو القاسم علي بن أحمد التنوخي تولى القضاء بالبصرة والأهواز . كان فقيهاً على مذهب ابي حنيفة . توفي بالبصرة سنة ٣٤٢ هـ/٩٥٢م . أنجب إبنه أبا علي المحسن وكان أديباً وشاعراً وهو صاحب كتاب تشوار المحاضرة ، الزركلي، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ .

(٥٤١) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٨ .

(٥٤٢) نفس المصدر ، ج٣، ص ٢٧٦ .

الخطاب في زيادة قائد ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم . وأما الشهادة وقبولها ، فهو إلى القاضي ، وليس لنا ولا لك الكلام فيه . "(٥٤٣)

ومن اشهر القضاة بخراسان ابو علي الحسن بن سهل بن عبد الله ٣٦٩هـ/٩٧٩م الذي تولى القضاء لفخر الدولة بالري وهمذان وقد اشتهر بحسن سيرته وعدله بين الناس .(٥٤٤)

على أن القضاء قد تطرق إليه بعض الفساد وأصبح من يرشحون أنفسهم لتقلد هذا المنصب الخطير يتعهدون بتقديم مبلغ معين من المال يؤدونه في كل سنة حتى أن أبا العباس محمد بن أبي الشوارب شرط على نفسه أن يحمل إلى خزانة معز الدولة مائتي ألف درهم وكتب بذلك سجلاً (٥٤٥) ولكن الخليفة المطيع لم يوافق على تقليد هذا القاضي وأمر بعدم دخوله عليه لما ارتكبه من ضمان القضاء .(٥٤٦)

بيد أن هذا النقص لم يكن شائعاً فإننا نجد كثيراً من القضاة ينزهون أنفسهم عن هذه العيوب ، حتى إنهم كانوا يقبلون هذا المنصب بعد تردد وبعد أن يشترطوا شروطاً تكفل استغلالهم وتحفظ لهم هيبتهم وكرامتهم فالخليفة المطيع قلد القضاء أبا الحسن محمد بن شسيبان الهاشمي بعد تمنع وشرط بنفسه شروطاً منها ألا يرتزق على القضاء ولا يخلع عليه ولا يشفع إليه فيما يخالف الشرع وقرر لكاتبه ثلثمائة درهم ، ولحاجبه مائة وخمسين وللعارض على بابه مائة ولخازن ديوان الحكم وأعوانه ستمائة وكتب عهداً بذلك . (٥٤٧)

على أن بعض القضاة كانوا يرتزقون من كسبهم الخاص ، فالقاضي أبو الحسن عبد الله ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م لبث على قضاء سيراف خمسين عاماً ومع أن هذه المدينة كانت مدينة تجارية كبيرة فقد كان القاضي أبو الحسن يعيش من منسوخاته المشهورة بجودة خطها .(٥٤٨)

---

(٥٤٣) نفس المصدر ، ج٤، ص ٢٧٧ .

(٥٤٤) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٤٧ .

(٥٤٥) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣

(٥٤٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٥٤٧) السيوطي ، مصدر سابق ، ج٣، ص ٢٦٨

(٥٤٨) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٤٣ .

كذلك القاضي الماوردي [٥٤٩] الذي اشتهر بقول الحق والنزاهة ، فقد تولى القضاء سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م . وكانت له مكانة خاصة عند الخليفة القادر بالله وعلت منزلته حتى لقبه الخليفة القادر بلقب أقضى القضاة وكان يتوسط بين الخليفة وأمراء بني بويه وكان مقرباً من الأمير جلال الدولة البويهي ورغم ذلك فقد اعترض على تلقيبه بلقب شاهنشاه الأعظم . ولم يكتف باعتراضه بل قاطع الأمير جلال الدولة ولم يعد يزوره . إلا أن جلال الدولة سرعان ما استدعاه إليه شاكراً له موقفه وإثارة الحق وارتفعت مكانته عند جلال الدولة البويهي [٥٥٠] وقد قل راتب القاضي في عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م . فالقاضي علي بن المحسن التنوخي تقلد القضاء في عدة نواحي وبلغ دخله في القضاء ودار الضرب التي كان يتولاها مع القضاء ستين درهماً في الشهر [٥٥١]. مما يدل على أن راتب القاضي أخذ يقل شيئاً فشيئاً حتى اشترط على بعض القضاة أحياناً أن لا يأخذ راتباً على قيامهم بأعمال هذا المنصب . بل أصبح القاضي يلتزم القضاء على أن يؤدي لبيت المال مبلغاً من المال مقابل ما يجبيه من رسوم القضايا وقد التزم بعض القضاة بذلك كما فعل أبو العباس محمد بن أبي الشوارب لمعز الدولة بن بويه . [٥٥٢]

والقضاة كغيرهم من الوزراء والكتاب يتعرضون لنقمة الخلفاء والأمراء وقد أمر الخليفة المستكفي بعزل القاضي محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وقبض عليه في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ونفاه إلى سامراء . لأنه كان مرتشياً وإنه يحكم في بعض الأعمال بما لا يجوز فيها ولأنه كان موالياً لمعز الدولة البويهي . [٥٥٣]

---

(٥٤٩) الماوردي : هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ/٩٤٧م . سمي بالماوردي نسبة إلى صنع ماء الورد وبيعه . درس الفقه عن أبي القاسم بن الحسين الصيمري بالبصرة . ومن تلاميذه الخطيب البغدادي والمقدسي . تقلد القضاء في البصرة وخراسان . توفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٨٥م . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٥٥٠) السيوطي ، مصدر سابق ، ج٢، ص ٢٧٠ .

(٥٥١) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٥٥٢) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٥٥٣) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١

كذلك سخط عضد الدولة على القاضي ابو علي الحسن بن علي التنوخي وعزله عن القضاء وأمره بملازمة بيته وكان عضد الدولة قد أوكل إليه بعض المهام فتظاهر التنوخي بالمرض (٥٥٤) وظل التنوخي منبوذاً ومعزولاً عن القضاء حتى وفاة عضد الدولة. فعاد بعد ذلك إلى تقلد منصب القضاء .(٥٥٥)

كذلك تعرض القاضي التنوخي في سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م لنقمة الوزير أبي طاهر محمد بن بقية الذي أخذ أمواله وضياعه مما اضطره للهرب إلى البطيحة (٥٥٦).

وهكذا كان منصب القضاة يتعرض للهزات نتيجة تولي حاكم أو عزل وزير أو خليفة .

الصابئة : (٥٥٧)

وهم طبقة دينية لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها ، ويعمل أفرادها في جميع وظائف المجتمع . أما عن وجود الصابئة أو نشأتهم الأولى فكانت في إحدى ولايات الفرس (٥٥٨) ويذكر الطبري انهم كانوا بجزيرة الموصل (٥٥٩) وأن ديارهم كانت بين بلاد واسط والبصرة من أرض العراق .(٥٦٠)

ولما كانت صلة جزيرة العرب بالفرس قديمة من حيث متاخمة الحدود والعلاقات السياسية فإنه من المنتظر أن ترى انتقالاً فكرياً فكما تبودلت السلع

---

(٥٥٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٥٥٥) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٥٥٦) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٦٣ .

(٥٥٧) الصابئة : يقول ابن منظور " وعنوا إنه خرج من دين إلى دين ويجمع على صابئون . وصبأ الرجل يصبو ويصبا وصبؤ صبأًَ ، لسان العرب، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٨ . وصبأ النجم إذا طلع وخرج من مطلعه وظهر وهو الأصل ، محمد رضا كحالة ، معجم متن اللغة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٤م ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

الصابئة اصطلاحاً : أهل ملة يزعمون أنهم على دين نوح ويعرفون في العراق باسم الصبة وأحدهم صابئ ، ابن منظور مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤١١ .

(٥٥٨) الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ،(دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(٥٥٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٥٦٠) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

التجارية بين العرب وجيرانهم تبادلوا أيضاً إفرازات العقول والآراء على قدر مالهم من حظ العقل ونصيب الفكر .(٥٦١)

والصابئ هو المستحدث سوى دينه ديناً كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه . (٥٦٢)

وقد خدم الصابئة في مجال السياسة في عهد العباسيين فكان منهم المترجمون والوزراء وقد اشتهر منهم ثابت بن قرة (٥٦٣)، والوزير أبو اسحق بن هلال الصابئ .(٥٦٤)

عرف الصابئة بحرفة صياغة الحلي من الفضة والذهب مزينة بالمنيا والرسوم الأخاذة . مثل الحجول والقلائد والأقراط وغيرها . كذلك يقوم الصابئة بصناعة الزوارق (٥٦٥) . وللصابئة عدد من الكتب المقدسة مكتوبة باللغة السامية التي تشبه لغة التلمود (٥٦٦) . ويحرص الصابئة على منع الآخرين من الإطلاع

---

(٥٦١) الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

(٥٦٢) نفس المصدر ، ج٢، ص٢٨٤. .

(٥٦٣) ثابت بن قرة : أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة كان صنو أبيه في الطب وله كتاب اسماه التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م إلى حين وفاته في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م . الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

(٥٦٤) الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج٥، ص١٠٧.

(٥٦٥) إبن كثير، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٨٩ .

(٥٦٦) التلمود : مجموعة من الشرائع غير المكتوبة التي تشكل إضافات وشروحاً للشريعة المكتوبة المنصوص عليها في التوراة أو اسفار موسى الخمسة . ويتألف من قسمين المتنا وهو الجزء الأساسي والجمارة وهي عبارة عن تفسير لهذا الجزء الأساسي وقد جمع المتنا حوالى العام ٢٠٠ للميلاد . أما الجمارة فجمع خلال فترة طويلة امتدت من القرن الثالث حتى القرن الخامس للميلاد . ولفظة التلمود عبرية الأصل ومعناها التعليم . منير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ،(دار العلم بيروت ١٩٨٩م) المجلد الأول ، ص ٣٣٤.

على كتبهم المقدسة . ومن عاداتهم أن الزواج فرض عند الصابئ المستطيع له ومن لا يتزوج لا يدخل الجنة ولا جنة له في الدنيا . أباحت الشريعة الصابئية للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء إذا استطاع ذلك مادياً .

من أبرز معالم ديانة الصابئة التعميد [٥٦٧] ولا يكون إلا في الماء الجاري ولا تتم الطقوس إلا بالإرتماس[٥٦٨] في الماء سواء كان الوقت صيفاً أم شتاءاً .[٥٦٩]

أما عقيدة الصابئة فإنهم يعتقدون أن الكون كونان وأن الخلق خلقان . فالكون الظاهر غير الكون الباطن ولكل مخلوق في العلانية صورة محجوبة في عالم الغيب فلكل كائن وجودان علني وسري .[٥٧٠]

كذلك تدخل في عقيدتهم فكرة الخير والشر وأن فكرتهم تقوم على رفض نسبة خلق الشر إلى الله سبحانه وتعالى وعندهم أن الله يخلق الخير منه وأنه لا يجوز في حقه كما يزعمون أن يتحقق الشر . [٥٧١]

كذلك يعتقدون في الأرواح الخبيثة ويقولون إنها مختلفة الأديان منها صابئة ويهود ونصارى ويدينون بعقيدة التناسخ [٥٧٢] والحلول .[٥٧٣]

ايضاً من عاداتهم ارتداء الثوب الأبيض لأنه يمثل عندهم النقاء وينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه بل يجعلونه من المحرمات عندهم وإن أصل كلمة أزرق تعني الفناء والهلاك والتشتيت في اللغة السامية .[٥٧٤]

لم يكن للصابئة نشاط كبير في المجتمع مقارنة بالطوائف الأخرى ويرجع ذلك لسرية تعاليمهم الدينية . [٥٧٥]

---

(٥٦٧) التعميد : وهو طقوس ورسوم خاصة يكتسب بها الشخص صفة دينية مقدسة . فالمذنب يكسب الغفران بواسطة التعميد . ويكون التعميد على أيدي رجال الدين ويكون في عدة حالات مثل ، الزواج ، الولادة ، الموت ، الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج٣ . ص ٦٠.

(٥٦٨) الارتماس : هو الإنغماس في الماء حتى يصيب الرأس وجميع الجسد فيه . الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٦٢.

(٥٦٩) نفس المصدر ، ج٣، ص ٦٥ .

(٥٧٠) نفس المصدر ، ج٢، ص ٧٠ .

(٥٧١) نفس المصدر ، ج٣، ص ٧١ .

(٥٧٢) التناسخ : هو انتقال الروح بعد الموت من جسد إلى آخر إنساناً أو حيواناً ، الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٤

(٥٧٣) الحلول : هو أن تحل روح إنسان في روح إنسان آخر . الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٥٤ .

(٥٧٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

أهل الذمة :(*)

من بين الطبقات التي انتشرت في نواحي الدولة الإسلامية وأطرافها وداخلها أهل الذمة من اليهود والنصارى وقد تمتع أهل الذمة بكثير من التسامح الديني فأقاموا شعائرهم الدينية في أمن ودعة وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة وفي ممارسة المهن الحرة ولم يتدخل الخلفاء بصورة عامة في شئونهم .

ومن واجباتهم دفع الجزية على الموسر ٤٨ درهماً وعلى المتوسط ٢٤ درهماً وعلى الفقير ١٢ درهماً . كذلك من واجباتهم عد معاونة الكافر على المسلمين والالتزام بما يحكم به عليهم من أحكام المسلمين ومراعاة النظام العام الإسلامي وعدم إنتهاك حرمة أحد من المسلمين . ومن حقوقهم الكف عنهم وتوفير الحماية لهم وعدم ظلمهم والتشديد عليهم وإيذائهم وتكليفهم بما لا يطيقون ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق . [٥٧٦]

لم ينفصل المسلمون عن النصارى إلا في ممارسة الطقوس الدينية ومناطق السكن فكان النصارى يقيمون في بغداد بمحلة الشماسية وأقاموا في هذا الحي كنيسة لعبادتهم وسكنوا أيضاً مدينة تكريت بين الموصل وبغداد .[٥٧٧]

كان في بغداد في أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، ما بين أربعين إلى خمسين ألفاً من النصارى أما اليهود فبلغ عددهم في العراق حوالى سنة ٥١١هـ/١١٨٥م ستمائة ألف .[٥٧٨]

كان للنصارى رئيسان رئيسان يعين كل منهما بعهد من الخليفة [٥٧٩] ويسمى الجاتليق .[٥٨٠]

أما اليهود فلهم رئيس خاص يلقب أحياناً بلقب ملك وتكون رئاسته بالوراثة ويستمد سلطانه من كتاب يوجه إليه من الخليفة وكان من مراسم توليته أن يمتطي .

صهوة جواده وعليه حُلة ثمينة ويسير معه الفرسان من المسلمين واليهود عندما يخرج لمقابلة الخليفة [٥٨١].

---

(٥٧٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

(*) الذمة في اللغة العهد والأمان والضمان : ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ١٢، ص ١٣ . أهل الذمة شرعاً : هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين وسموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم : ابن تيمية ، شيخ الإسلام تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم ومجموع فتاوي شيخ الإسلام ، دار المساحة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج٥ ، ص ٢٣ .

(٥٧٦) ابن تيمية ، مصدر سابق ، ج ٥، ص ٢٦ .

(٥٧٧) أحمد أمين ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٨

(٥٧٨) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٥٧٩) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٧

(٥٨٠) الجاتليق : لفظ يوناني المراد به الرئيس الديني ويعادل البطريك في وقتنا هذا ، بطرس البستاني ، ج٥، ص ١٤٣ .

كان اليهود في خراسان أكثرهم في اصبهان وهمذان وشيراز وقد عملوا بالتجارة خاصة تجارة الرقيق والحلي وقد بلغ عددهم في اصبهان خمسة عشر ألفاً وفي شيراز عشرة آلاف . (٥٨٢)

لم يكن في التشريع الإسلامي ما يمنع أهل الذمة من العمل فرسخت أقدامهم في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة . فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء . (٥٨٣) وفي بعض الأحيان كان الأمراء يستعينون بالنصارى في وظائف الدولة فأسند عضد الدولة الوزارة في بغداد إلى نصر بن هارون وكان نصرانياً وأذن له في عمارة البيع والأديرة وإطلاق الأموال لفقراء أهل الذمة. (٥٨٤) وكان للخليفة الطائع كاتب نصراني . (٥٨٥)

ومن بين الطوائف الدينية التي كانت تقيم في الدولة الإسلامية المجوس. .(٥٨٦) وقد اعترف بهم في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أهل ذمة إلى جانب اليهود والنصارى وكان لهم رئيس ديني يمثلهم في قصر الخلافة أسوة بغيرهم من طوائف أهل الذمة(٥٨٧) .

حدد الإسلام العلاقات الإجتماعية بين المسلمين والنصارى واليهود والمجوس والصابئة فسمح بزواج المسلم من أهل الكتاب دون أن تجبر الزوجة على ترك دينها والدخول في الإسلام (٦٨٨).

أما الجزية ففرضت على أهل الذمة وأعفي منها النساء والأطفال والمرضى والعاجزون والرهبان . وقد راعى الحكام الرفق في جباية الجزية من أهل الذمة.

---

(٥٨١) أحمد أمين ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٧٣٥ .

(٥٨٢) المقدسي : مصدر سابق ، ص ٢٢١ .

(٥٨٣) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (دار النهضة المصرية– القاهرة ١٩٦٥م)، ج ٣ ، ص ٤٠٧ .

(٥٨٤) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ .

(٥٨٥) الماوردي ، أبو الحسن علي بن حبيب البصري ، الأحكام السلطانية (القاهرة ١٢٨٩) ، ص ١٨٣ .

(٥٨٦) المجوس : هم أتباع زرادشت اتخذوا من بيوت النار معابدهم . الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٥٨٧) الماوردي، مصدر سابق ، ص ١٨٥ .

(٦٨٨) نفس المصدر ، ص ٣٥٦ .

[٥٨٩]وكان أكثر ما يضايق أهل الذمة هو التزامهم بالزي فبالرغم من تسامح الخلفاء مع أهل الذمة إلا أننا نجد الخليفة القائم بأمر الله قد أصدر مرسوماً في سنة ٤٢٩هـ/١٣٠٨م يلزمهم بارتداء الزي المميز لهم .[٥٩٠]

المرأة :

يجب أن نشير إلى أن المرأة بوصفها عضواً رئيساً في المجتمع الإسلامي وممثلة لنصفه لم تقف بمعزل عن الأحداث ، وإنما شاركت في مجرياتها وقد يكون من المفيد أن نقول أن التاريخ أولى عنايةً خاصةً برصد حياة نساء القصور إذ لم تكن الأضواء مسلطة إلا على قصور الخلفاء والأمراء ولم يكن خافياً أن نساء القصور هؤلاء شاركن في الحياة السياسية وفي صنع القرار أحياناً .

أما المرأة في بيوت العامة فحياتها غالباً ما تكون مستترة لا يعرف الكثيرون إلا القليل عنها وهو القدر الذي سمح به الشرع الإسلامي .

برز دور المرأة مع بداية العصر العباسي في الحياة السياسية . ومع بداية العصر العباسي الثاني تعاظم نفوذها وزادت مشاركتها في مؤسسة الحكم بصورة تضاءلت إلى جانبها شخصية الخليفة نفسه .[٥٩١]

ومع بداية العصر البويهي كان لعلم القهرمانة [٥٩٢] دور في قصر الخليفة المستكفي ، فقد صنعت دعوةً عظيمةً حضرها جماعة من قواد الديلم والأتراك فاتهمها معز الدولة حسن بن بويه ، إنها فعلت ذلك لتأخذ البيعة للخليفة المستكفي ولينقضوا رئاسة معز الدولة عليهم فقام بالقبض عليها وسجنها . كذلك تم القبض على المستكفي وسملت عيناه.[٥٩٣]

---

(٥٨٩) نفس المصدر ، ص ٣٥٧ .

(٥٩٠) المسعودي : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .

(٥٩١) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٤٣ .

(٥٩٢) القهرمانة : هي مديرة البيت أو أمين الدخول والخروج وأصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة تؤدي الرسائل عن الخليفة . ولكن ضعف الخلفاء وتسلط النساء أدى إلى تسلط القهرمانة . وكان مبارحة قصر الخلافة محرماً على الحريم إلا على القهرمانة . أما علم فهي إمرأة من شيراز أطلق المستكفي يدها لتحكم في أمور الدولة . ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٥٩٣) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

كذلك كانت النساء تتدخل في شئون الحكم والسياسة فنجد والدة صمصام الدولة تدخلت في تعيين الوزير أبي الحسن أحمد بن محمد بن برموية ت ٣٨٧هـ/٩٩٣م لأنه كان يتولى لها الكتابة .[٥٩٤]

كذلك السيدة (سيدة) والدة مجد الدولة (٣٨٧ – ٤٢٠هـ/ ٩٩٧-١٠٢٩م الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه فخر الدولة وأخذت أمه بتدبير شئون الملك دونه واستبدت بكل السلطات حتى جعلته كالمحجور عليه مما أثار حنقه عليها ، وأخذ يعمل على التخلص من نفوذها ، فلما فطنت إلى ما يراد بها هربت من الري واستعانت بإبنها الثاني شمس الدولة أبي طالب صاحب همذان . كما استعانت ببدر بن حسنويه الكردي أمير الجيل من قبل مجد الدولة ، وأجلست ابنها شمس الدولة على العرش في سنة ٣٩٠هـ/٩٩٨م . فتقلدت الأمور
نحواً من سنة صارت فيها تعطي الأمر وتسمع رسائل الملوك وتعطي الأجوبة، وأثارت بذلك حنق شمس الدولة الذي أصبح معها كالمحجور عليه أيضاً . وعندما فكر في الخلاص منها أعادت مجد الدولة للحكم وسرعان ما ازدادت أطماع شمس الدولة فعمل على إقصاء أخيه وأمه إلى بلاد الري ، وأرغمهما على الرحيل منها ولكنه لم يستطع إذ إضطر إلى العودة إلى همذان على إثر شغب الجند عليه [٥٩٥]. واستمرت والدته في سيطرتها على الأمور وسارت سيرة عادلة وأسست قواعد الملك [٥٩٦] إلى أن توفيت سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م.

كذلك شاركت المرأة في الحياة الإجتماعية فكانت هناك نساء عالمات بأمور الدين يقبل الناس على دروسهن وقد شاركن في الحياة العملية في بغداد وخراسان منهن أم سلمى فاطمة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي داؤود السجستاني وقد حدثت عن أبيها سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م [٥٩٧]. وأم الفتح أمة السلام بنت القاضي أبي بكر

---

(٥٩٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .

(٥٩٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٥٩٦) ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٦٧ – ٩٢ – ٩٣ .

(٥٩٧) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت (٣٩٠هـ/٩٩٩م) وكانت دينةً فاضلةً حدث عنها العديد من رجال الحديث .[٥٩٨]

وأم الحسين بنت جمعة بنت أحمد بن محمد بن عبد الله وهي من أهل نيسابور وحدثت ببغداد ونيسابور سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م .[٥٩٩]

وطاهرة بنت أحمد بن يوسف الأزرق بن البهلول التنوخية ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م وقد حدثت عن أبيها وسمع لها في دار القاضي ابي القاسم التنوخي .[٦٠٠]

وأم سلمة خديجة بنت موسى بن عبد الله الواعظة المعروفة ببنت البقال (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) وكانت إمرأة صالحة ثقة في الحديث[٦٠١] . وكان لهؤلاء النسوة دور في تعليم النساء الأخريات أمور دينهن ، وكذلك الأجوبة على الأسئلة التي ترد إليهن . كذلك أم الخليفة القادر بالله السيدة يمنى فقد كانت من العابدات الصالحات ومن أهل العقل والدين . [٦٠٢]

الرقيق :[*]

---

[٥٩٨] نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

[٥٩٩] نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

[٦٠٠] نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

[٦٠١] نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ .

[٦٠٢] نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

[*] الرق في اللغة الملك والعبودية ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٢٣، ص ١١٣ .

على الرغم من أن الإسلام حد من نظام الرق إذ دعا إلى عتق الرقاب تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى فقد وجد الرقيق بكثرة في المجتمع العباسي وكانت قصور الخلفاء العباسيين تزخر بالأرقاء والعبيد .

كثر الرقيق الأبيض في الشرق الإسلامي وجلب إليه من مناطق كثيرة خاصة أفريقيا التي تعتبر مصدراً هاماً لتجارة الرقيق منذ عصر ما قبل الإسلام عندما كان تجار أوربا يستجلبونهم من الحبشة وأواسط أفريقيا .(٦٠٣)

وقد استخدم هؤلاء الزنوج في العصر العباسي ، واعتمد عليهم ملاك الأراضي وأصحاب الإقطاعات في الزراعة وقد قاسى هؤلاء الزنج سوء المعاملة فقاموا بثورتهم المشهورة . (٦٠٤)

وترتب على هذه الثورة انصراف أولي الأمر عن اقتناء الرقيق الأسود وأقبلوا على الرقيق الأبيض من الأتراك الذين كانوا يجلبون من أواسط آسيا من بلاد سمرقند وفرغانة وأشروسنة . كما ترتب على ثورة الزنج الإقبال على نوع جديد من الرقيق الصقالبة الذين كانوا يجلبون من أواسط أوربا .(٦٠٥)

عرف الرقيق الأتراك بالمماليك ، والخدم ، لأنهم أصبحوا ملكاً لأصحابهم بينما عرف الرقيق الصقالبة بالعبيد والفتيان ، وكانوا خصياناً اتخذهم الخلفاء لخدمة الحريم ، وقد اشتهر الرقيق الأتراك بشجاعتهم وشدة بأسهم ، وقد بلغ بعضهم أرقى المناصب واستعانت بهم الدولة في حروبها مثل مؤنس الخادم (٦٠٦) وسبكتبكين . وقد أولع الناس وخاصة الخلفاء في هذا العصر باتخاذ الإماء من غير العرب ، وذلك لأن العادة جرت ألا يرى الرجل من يريد الزواج بها رؤية تامة إذا كانت من الحرائر ، إلا في حدود ما يسمح به الشرع الإسلامي ، بخلاف الأمة (*)

الرق شرعاً : هو العبد الخالص العبودية وأصله أسير حرب أو سبي ضرب الإمام عليه الرق ، ابن تيمية ، مصدر سابق ، ج ٥، ص ١٨٣ .وقد أوصى الإسلام بمعاملة الرقيق بالحسنى قال صلى الله عليه وسلم : " للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف ما لا يطيق ، الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (الجامع الصحيح) " سنن الترمذي " تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار مصطفى البابي للنشر) القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .. ص ٧٨ ، حديث رقم ٢٣٩

(٦٠٣) **ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢، ص ٦٧ .**

(٦٠٤) **أحمد أمين ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٧ .**

(٦٠٥) **ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ١٢ص ١٢٦ .**

(٦٠٦) **مؤنس الخادم : الملقب بالمظفر المعتضدي أحد الخدم الذين بلغوا رتبة الملوك .كان من خدم المعتضد العباسي كان فارساً شجاعاً . ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٥ .**

(*) **الأمة : هي الخادمة فإذا حملت من سيدها ووضعت له ولداً صارت أم ولد ، ابن تيمية ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٨٣ . وتعتبر الأمة حرة بمجرد ولادتها من سيدها سواء كان ما ولدته حياً أو ميتاً نفخت فيه الروح أو لم تنفخ . طالما هو قد بدأ عليه سيما الإنسان . ولا يجوز بيعها بعد وفاة زوجها وإذا مات زوجها فهي حرة . نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٨٤ .**

فقد كان يستطيع أن يراها ويتعرف على طباعها وأخلاقها قبل أن يقدم على الاقتران بها، ولم تكن ثمة فرق في التوريث بين أبناء الحرائر والإماء .(٦٠٧)

وقد بلغ بعض الرقيق منزلة من الإشراف على القصور والحظوة عند الأمراء كشكر غلام عضد الدولة الذي كان مقرباً إليه أكثر من أبنائه .(٦٠٨)

كان الرقيق الأبيض أغلى ثمناً وأكثر قابلية لتعلم الفن والموسيقى ، وكلما مهرت الجارية في فنها ارتفع ثمنها وكانت هناك اسواق بها حُجر يسكنها الرقيق حتى يتم عرضه للبيع هذا بالنسبة للرقيق العام .(٦٠٩)

أما الرقيق الخاص فيعرضه التجار على الأمراء والأغنياء أو يعرضونه في بيوتهم الخاصة ، وكان أصنافاً من نساء وفتيان ورجال . ومن الرجال الأرقاء من يقوم بالأعمال الصناعية والتجارية لسادتهم .(٦١٠)

وقد اشتغل اليهود بالنخاسة وتجارة الرقيق ، ومن أشهر أسواقهم دار الرقيق ببغداد وسوق الرقيق بسامراء .(٦١١)

تأثر الإنتاج الأدبي بكثرة الرقيق فألف ابن بطلان (٦١٢) الطبيب كتابه العلمي في تجارة الرقيق ، وتبعه آخرون فذكروا أوصاف الرقيق من كل جنس وحاول بعضهم وضع قواعد للجمال ، كما تكلم بعضهم في الألوان وحسنها .(٦١٣)

---

(٦٠٧) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٦٠٨) آدم منز ، مرجع سابق، ج١، ص١١٢.

(٦٠٩) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٦١٠) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٦١١) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

(٦١٢) ابن بطلان : أبو الحسن بن الحسين بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادي ، ت (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) كتابه بعنوان (شراء العبيد) وله كتاب (دعوة الأطباء) ، سافر للقاهرة في سنة ٤٣٩م واقام بها ثلاث سنوات في ضيافة صديقه ابن رضوان المقري ثم عاد إلى بغداد سنة ٤٤٢م . الخطيب البغدادي ، مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٦١٣) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

ولما كان الناس يحرصون على التغني بالشعر العربي الفصيح حرص تجار الرقيق على تعليم الجواري للأدب ، ونبغ عدد من الجواري [*]في ضرب العود ووضع الألحان وإجادتها .[٦١٤]

وهكذا كان للرقيق أثره على النواحي السياسية والإجتماعية في بغداد وخراسان .

(*) مثل علوة وروعة جاريه ابن الرضي ، الثعالبي ، مصدر سابق ، ج **٣** ، ص **١٥٢** .

(٦١٤) نفس المرجع ، ج **١** ، ص **١٥٤** .

العامة :

تشمل هذه الطبقة الحرفيين والعمال من أساكفة وجزارين وخياطين وخبازين وزراع وغيرهم وهم أجناس مختلفة ومتعددة فمنهم العربي والزنجي والفارسي والتركي والرومي وغيرهم . فهؤلاء هم الطبقة المطحونة في المجتمع يتحملون الأعباء والأعمال الشاقة ، تقوم بينهم وبين الدولة هوة ساحقة ، وعدم الثقة لأن الغرم غالباً ما يقع عليهم ومن ثم كانوا وقود كل ثورة ويخرجون وراء كل قائد وثائر أملاً في الخلاص من ظلم الحكام ورفع الغلاء عنهم .

وتعود الحكام أن يتملقوا عواطفهم بوعودهم بتخفيض الضرائب عنهم أو برفعها ، أو ترك ما تأخر منها .

ففي الوقت الذي كانت فيه الطبقة الخاصة من الخلفاء والأمراء والوزراء تنعم بمظاهر الترف والبذخ ، كانت الطبقة العامة وهي تمثل السواد الأعظم في المجتمع تعاني من الغلاء والفقر والمجاعات ، التي غمرت قطاعاً كبيراً من المجتمع .حيث تعرض عامة الناس إلى موجات كثيرة من الغلاء وارتفاع الأسعار ووقوع بعض الكوارث التي أدت إلى أن يأكل الناس الميتة . ومات بعضهم جوعاً وبيعت الدور والعقاقير مقابل الخير .(٦١٥)

فالصناع وأرباب الحرف لم يحققوا من الأرباح ما كان يحققه أغلب التجار وكان متوسط أجر العامل في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي درهماً ونصف درهم في اليوم لصانع الزجاج (٦١٦) ولما زاد أصبح درهمين ونصف اي بزيادة درهم واحد .(٦١٧)

أما الزراع وهم الذين يشتغلون في فلاحة الأرض وأصحاب الملكيات الزراعية البسيطة ، فكان دخلهم أقل من دخل اصحاب الصناعات والحرف، فقد أضر التغلب البويهي بهم لجهل بني بويه بشئون الزراعة وأتباعهم سياسة مخربة

---

(٦١٥) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٦١٦) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٣١ .

(٦١٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

كان من أثرها أن فسدت المشارب وبطلت المصالح وحلت المصائب بالمزارعين ورقت أحوالهم . فمن هارب وعاطل إلى مظلوم صابر لا ينصف أو مضطر إلى تسليم ضيعته إلى المقطع حتى يأمن شره وظلمه .(٦١٨)

لقد عانى المزارعون في العهد البويهي كثيراً من عسف أصحاب الإقطاعات فضلاً عما فرض عليهم من ضرائب ولم يتغير وضعهم السيئ إلا في فترة حكم عضد الدولة إلا أنها كانت فترة قصيرة الأمد .(٦١٩)

أدى تردي هذه الأوضاع إلى نشاط فئتين هما العيارون والشطار الذين كان لهم دور في الأحداث لذا سأتحدث عنهم بشئ من التفصيل .

---

(٦١٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٥٥ .

(٦١٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

العيارون :

هم طائفة من العامة برزوا في القرن الثاني من الهجرة على أثر النزاع بين الأمين وأخيه المأمون وعلى اثر حصار بغداد سنة ١٩٧هـ/٨١٢م من قبل الجيوش الطاهرية . استنجد الخليفة الأمين بطائفة العيارين بعد أن عجز جنده عن الدفاع عنه ومنذ ذلك التاريخ ظهر العيارون على مسرح الأحداث .

ويبدو انهم اتخذوا لأنفسهم إسم الفتيان بدليل ان كلمة فتى اصبحت مرادفة لكلمة عيار .

لقد قام العيارون بحركات اجتماعية تهدف إلى تحسين أحوالهم وتوسلوا في ذلك بالنهب والسلب مستخدمين السلاح [٦٢٠] . فقد كانوا يشعرون بأنهم مهملون من قبل أصحاب النفوذ والسلطة ، وأن ظروفهم المعيشية سيئة ، ولهذا اندفعوا بتأثير الحاجة وظروفهم الاقتصادية الصعبة إلى القيام بسرقة الحوانيت والأسواق وبيوت الأغنياء .[٦٢١] كذلك فقد كانت حركتهم تمثل صراعاً طبقياً وقد لاقت حركتهم سنداً شعبياً باعتبارها تدعو إلى تطبيق فكرة العدالة الإجتماعية ، وفكرة المساواة والاشتراكية ، والقضاء على التوزيع غير المتكافيء للثروة ولو بطرق غير مشروعة .[٦٢٢]

ويبدوا أن أكثر العيارين كانوا من غير العرب أي من عناصر فارسية وتركية ويستدل هذا من أسمائهم مثل خالويه ، ديكويه ، البرمجي .[٦٢٣]

كانت للعيارين تنظيمات عسكرية أشبه بتنظيمات الجيوش ، فكان لكل

---

(٦٢٠) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٤٣٥ .

(٦٢١) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٣٦ .
يشبه العيارون في ذلك الصعاليك عند العرب الجاهلية وهم طبقة في المجتمع العربي أصابهم الفقر فتاقوا إلى الغنى عن طريق المغامرة والغزو وقطع الطريق اعتقاداً منهم أن المال مال الله وإنه من حق المحروم أن يأخذ من الموسر عنوة ، وكان الصعلوك مغامراً يتسم بالشجاعة لذلك عُدت الصعلكة عند العرب مفخرة ومزية لأنها شيمة الشجعان ولعل مبدأ الصعلكة ووسائلهم تتفق في جذورها مع حركة العيارين . وفاء محمد علي ، البويهيون والخلافة العباسية (القاهرة ١٩٥٦م) ، ص ٦٨ .

(٦٢٢) السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٦٧٠ .

(٦٢٣) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٨٨ .

عشرة منهم عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ، واتخذوا لأنفسهم رسوماً تميزهم عن غيرهم ، فكانوا يقاتلون عراة وفي أوساطهم المآزر[٦٢٤] ومن أسلحتهم المقاليع والحجر إلى جانب السيوف والأقواس والرماح [٦٢٥]. وعلى الرغم مما كان ينقصهم من الخبرة العسكرية فقد امتازوا بالصبر وشدة البلاء والجلد في المواقف الحرجة في النكبات . كما عرفوا بمهارتهم في رمي الحجر بالمقلاع [٦٢٦] وكانت لهم مراسيم خاصة يتبعونها عند احتفالهم بانتماء أعضاء جدد في زمرتهم فكانوا يعطون للعضو الجديد سراويل تسمى سراويل (الفتوة) ويشربون أنخاباً من النبيذ إحتفاءاً بهذا العضو الجديد . [٦٢٧]

الشطار :

هم أيضاً فئة من العامة نشطوا في نفس الفترة التي نشط فيها العيارون وكانوا لا يملكون وسيلةً من أسباب العيش غير أدوات الجريمة .

لقد قام الشطار بحركات تشبه إلى حد كبير حركات العيارين مما حدا ببعض المؤرخين للخلط بينهم وبين العيارين . فقد قاموا بأعمال السلب والنهب وقطع الطرق ولم تكن في نظرهم من أعمال اللصوصية وإنما كانوا بعدونها حرفةً مشروعةً باعتبار أن ما يستولون عليه من أموال التجار والأغنياء زكاة لتلك الأموال التي أوصى الإسلام بإعطائها للفقراء .[٦٢٨]

اتبع الشطار أساليب ووسائل خاصة لاجتذاب الأتباع إلى جماعتهم ودعوة الشباب للانخراط في صفوفهم . يذكر الطبري (أن الشطار ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له لا يكون الغلام فتى حتى يصادق فتى وإلا فهو نكش والنكش عندهم هو الذي لم يؤدبه فتى ، ولم يخرجه فيتأثر الغلام بسرعة إذا كان له أي ميول للفتوة).[٦٢٩]

---

(٦٢٤) المآذر : جمع إزار وهو لباس غير مخيط يستر الجزء الأسفل من الجسم ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٩٥ .

(٦٢٥) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ١٥٣ .

(٦٢٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٦٢٧) نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

(٦٢٨) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٦٢٩) الطبري ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص ٢٩٣ . .

وقد أوصى عثمان الخياط وهو أحد رؤساء الشطار فقال :

"عليكم باتخاذ الغلمان فإن غلامك هذا أنفع لك من أخيك وأعون لك من ابن عمك".(٦٣٠)

كان من عاداتهم لبس الإزار وشرب النبيذ فقد كانوا يأتزرون بمئزر يعرف بإزار الشطار . كما أن المناطق التي تجرى فيها هذه المراسم كانت بعيدة عن أعين الناس .

وكانوا يفتخرون بأنفسهم ويعتزون بقوتهم وكان الشطار أكثر عدداً من العيارين بل أنهم كانوا أكثر انتشاراً في الدولة العباسية وأطول بقاءاً منهم .

كانت للشطار تدابير وخطط خاصة بالسرقة فكانوا يأتون الرجل يسألونه مالاً يقرضهم أو يصلهم به فيمتنع عليهم فيأخذون جميع ما في منزله ... كما أنهم كانوا يتبعون بعض الوسائل والحيل الإجرامية فيستدرجون الشخص المراد سلب ما معه بحيلة لا يفطن إليها مع التظاهر بالبراءة .(٦٣١)

من طباع الشطار الزهد في حب النساء والإنصراف عن سماع الموسيقى .(٦٣٢)

تصاعد نشاط العيارين والشطار بشكل واضح في مرحلة التسلط البويهي فكان لهم دور مميز في اضطراب السلطة البويهية وتحدي أجهزتها وأتباعها من ذوي النفوذ السياسي والاقتصادي .(٦٣٣)

على الرغم من قساوة السلطة البويهية في تتبع إخماد حركات العيارين والشطار إلا أنهم باغتوا السلطات البويهية عدة مرات وسببوا لها المتاعب(٦٣٤).

---

(٦٣٠) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين،الأغاني (تحقيق محمد صالحة) (القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) ج ١٧، ص ٢٣٣

(٦٣١) نفس المصدر ، ج ١٤ ، ص ٢٣٤ .

(٦٣٢) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ٧٦ .

(٦٣٣) السامرائي : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

(٦٣٤) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

ففي عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م هاجموا أعوان البويهيين وتعدوا عليهم وأخذوا الضرائب من الأسواق والدروب وكان زعيمهم يسمى الزيد العاري [٦٣٥]. وخلال الأعوام ٣٧٩هـ/٩٨٩م و ٣٨٠هـ/٩٩٠م نشطت حركة العيارين والشطار في بغداد وتحدوا السلطة البويهية جهاراً وفي وضح النهار وقتلوا من تعرض لهم من أعوان السلطة البويهية واتسعت تنظيماتهم في هذه الفترة فأصبح لهم في كل درب أمير وفي كل محطة مقدم [٦٣٦]. وازداد تحدي العيارون للسلطة البويهية في عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م بزعامة كبيرهم عزيز اليابصري وطالبوا البويهيين بإنصافهم وإنصاف الشعب . عندها شعر البويهيون بخطورة هذه الحركة فجندوا طاقاتهم لقمعها ، وتصدوا لها بقوة .[٦٣٧]

ويبدو أن هذا الأمر دفع العيارين إلى تجميد نشاطهم بعد هذه الحملة .

عاد العيارون والشطار إلى تصعيد نشاطهم مرة أخرى ضد السلطة البويهية عام ٣٩٠هـ/٩٩٩م وعام ٣٩١هـ/١٠٠٠م وعام ٣٩٢هـ/١٠٠١م . ظل هذا النشاط مستمراً في تصاعد حتى عام ٣٩٣هـ/١٠٠٢م حيث نجح عميد الجيوش في إيقاف نشاطهم بشكل مؤقت .[٦٣٨]

جدد العيارون والشطار نشاطهم مرة أخرى في عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م وصادروا كثيراً من الأموال التابعة للبويهيين وأعوانهم .[٦٣٩]

إزداد نشاط العيارين والشطار بشكل واضح في عام ٤٢٦هـ/١٠٢٥م فاستهانوا بسلطة البويهيين وتحدوها حتى أنهم كانوا يسيرون ليلاً بالمشاعل والشموع . وبلغ من تحديهم إنهم نهبوا خزائن الحاكم البويهي مشرف الدولة فضلاً عن أموال التجارة العائدة لرجال السلطة وأعوانها .[٦٤٠]

---

(٦٣٥) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٩١ .
(٦٣٦) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٠ .
(٦٣٧) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٨٨ .
(٦٣٨) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٣٥ ..
(٦٣٩) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٧ .
(٦٤٠) ابن الجوزي : مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢ ٢ .

في عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م كثر نشاط العيارين والشطار وهاجموا مضارب الجنود الديالمة إلا أن الجند أحرقوا كثيراً من الدور التي يحتمي بها العيارون .(٦٤١)

في عام ٤٢٠هـ/١٠٢٨م تصاعد خطر العيارين والشطار بزعامة أبي يعلي الموصلي الذي اتخذ معسكراً خارج بغداد مقراً له . فهاجم رجالات الشرطة في بغداد وقتل بعضهم وهو يحمل السيوف المسلولة مع رجاله مما أدخل الرعب في قلوب من تبقى منهم (٦٤٢)

برز كذلك العيار البرمجي الذي عرف بشدته وشدة أصحابه حيث كانوا لا يترددون في اقتحام هدفهم حتى وإن كان مجاوراً لدار الحاكم البويهي ونظراً لعجز السلطة أمام تحرك العيارين في عام ٤٢١هـ/١٠٢٩م . اضطر بعض أفراد الجيش البويهي إلى نقل خيولهم إلى دورهم ، كما نقل جلال الدولة البويهي دوابه إلى دار المملكة .(٦٤٣)

/١٠٣٣م من النفوذ والسيطرة بحيث التزم بأوامره عمال السلطة البويهية ، وانتهت هذه المرحلة بمقتل البرمجي عام ٤٢٥هـ/١٠٣٣م .(٦٤٥) وفي عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م وسع العيار البرمجي مجال نشاطه وازداد تحديه للسلطة البويهية فتسلل وأصحابه إلى دار المملكة وأخذوا منها الشيء الكثير، وبهذا كشفت السلطة البويهية عن عجزها عن حماية مقرها الرئيسي . وواصل البرمجي وأتباعه تحديهم للسلطة البويهية في عام ٤٢٤هـ/١٠٣٢ ونفذ عملياته الخاطفة والسريعة بكل شجاعة . وهربت القوات الديلمية أمام تزايد هذه القوة .
(٦٤٤) فقد استطاع البرمجي في عام ٤٢٤هـ/١٠٣٢م من قتل صاحب الشرطة فلقبه الناس بالقائد أبي علي وصار له في عام ٤٢٥هـ

(٦٤١) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

(٦٤٢) نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٢٥ .

(٦٤٣) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ٤١٠ .

(٦٤٥) الذهبي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٦٤٤) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٥٤ .

حاولت السلطة البويهية استثمار مقتل البرمجي لتفتيت حركة العيارين فأصدرت أمر الأمان لهم ودعتهم إلى التفاوض . فطلب منهم في اجتماع موسع الإنخراط في مؤسسات السلطة أو مغادرة البلد فخرجوا من البلد مؤقتاً .(٦٤٦)

ازداد نشاط العيارين والشطار في عام ٤٢٦هـ/١٠٣٤م وعجز جلال الدولة عن التصدي لهم . وأصبحت بغداد من الناحية الفعلية بأيدي العيارين . كما أجبروا السلطة على عزل أبي الغنائم.(٦٤٧) من منصبه .

تتابعت عمليات العيارين ضد السلطة البويهية حتى إنهم اقتحموا السجن في عام ٤٢٨هـ/١٠٣٦م وفتحوا أبوابه وقتلوا سبعة عشر شرطياً .(٦٤٨)

استمر نشاط العيارين حتى عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م في مهاجمة السلطة البويهية .(٦٤٩)

وهكذا كانت حركة العيارين والشطار شوكة في صدر السلطة البويهية وتمثل جزءاً مهماً في حركة المقاومة الشعبية للتسلط البويهي برغم ما تمثله من إنحراف خطير نتيجة لإيمانهم بقيم شاذة وتطبيقها لممارسات تمثل في مجملها خروجاً عن القيم الشرعية الإسلامية .

الجيش :

يتألف الجيش البويهي في كل من بغداد وخراسان من عنصرين أساسيين هما الديالمة والأتراك إضافة إلى مجموعات صغيرة من الجند الطموحين من عناصر مختلفة متعددة من المرتزقة الذين انتقلوا بين عدد من الزعامات قبل أن يستقروا نهائياً في تبعية قيادات البويهيين وقد انضمت إليهم في بعض الفترات مجموعات من المقاتلة أو الأتباع

---

(٦٤٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .

(٦٤٧) ابي الغنائم : هو محمد بن أبي علي محمد أبي الغنائم صاحب المعونة تم تعيينه بدلاً لأبي محمد النسوي صاحب المعونة السابق ، اشتهر أبو الغنائم بمحاربة العيارين وفهم أساليبهم في القتال . تم عزله من منصبه عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م ثم أعيد إليه مرة أخرى في عام ٤٢٨هـ/١٠٣٦م . الذهبي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٦٤٨) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٠ .

(٦٤٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

من أصول محلية من العراق ، الأهواز، فارس ، الري ، وبلاد ما وراء النهر .[٦٥٠]

عندما استقر البويهيون في بغداد كان اعتمادهم الرئيس على الأتراك ذلك أن الديالمة خدموا الفروع الأخرى لدولة بني بويه في فارس ربما أراد البويهيون إدخال عنصرٍ جديدٍ كإضافة إلى جيوشهم لما امتاز به الأتراك من شجاعة وقوة أو ربما وجد الديالمة أنفسهم أنه من الصعوبة أن يتكيفوا للمنزلة السامية الجديدة ولأبهة الملك التي حصل عليها أمراؤهم أو لعدم شعورهم بالأمان بين قوادهم لأنهم جميعاً رجال طموحين ويفكرون بأنهم أفضل نسباً وعائلة ولعل إرجاع نسبهم إلى
بهرام جوبين الساساني كان بغرض رفع العائلة وجعلها أسمى مرتبة من بقية الديالمة .[٦٥١]

كان للجيش البويهي قائدان وذلك في عهد عضد الدولة أحدهما للديلم والآخر للأتراك والأعراب والأكراد وكان للجيش مجلسان هما مجلس التقرير وهذا ينظر في تقرير رواتب الجند وأوقات دفعها إليهم ، ومجلس المقابلة ويختص هذا بالإشراف على سجلات الجند ومراجعة أسمائهم .[٦٥٢]

كان جنود ركن الدولة من الديلم أكثر اقتصاداً واعتدالاً في حياتهم من الأتراك . يذكر المقدسي [٦٥٣]: " أنهم كانوا يذبحون جملاً أو فرساً فيقسمونه بين عدد كبير منهم " .

ومع أن مظاهر التنظيم والإنضباط كانت سائدةً خاصةً في عهد المؤسسين الكبار " عماد الدولة " " ركن الدولة "، فقد تمكن هؤلاء من السيطرة على الجيش بخبرتهم وحنكتهم وقوة بأسهم – لكن برغم ذلك إن نفوذ الجند البويهي من ديلم وأتراك قد زاد ، فقد ثار الديلم في سنة ٣٣٤هـ /٩٤٥م على معز الدولة مما اضطره إلى معالجة أمر المتمردين عن طريق توزيع ضياع عليهم . وفي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م حدث تمرد ديلمي واسع في شيراز والأهواز والعراق لأن معز

---

(٦٥٠) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

(٦٥١) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٣٦٢ .

(٦٥٢) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

(٦٥٣) أحسن التقاسيم : مصدر سابق ، ص ٢٤٥ .

الدولة منح جنده من الأتراك والذين كانوا مقربين له أرزاقاً كثيرة مما أثار غضب الديلم الذين حقدوا على الأتراك لحظوتهم عنده فثاروا وكادوا يخلعونه ، ولكن أنصاره من الأتراك نصروه ضد مواطنيه الديالمة . فكافأ الأتراك بزيادة أرزاقهم مرة أخرى . فثار الديلم ونهبوا الأموال وخربوا البلاد ، وضعفت همة الفلاحين الذين يقومون بزراعة الأرض وتنميتها .(٦٥٤)

لذلك نجد أن معز الدولة أوصى ابنه بختيار بمداراة الديلم ، وأوصاه أيضاً باعتبار أن الأتراك هم النواة الحيوية في جيشه ، إذ يستطيع أن يستعملهم إذا ما اقتضت الضرورة أن يعالجوا شغب الديالمة .(٦٥٥)

خالف عز الدولة بختيار جميع وصايا والده عندما تبوأ السلطة وعكف على ملذاته الخاصة التي اتفق عليها أموالاً كثيرة لم يستطع معها صرف استحقاقات جنده الديلم التي وعدهم بها مما اثارهم عليه فاضطر إلى التحصن بقصره مع حرسه من الأتراك ، لكن لم يلبث أن تمردوا أيضاً مستغلين الوضع وطالبوا بأرزاق إضافية .

أظهر الديالمة والأتراك جبهة موحدة . وأتفقوا على عدم معارضة بعضهم مطالب البعض الآخر مما اضطر بختيار إلى عقد اتفاق معهم يتضمن إعطاءهم أرزاقهم التي وعدهم بها .(٦٥٦)

استفحل نفوذ الجند البويهي من أتراك وديلم إلى أن تدخلوا في الحد من نفوذ الوزراء ، فقد انتهزوا فرصة النزاع الذي شب بين أفراد الأسرة البويهية على السلطة لتحقيق مصالحهم الشخصية مطالبين بالمزيد من الأرزاق ، فتعرض الوزراء لاعتداءات الجند . فقد هاجموا الوزير سابور بن اردشير سنة ٣٨١هـ/٩٩١م بحجة عدم صرفه لأرزاقهم ولم يوافقوا على عودته للوزارة إلا بعد أن قدم لهم ما طلبوه من أموال .(٦٥٧)

---

(٦٥٤) نفس المصدر ، ص ١٥٣ .

(٦٥٥) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٦٥٦) أبو شجاع ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

(٦٥٧) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

في سنة ٣٨٣هـ /٩٩١م أيضاً أخرج بهاء الدولة ما في خزائنه من أواني الذهب والفضة كسرت وضربت دنانير ودراهم وفرقت على الجيش .[٦٥٨]

كما اضطر الخليفة القائم إلى بيع خان له وبستاناً وشيئاً من أنقاض الدار لسد نفقات للجند .[٦٥٩]

في سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م خرج جند الديلم عن طاعة الأمير مشرف الدولة وقبضوا على وزيره أبي غالب الحسن بن منصور الذي كان يرافقهم في مهمة بخوزستان فقتلوه .[٦٦٠]

كان الجيش البويهي يتكون من المشاة وهؤلاء يتقدمون نحو العدو بشكل صفوف متراصة ، فإذا ما استطاع الجانب المعادي اختراق صفوفهم وتمكن فرسانه من النفاذ إلى مؤخرة المشاة ، فإن تشكيل الديالمة في المعركة يؤول إلى التفريق والتشتيت مما يربك العدو .[٦٦١]

هناك أسلوب حربي آخر خاص يتقدم فيه جماعة من الديالمة نحو العدو خلف جدار متين وقوي من الدروع ، ومن هناك يقومون باستخدام فؤوسهم وضرب الأعداء . من المعدات الحربية المميزة للديلم الدروع والجوبين[٦٦٢] والناوك والمزاريق .[٦٦٣]

كذلك تكون الجيش البويهي من القلب وهو وسط الجيش ويتخذ فيه القائد مركزه حتى يراه جميع الجنود لتنفيذ أوامره [٦٦٤] ثم الميمنة والميسرة أو الجانبان. وكان لكل فرقة أمير يأتمر بأمر القائد .[٦٦٥]

---

(٦٥٨) أبو شجاع ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٢٥٣ .

(٦٥٩) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

(٦٦٠) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٦٦١) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٦٦٢) الجوبين : نوع من الرماح وتعتبر الجونين والرماح والدروع من الصفات المميزة للحرس الديالمة يحملونها في المناسبات في القصور البويهية ، المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٦٥ .

(٦٦٣) أنظر ص٤٣ .

(٦٦٤) جورجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، (دار مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٠٠م)، ج ٥ ، ص ١٢٥ .

(٦٦٥) نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

اعتاد الديالمة تشييد خيمة أثناء المعركة كانت تمثل نقطة تجمع بالنسبة لهم وكانوا يخلعونها في حالة اندحارهم .(٦٦٦)

امتاز الديالمة في حروبهم مع الدولة العباسية بسرعة الحركة ، والنشاط والصبر على المكاره في سبيل تحقيق النصر الذي ينشدونه .

وهكذا وبرغم أن الجيوش البويهية قد حققت انتصاراتٍ حربيةً واسعةً إلا أنه كان ينقصها الولاء للقائد أو الأمير البويهي .

---

(٦٦٦) نفس المرجع ، ج٥ ، ص ١٢٧ .

العـادات والتقاليـد

المبحث الأول : المناسبات

هناك صور من الحياة كثيرة في المجتمع البغدادي والخراساني في العصر البويهي منها ما استمد من واقع البيئة ومنها ما اقتبس من الأمم الأجنبية خاصةً الفرس وهذه الصور يمكن أن نطلق عليها العادات والتقاليد باختلاف المناسبات فثمة عادات تظهر في الأفراح والأعياد والمآتم والأحزان .

الزواج :

كان للزواج عادات وتقاليد سيطرت على المجتمع في بغداد فمن هذه التقاليد الخطبة التي اتبعت فيها طريقتان إحداهما تتم عبر التفاهم بين الرجل والمرأة مباشرة وهذه الطريقة نادرة الحدوث للقيود والضوابط الشرعية التي كانت توضع على النساء خاصة الحرائر منهن .[٦٦٧]

أما الطريقة الثانية والمتبعة لدى جميع طبقات المجتمع فهي جعل الخطبة عن طريق الوساطة وذلك بأن يعهد إلى سيدةٍ من الأقارب أو من صديقات الأسرة بالذهاب إلى أهل الفتاة لطلب يدها .[٦٦٨]

ومن مستلزمات الزواج الصداق وقد جرت العادة أن يكون نقداً أو عيناً وكان مقداره يختلف حسب طبقات المجتمع . فكان الخلفاء والأمراء يقدمون الأنواع الغالية والنادرة من الجواهر والياقوت ، إضافةً إلى المبالغ الكبيرة من الأموال .

أما الأثرياء فكانوا يقدمون صداقاً كبيراً يتناسب مع ما يملكون من ثروة . كذلك حرصت الطبقة العامة على تقديم الصداق بقدر ما تستطيع .[٦٦٩]

وجرت العادة عند الأمراء والطبقات الثرية أن ينثر على الحضور النقود

---

(٦٦٧) السيوطي ، مصدر سابق ، ص ٣٥٥ .

(٦٦٨) نفس المصدر : ص ١٥٠ .

(٦٦٩) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

الذهبية والفضية والحلويات في حفلات الزفاف وقد عرف ذلك بالنثار .(٦٧٠)

وقد اتبع سائر الناس عادة النثار فضلاً عن ذلك يقدمون الهدايا إلى العروس يوم زواجها ويسمى بالصبحية .(٦٧١)

أما بالنسبة لحفلات الزواج فقد أنفق فيها الخلفاء والأمراء أموالاً كثيرة وأعدت لها الولائم الفاخرة بالإضافة إلى الموسيقيين والمغنين . فقد اتفق مؤيد الدولة (٣٣٦-٣٧٣هـ/٩٧٦-٩٨٣م) في زواجه من ابنة عمه معز الدولة السيدة زبيدة سبعمائة ألف دينار (٦٧٢). كذلك أنفق فخر الدولة في حفل زواجه مائة ألف ألف دينار .(٦٧٣)

وفي عام ٣٦٤هـ٩٧٤م زوج عز الدولة بختيار بن معز الدولة ابنته " شاه باز " من الخليفة الطائع والذي قدم لها مبلغاً كبيراً من المال والجواهر والحلي الثمينة . (٦٧٤)

وفي عام ٣٦٩هـ/٩٧٣م زوج عضد الدولة ابنته الكبرى من الخليفة الطائع لله (٦٧٥) وفي عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م عقد بهاء الدولة بن عضد الدولة لابنته سكينة على الخليفة القادر بالله ولكنها ماتت قبل الزواج وربما أراد بنو بويه من هذه الزيجات الهيمنة على الخلافة .

ويمكن أن يكون الزواج لتحقيق أهدافٍ وأغراضٍ سياسية كما فعل عز الدولة بختيار عندما ثار عليه الأتراك فقرر أن يجعل العنصرين المتنافرين عنصراً سوياً وربطهم بعائلته الخاصة عن طريق عقد المصاهرات فزوج أحد أبنائه " مزربان " إلى إبنه القائد التركي بختكين وتزوج ابنه الآخر " سالارا " ابنة قائد آخر يسمى السكتمور .(٦٧٦)

---

(٦٧٠) نفس المصدر ، ج 3 ، ص ٢٠١ .

(٦٧١) جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٨٣ .

(٦٧٢) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٣ .

(٦٧٣) نفس المصدر ، ج 3 ، ص ٦٥٥ .

(٦٧٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٦٧٥) ابن الأثير ، مصدر سابق ج ٨ ، ص ٧١٠ .

(٦٧٦) نفس المصدر ، ج 9 ، ص ٩٤٠ .

أما الزواج عند عامة الديلم فيختلف عن بقية الشعوب الأخرى .

يقول المقدسي (٦٧٧): " وللديلم رسوم عجيبة لا يزوجون إلى غيرهم وكنت في بعض الخانات فإذا بصبية تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها فقلت ما فعلت حتى استوجبت القتل ! ؟ قال إنها زوجت إلى غيرنا وقتل من فعل ذلك واجب عندنا .)

وكانت عادة الزواج تتم عندهم كالآتي : كانت لهم أسواق أيام الجمعة في السهل لكل قرية يومٌ . فإذا فرغوا انحاز الرجال والنساء إلى معزل يتصارعون فإذا أحب رجل إمرأةً ذهب معها فيتلقاها أهلها بالبشر والترحيب ويتباهون به إذا رغب في كرمهم فيضيفونه ثلاثة أيام ثم ينادي المنادي بعدما يجتمع معها أسبوعاً في عمارة له بمعزل قبل الزواج ثم يجتمعون ويزوجون له .(٦٧٨)

وعند العقد يجتمع بعد العتمة مع كل رجل قارورة ماء ورد وتوقد النيران على باب العروس فيبدأ بعض المشائخ فيخطب خطبةً بليغةً يطلب فيها المرأة ثم يجيبه آخر من قبل العروس في خطبة بأحسن جواب ثم يعقدد النكاح ويقوم أصحاب القوارير فيضربوا بها الحيطان ثم يعطى كل صاحب قارورة طبقاً من آفروشة .(٦٧٩)

أما المرأة التي يتوفى عنها زوجها فلا تتزوج مرة أخرى وإذا تزوجت ضرب الصبيان بابها بالخزف .(٦٨٠)

الختان :

كذلك من العادات التي كانت شائعة في بغداد الاحتفال بختان الأولاد وكانت تنفق فيه الأموال الكثيرة خاصة أولاد الخلفاء والأمراء وكان الرجل يكره أن يختن ابنه منفرداً .(٦٨١)

---

(٦٧٧) أحسن التقاسيم ، مصدر سابق ، ص ٩٤٠ .

(٦٧٨) نفس المصدر ، ص ٤٩١ .

(٦٧٩) أفروشة : نوع من الأكلات تصنع من الدقيق والسمن . المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

(٦٨٠) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(٦٨١) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

وكان بعض الخلفاء إذا أراد ختان أبنائه ختن قبلهم مجموعةً من الأيتام.(٦٨٢)

فالخليفة الطائع في سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م ختن اثنين من أبنائه وختن قبل ذلك مجموعةً من الأيتام وفرقت عليهم الأموال والكسوة .(٦٨٣)

أما الختان عند العامة فكانوا يختتون أبناءهم فرادى أو مجموعات حسب استطاعتهم وتقام دعوة بسيطة يحضرها الأهل والأقارب وتقدم فيها أحياناً أنواع من الأطعمة والحلوى كل حسب استطاعته . (٦٨٤)

أما الختان عند الديلم فيكون لمجموعة وهذا أفضل عندهم فعندما يقرر الرجل ختان أبنائه يجتمع الناس أيضاً بعد العتمة وتوقد النار على باب الختن ويعطى كل صبي قارورة يضرب بها الحائط بعد الختان (٦٨٥) ، ثم يقدم الطعام أولاً للمختونين ثم لحاملي القارورات .(٦٨٦)

المـأتم :

أما عادات المأتم فهي عادةً تبدأ بتشييع المتوفي إذ يخرج الأهل والأصدقاء والمعارف ويسيرون خلف الجنازة وتخرج النساء منشورات الشعور يلطمن خدودهن وقد يخرجن نائحاتٍ خلف الجنازة .(٦٨٧)

أما الديلم فاختلفت عاداتهم في المأتم من منطقة لأخرى ففي فارس يمشي الرجال أمام الجنازة والنساء خلفها وبخوزستان يمشون من الناحيتين أي على اليمين واليسار ويقيمون الطبل والزمر في المأتم في المقابر ويجلسون للتعزية ثلاثة ايام .(٦٨٨)

---

(٦٨٢) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٦٨٣) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٩٩٥ .

(٦٨٤) نفس المصدر ، ص ٩٩٦ .

(٦٨٥) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣

(٦٨٦) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٩٩٦ .

(٦٨٧) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٦٨٨) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

كذلك يكشف الديلم في المأتم عن رؤوسهم ويجتمعون وقد التف المعزّي والمُعَزى في الأكسية وأداروها على رؤوسهم ولحاهم . (٦٨٩)

ومن عاداتهم أيضاً البكاء والعويل والنواح ولطم الخدود وشق الجيوب وتمزيق الثياب حتى على المريض وكانوا في بعض المناطق لا يتلون القرآن في المأتم .

أما في بغداد فكانت قراءة القرآن على القبور لدى جميع طبقات المجتمع .(٦٩٠)

في حالة وفاة شخصيةٍ كبيرةٍ كالخليفة أو الأمير فالحزن يعم بغداد وغيرها من المدن والأقاليم الأخرى وتغلق الأسواق وتعلق الأقمشة السوداء على جدرانها وتقام المآتم في كل مكان وقد حدث ذلك عند وفاة الخليفة القائم بأمر الله ٤٢٢هـ/١٠٣٠م . (٦٩١)كذلك عند وفاة الأمير عضد الدولة بن بويه في سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م وقد خرجت النساء نائحاتٍ عليه في الأسواق أياماً كثيرةً (٦٩٢).

هذا ويظهر أصحاب المذهب الشيعي الحزن الشديد في ذكرى استشهاد الإمام الحسين يوم عاشوراء ففي العاشر من محرم سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م أمر معز الدولة الناس أن يبطلوا الأسواق والبيع ويغلقوا دكاكينهم وأن يظهروا النياحة وأن تخرج النساء ناشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنواح والعويل يلطمن وجوههن لتلك الذكرى .(٦٩٣)

وكان النداء على الموتى صورة لم ينكرها رجال الشريعة إذ نادى الناس في جنازة العلماء بمثل ما كان جماعة ينادون بين يدي الخطيب البغدادي (٦٩٤) عند وفاته قائلين هذا الذي كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله

---

(٦٨٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٦٩٠) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ج ٣ ، ص ٩ ..

(٦٩١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٦٩٢) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٣٠ .

(٦٩٣) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٤٣ .

(٦٩٤) الخطيب البغدادي : هو ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ولد في منطقة غزية من أعمال الحجاز سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٠م ونشأ في درزيجان وهي قرية كبيرة في جنوب غربي بغداد كان والده خطيباً لجامع القرية لمدة عشرين عاماً عهد به والده إلى هلال بن عبد الله الطيبي فأدبه وأقرأه القرآن . سمع الحديث في حلقة الحسن بن زرقويه بجامع بغداد . ثم أخذ يتردد على الفقيه الشافعي الاسفرائيتي في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م . توجه إلى نيسابور سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م . ثم إلى أصبهان سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠ م والتقى بالشيخ أبا نعيم وأخذ عنه الفقه . هاجر إلى الشام في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م . توفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م وله عدة كتب في الفقه ، مصطلح الحديث ، الأدب ، التاريخ والعقائد الزركلي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٢٧٠ .

صلى الله عليه وسلم . [٦٩٥] وكانوا إذا مات عالم كسر تلاميذه المحابر والأقلام وطافوا في البلد نائحين .

ومن بين العادات زيارة قبور الأئمة والشهداء من أهل البيت وكانت تنفق أموالٌ كثيرةٌ على مدافن الشخصيات التي تتمتع بصفةٍ دينيةٍ أو مذهبيةٍ .

أيضاً من العادات الشائعة النذور فالسكان يتجهون إلى القبور تبركاً وتقديساً بالنفر الصالح ويقومون بالدعاء وتقديم النذور مثل زيارتهم لمرقد الإمام علي الرضا إمام الشيعة بمدينة مشهد بخراسان .[٦٩٦]

المواسم والأعياد :

اهتم المسلمون بالاحتفال بعيدي الفطر والأضحى في شيء كبير من الأبهة والعظمة وكانوا يحتفلون بشهر رمضان العظيم ويتخذون من غرة رمضان من مواسمهم الدينية ، فتضاء الأنوار ويعم الفرح باستقبال رمضان وإحياء لياليه بالذكر والتلاوة والتهجد والدعاء خاصة العشرة الأواخر من رمضان يكثر الناس من الصلاة والدعاء

وكان الخلفاء يؤمون الناس في الصلاة ويلقون عليهم خطبةً في فضائل العيد وإن هذه الأيام أيام مباركات ويدعونهم إلى نبذ الفرقة والخلافات التي بينهم وإلى العفو والتسامح بين بعضهم البعض . فقد كانت تتجلى مظاهر الإسلام في الإحتفال بالعيدين في البلاد الإسلامية وخاصةً بغداد وكان العامة يحرصون على الخروج والوقوف على جانبي الطريق لتحية الخليفة وهو في طريقه إلى المسجد وهم ينادون السلام على أمير المؤمنين نور الإسلام [٦٩٧] .

وكان الخلفاء يوزعون الفطرة والكسوة على المساكين والفقراء واليتامى.[٦٩٨]

وفي عيد الضحى تذبح الأضاحي ويفرق الخلفاء الأضاحي على الأيتام والفقراء والمساكين وتقام الأسمطة في أماكن متفرقة من أنحاء بغداد وخراسان .

---

(٦٩٥) ابن كثير ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١٣٣ .

(٦٩٦) نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ .

(٦٩٧) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٦٩٨) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .

وبعد عيد الأضحى جرت العادة على أن يستقبل الحجاج عند عودتهم من مكة وتقديم التهاني بسلامة العودة وأداء فريضة الحج ويشترك الخليفة نفسه في هذا الاستقبال كما فعل القادر في سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م حيث استقبل أهل خراسان القادمين من الحج والذاهبين إلى الشرق .(٦٩٩)

لم يقتصر احتفال الخلفاء على العيدين فقط بل حرصوا على الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فكانت تضاء الأنوار وتعلق الزينات في الأسواق وتوزع الصدقات على المساكين وذوي الحاجات ويتحدث العلماء للناس عن ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وما تبعه من بشائر وأن هذه الأيام أيامٌ مباركةٌ ويجب على المسلمين الإكثار من الدعاء والتقرب لله بتقديم الصدقات وصلة الأرحام وغيرها من أعمال البر .(٧٠٠)

كذلك الاحتفال بختمة القرآن ويكون مقصوراً على الأحداث وتنظم بذلك المواكب ويظهرون بأحسن الأزياء ويجوبون طرق المدينة وينشدون الأناشيد ثم تقام المآدب ويدعى العلماء لهذه المآدب وتوقد النيران للإضاءة ويحضر هذه الاحتفالات الرجال والنساء على السواء من الأقارب والأصحاب وتوزع الهدايا والحلوى على الفقراء والمساكين .(٧٠١)

لم يقتصر احتفال الخلفاء العباسيين على العيدين ، بل شمل الأعياد الفارسية القديمة كالنيروز والمهرجان.(٧٠٢) فكانت تضاء الأسواق والشوارع بالزينات .وتوزع الهدايا والحلوى على المساكين . (٧٠٣)

كذلك احتفل الأمراء البويهيون في بغداد وخراسان بعيدي الفطر والأضحى في شيء من الأبهة فقد أمر عضد الدولة أن تضاء جميع اسواق شيراز وغيرها من المدن بالأنوار وأن توزع الحلوى وتقام الولائم وتفرق الكسوة على الفقراء .(٧٠٤)

---

(٦٩٩) حسن إبراهيم حسن ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦١ .

(٧٠٠) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٧٠١) النويري ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٧٠٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ .

(٧٠٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٧٠٤) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق، ج ٣ ، ص ٤٦١ .

كما حرص أمراء بني بويه على إثبات تعلقهم بجذورهم الفارسية فاحتفلوا بيوم المهرجان وهو أحد الأعياد الفارسية التي كان البويهيون يحرصون على الاحتفال بها انتماءً لأصولهم الفارسية ويسمى عيد ميترا . وميترا هو إله النور والضياء والحب والعهد عند الفرس ، وكان من رسوم الأكاسرة التتويج في هذا العيد بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها .(٧٠٥) كذلك احتفلوا بالنيروز وليلة السدق . (٧٠٦) وقد تخللت هذه الاحتفالات مجالس اللهو والطرب والخمر وقد شارك فيها الأمراء مثل فخر الدولة والوزراء ومثل الفتح بن العميد وغيرهم من أمراء ووزراء بني بويه .(٧٠٧) .

ترك المسلمون النصارى يتصرفون في أمورهم الدينية من غير تدخل . وقد اشتركوا في تلك الأعياد وكانت أعياد القديسين في بغداد في مختلف الأديرة أكثر نصيباً في احتفال الناس وقد شارك أهل بغداد النصارى في جميع احتفالاتهم ففي يوم الفصح كان المسلمون والنصارى يقصدون دير سالمو إلى شرقي بغداد بباب الشماسية ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللهو إلا حضره .(٧٠٨)

كانوا يحتفلون في بغداد مسلمهم ونصرانيهم بآخر سبت في شهر سبتمبر من كل عام في دير يسمونه دير الثعالب (٧٠٩) وفي الثالث من أكتوبر من كل عام يحتفلون في دير يسمي دير أشمونة (٧١٠). وكان عيداً كبيراً من أعياد البغداديين (٧١١).

---

(٧٠٥) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٧٠٦) نفس المصدر، ج٣، ص١٠٧ .

(٧٠٧) نفس المصدر، ج٢، ص١١٢.

(٧٠٨) آدم منز : مرجع سابق ، ج ٢ ، ١٧٠ .

(٧٠٩) دير الثعالب : دير مشهور في الجانب الغربي من بغداد ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٤، ص ٤٩٨ .

(٧١٠) دير اشمونة : اشمونة امراة بني الدير على اسمها ودفنت فيه وهو من أجمل منتزهات بغداد في منطقة يقال لها بقطربل . ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٤٩٩ .

(٧١١) آدم منز : مرجع سابق ، ج ١ ، ١٧٣ .

كذلك احتفل أهل الذمة في خراسان ويشترك في الاحتفالات رجال ونساء وهم في أجمل الأزياء ويرتلون الأناشيد الدينية ويخرج الرهبان والكهنة في موكب ديني وهم يحملون الشموع .[٧١٢]

ايضاً شارك أهل الذمة المسلمين في احتفالاتهم بالأعياد بالخروج معهم وتبادل الزيارات [٧١٣]

كانت هذه الأعياد النصرانية والفارسية والإسلامية التي يشترك فيها الكافة متنفساً للشعب يجدون فيها راحتهم وينسون فيها غمومهم وهمومهم من ظلم الحكام ومصائب الزمان .

الملابس والأزياء :

هنالك صور أخرى تمثل نواحي الحياة في مجتمع بغداد وخراسان منها اللباس وقد اختلف اللباس بين طبقات المجتمع فلكل فئة لباسها الخاص الذي يميزها عن الفئات الأخرى .

فالخلفاء اتخذوا اللون الأسود شعاراً لهم لبسوه عند الخروج لمقابلة العامة [٧١٤] وفرض أيضاً على كل من يدخل عليهم في يوم المواكب .[٧١٥]فكان لباس الخلفاء يتكون من العمامة [٧١٦] السوداء والطيلسان [٧١٧]كما كانوا يلبسون قلنسوةً [٧١٨] طويلة حولها عمامة ذات لون أسود . أما لبس الجسم

---

(٧١٢) نفس المرجع ، ج٢، ص١٣٢ .

(٧١٣) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٧١٤) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٥.

(٧١٥) نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٤٦ .

(٧١٦) العمامة : هي لباس الرأس عند الرجال لدى جميع الطبقات وهي لباس عربي موروث ووصفها العرب في كلامهم إذ شبهوها بالتيجان على رؤوس الرجال ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٧٢ .

(٧١٧) الطيلسان : ضرب من الأكسية ويقال للثوب الأسود طلس والطيلسان ثوب يلبس على الكتف خال من التفصيل والخياطة يلبسه الخواص من العلماء والمشائخ ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٧١٨) القلنسوة : من ملابس الرأس جمعها قلانس وهي الطاقية التي توضع تحت العمامة وقد تكون من الخز بيضاء أو سوداء أو خضراء ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٦٧ .

فكان يشمل لبس القباء الأسود وقد يكون مفتوحاً من الصدر فيظهر القفطان من تحته .[٧١٩]

أما الأقدام فقد لبسوا النعال والأحذية . وتميز الوزراء بلبس الأقبية السوداء والخفاف ولا يدخلون على الخليفة إلا بقباء اسود وسيف ومنطقة .[٧٢٠]

أما القضاة والفقهاء فيلبسون الطيلسان الأسود والعمامة السوداء والقلانس المستديرة وكانوا يلبسون الدراعة أيضاً وهي ثياب مشقوقة من الصدر ولا يلبسون الحرير بل الصوف الأبيض ولا يلبسون الثياب الملونة إلا في بيوتهم . ويلبس القواد الأقبية السوداء من كل صنف مع لبس العمائم ولبس الخوذات وتسمى بالفارسية زرد . أو زرديات .[٧٢١]

بالرغم من أن الزي الفارسي قد شاع في العصر العباسي والبلاط العباسي خاصة إلا أنه هناك بعض الاختلافات لبعض الطبقات . فنجد القضاة في خراسان يلبسون الدينات وما اشبهها من القلانس المشمرة عن الأذنين مع الطيالسة والقميص والجباب ولا يلبسون الدراعة ولا قلنسوة تغطي الأذنين [٧٢٢] . والعلماء يلبسون الطيلسان ويقول المقدسي [٧٢٣] : " ولا ترى بها لصاحب طيلسان مقداراً وقد رأيت أهل الطيالس سكارى ".

وليس لأهل الطيالس بشيراز مقدار إنما هو لأصحاب الدراريع وهم الكتبة فالكتاب في شيراز يلبسون الدراريع والعمائم فإن لبسوا تحت العمائم قلانس جعلوها خفية ولا تظهر ، ولا يلبسون قباء ولا طيالسة .[٧٢٤]

ولبس التجار والتناء [٧٢٥] الطيالسة والعمائم والجباب والمبطنات وإنما يتفاضلون في الجودة في الملابس .[٧٢٦]

---

(٧١٩) الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٧٢٠) نفس المصدر ، ج٢، ص١٩٥. .

(٧٢١) نفس المصدر، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٧٢٢) ابن الأثير مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٤٩٣ .

(٧٢٣) أحسن التقاسيم، مصدر سابق ، ص ٤٥٥ .

(٧٢٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٧٢٥) التناء : هم أهل البلد الذين أصلهم منها ويطلق على رئيس القرية وحاكمها ، الاصطخري ، مصدر سابق ، ص ٨٣ .

(٧٢٦) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٩٠ .

أما المتصوفون فكانوا يلبسون الثياب الخشنة والمرقعة المصنوعة من الصوف مع الفوطة مدلاة على رؤوسهم تحيط بقلنسوة طويلة (٧٢٧)

أما لشعراء فكانوا يلبسون الموشى والمقطعات (٧٢٨) والأردية السود وكل توب مشهر .(٧٢٩)

أما ملابس النساء فقد لبسن الإزار ومعه القميص ويسمى بالبدنة كما انتشرت الفوط المصنوعة من الغز في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي .(٧٣٠)

بالنسبة للثياب الخارجية للطبقة العليا فهي من الأنواع الغالية كالديباج والموشاة بالذهب وقد تبلغ اسعارها آلاف الدراهم والدنانير ومنها المصنوعة من الصوف أو القطن المسماة بالخلفان .(٧٣١)

ويتكون اللباس الخارجي للعامة من الإزار والسروال الأبيض والعباءة . أما لباس الرأس فكان من الخمار والعصابة والبرنس (٧٣٢) . فالبرنس لبسته نساء الطبقة الراقية ويكون مرصعاً بالجواهر محلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة .(٧٣٣)

أما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين رؤوسهن بحلية مسطحة من الذهب يلففن حولها عصابة منضدة باللؤلؤ والزمرد .(٧٣٤)

أما بالنسبة لأدوات الزينة فكانت النساء يلبسن الخلاخل في أرجلهن والأساورة في معاصمهن والخواتم المرصعة بالياقوت وعقود اللؤلؤ في أعناقهن .

---

(٧٢٧) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

(٧٢٨) المقطعات : من الثياب شبه الجلباب ونحوها من الخز وقيل كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات ، الجاحظ مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(٧٢٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٧٣٠) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٧٣١) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

(٧٣٢) البرانس : تعني الطاقية وقد تكون من الخز وقد كانت غالية الثمن ، الجاحظ ، مصدر سابق، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

(٧٣٣) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

(٧٣٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

كذلك الجواري كن يتزين بالعقود في اعناقهن وفي ايديهن الأساور وذلك لزيادة جمالهن وبالتالي ترتفع أثمانهن .[٧٣٥]

أما ملابس أهل الذمة فقد تميز عن لباس المسلمين فكان اليهود يرتدون البراطيل الطويلة ، على حين اتخذ النصارى البرانس أول مرة ، ثم لبسوا القلانس الطويلة ومن أراد أن يلبس مثل قلانس المسلمين فليجعل عليها زرين أما العمامة فيجب أن تكون عسلية اللون . [٦٣٦]

الأطعمة والأشربة

الطعام والشراب هما عماد الإنسان في الحياة وحث الإسلام على الحلال منهما وحرم ما كان يتعاطاه الناس من الأطعمة والأشربة التي كان فيها الكثير مما يضر بصحة الإنسان . كما حض الإسلام على الكرم فيهما وإطعام الجائع من الفقراء والمساكين .

هذا وقد أسرف المسلمون في الطعام وتفننوا في ألوانه واهتم به الخلفاء حتى أنهم أجازوا الشعراء في وصفه . كذلك أولع الأمراء وغيرهم من الأغنياء بتنوع الطعام والإسراف في إعداده .

وقد حفلت موائد الخلفاء العباسيين وموائد البويهيين في بغداد وخراسان بألوان شتى من أنواع الأطعمة والأشربة . فقد طعموا في أواني من الذهب والفضة والبلور وتفنن لهم الطهاة في إعداد الوجبات وكانت موائدهم تعج بما لذ وطاب من أصناف الأطعمة وتبعهم في ذلك وزراؤهم .[٧٣٧]

هذا وقد اهتم الكتاب بآداب الطعام فكتب محمد بن عبد الكريم الكاتب البغدادي كتاباً تحت اسم الطبيخ . وذلك في سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م وصف فيه الطعام في العصور العباسية . وقد ذكر فيه من الأطعمة الدجاج والسمك والعماريس [٧٣٨] وهذه كان يفضلها الملوك والخلفاء فكانت تذبح العماريس بأعدادٍ كثيرة وتوضع على

---

(٧٣٥) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ .

(٦٣٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص . ٣٧١ .

(٧٣٧) الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٧٣٨) العماريس : هي الحملان ، يقول ابن منظور العمروس هو الخروف الصغير ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة ع م ر س ، ص ١٢٧ .

موائد الخلفاء وهي محشوة باللوز والجوز والزبيب ومعها أنواع أخرى من اللحوم المصنوعة بأشكال مختلفة كذلك الدجاج والسمك ولحوم الجدي والضأن . وحفلت الموائد ايضاً بأنواع متعددة من الحلوى مثل الفالوذج(٧٣٩) واللوزنج (٧٤٠) والخشكتات (٧٤١)وغيرها .

كذلك اهتم الأمراء البويهيون في بغداد وشيراز بالموائد وما يعد عليها من أنواع الطعام خاصة الأمير عضد الدولة والذي حفلت موائده بأنواع شتى من لحوم الضأن والأسماك ولحوم الجدي وأنواع الحلوى مثل الفانيد (٧٤٢) واللهيطة (٧٤٣) فد كان لعضد الدولة طبيب عند كل وجبة يكون واقفاً على المائدة وهويسأله عن شيء من منافع الأغذية ومضارها .(٧٤٤)

كذلك كان اهتمام الوزراء بالموائد وآدابها فالوزير المهلبي كان إذا أراد أكل شيء من الأرز باللبن وهرايس وحلوى وقف إلى جانبه اليمين غلام ومعه ثلاثون ملعقة زجاج فيأخذ الملعقة من الغلام الذي بيمينه ويأكل بها لقمة واحدة ثم يدفعها إلى الغلام الذي على يساره لئلا يعيد الملعقة إلى فيه مرة ثانية .(٧٤٥)

كان من عادة أهل بغداد إطعام عامة الناس لا سيما الخلفاء حيث أقاموا لهم المآدب التي حفلت بأنواع الطعام خاصة في المناسبات كالأعياد وشهر رمضان . كذلك فعل الأمراء البويهيون في خراسان فقد أعدت الموائد في جميع المناسبات كالمهرجان والنيروز والأعياد خاصة عيد الأضحى وغيره من المناسبات الدينية ويدعى إليها الفقراء والمساكين كنوع من التوسعة في هذه الأيام .(٧٤٦)

---

(٧٣٩) الفالوذج : نوع من الحلوى يعمل من الدقيق والماء والعسل وتسمى الآن البالوظة ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١١٤.

(٧٤٠) اللوزنج : نوع من الحلوى يعمل من الجوز واللوز في شكل قطائف ويدهن بدهن اللوز ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١١٨.

(٧٤١) الخشكنات : هي خبزة تصنع من دقيق الحنطة وتملأ باللوز والسكر والفستق . المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ .

(٧٤٢) الفانيد : نوع من الحلوى يصنع من السكر ودقيق الشعير ، المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٥٥ .

(٧٤٣) اللهيطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٩٨ .

(٧٤٤) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج٣، ص ٤٧١ .

(٧٤٥) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٧٤٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

أما طعام الطبقة الفقيرة والمتوسطة فقد كان يتكون من الخبز والزيت والخل .[٧٤٧]

ومن الأكلات الشعبية العصيدة والثريد وتعمل العصيدة من التمر ويضاف إليها السكر والعسل .[٧٤٨]

ويعمل الثريد من المرق واللحم وقد يضاف إليه الحمص ويؤكل في الغداء .[٧٤٩]

ومن الأكلات الشعبية في خراسان الأرز ويؤكل مع اللبن والسمن والسكر ويقدم مع غيره من الأطعمة .[٧٥٠]

ومن الأطعمة التي شاعت في تلك الفترة الطفستل [٧٥١] والسكياج[٧٥٢] والدكيريكة[٧٥٣] والشبارقات [٧٥٤] والكردناج [٧٥٥] وغيرها .

وكانت هناك أيضاً أنواع الفواكه من التمر والبطيخ والتين والخوخ والرمان وكان الخلفاء والأمراء يحصلون على بواكير الفواكه بواسطة البريد الذي بلغ الكمال في عهد بني بويه خاصة عضد الدولة فكانت هذه الفواكه تصل في سرعة من فارس وغيرها من مناطق خراسان .[٧٥٦]

---

(٧٤٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٧٤٨) آدم منز ، رجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٧٤٩) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٧٥٠) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٧٥١) الطفستل : نوع من اللحم يعالج بالبيض والجذر والعسل ، الجاحظ ،مصدر سابق ، ج ٣ ،ص ٥٤ .

(٧٥٢) السكياج : وهو يصنع من اللحم والخل ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٧٥٣) الديكيريكة : نوع من اللحم يقطع وسطاً ويترك في القدر . يضاف إليه ملح وكف حمص مقشور وكسبرة وبصل مقطع ويضاف إليه الماء وتؤخذ رغوته بعد الغليان . ويضاف له الخل والفلفل الأسود ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٦٩.

(٧٥٤) الشبارقات : هي شرائح مشوية من اللحم ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٧٥٤) الكردناج : هو اللحم المشوي منثور على الجمر مباشرة بعد غمره في مياه عطرة أو طبخه فيها نصف طبخة ، الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

(٧٥٦) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ .

ومن العادات المتبعة عند الطعام ولا تزال هي غسل الأيدي قبل الطعام وبعده ويكون في وعاء يسمى الطست .(٧٥٧)

وجرت العادة أن يبدأ الغسيل من جهة اليسار حتى ينتهي لصاحب البيت حينما يغسل يديه بعد الضيوف عند انتهاء الطعام وقد اعتاد عامة الناس على إجلال رؤسائهم وخلفائهم بعدم غسل أيديهم بحضرتهم وأجازوا ذلك مع نظرائهم .(٧٥٨)

وكان على صاحب الدعوة بعد انتهاء الطعام أن يشكر المدعوين وعلى المدعوين أن يشكروا صاحب الدعوة عند مغادرتهم البيت .(٧٥٩)

كان لوقت الشراب أهمية كبيرة وله وقت منفصل وكانوا يفضلونه على وقت الطعام وفيه يكثر السمر وتحكى النوادر والفكاهات وينظم الشعراء فيه القصائد وأحياناً ينظمون قصيدةً في وصف الآنية المعدة للشراب أو الأقداح وهي مليئة بأنواع الشراب .(٧٦١)

من أنواع الشراب الجلاب المصنوع من السكر وماء الورد واشتهرت فارس بصناعة ماء الورد وعصير الفواكه .(٧٦١) ومشروب آخر يعرف بالشربت وهو شراب يصنع من الماء والسكر الممزوج بمسحوق زهر البنفسج أو الورد والتوت .(٧٦٢)

كان في بيوت الوزراء وكبار رجال الدولة في بغداد وخراسان بجانب صاحب المطبخ رجل يسمى الشرابي شأنه العناية بالشراب وآلته والفاكهة والروائح (٧٦٣) وكان من مستلزمات الشراب سماع الغناء ونثر الزهور والرياحين في مكان الشراب وكانوا يزينون الكؤوس بالرسوم الفارسية وقد كان الماء المثلج أكثر لذة للناس في فصل الصيف .(٧٦٤) .

---

(٧٥٧) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٧٥٨) نفس المرجع ، ج١، ص ١٦٥ .

(٧٥٩) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٧٦١) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٧٦١) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٧٦٢) الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(٧٦٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٧٦٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ .

أما الخمر فكانوا يستحضرونها من التمور والزبيب وكان الشراب منتشراً رغم نهي القرآن عنه . وقد انتشرت دور الخمر في بغداد وخراسان على حد سواء وكان الخمار والساقون والساقيات من النصارى . (٧٦٥)

(٧٦٥) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

المبحث الثاني :

المجالس والمواكب :

تنوعت المجالس في هذا العصر فكانت هناك مجالس للخلفاء والوزراء ومجالس علمية وغيرها وسنتناول كل منها على حدة :

مجالس الخلفاء والأمراء :

كانت مجالس الخلفاء تعقد في فيض من البذخ والروعة والبهاء فكان الخليفة يجلس في الصدر على الفرش وبين يديه مائة من صفوف الحرس في أثواب زاهيةٍ وأزياءٍ باهرةٍ شاهري السلاح كما يقف حوله يمنة ويسرة أشراف الدولة والأمراء والأعيان ، وعندما يرفع الستار الشفاف كان الحاجب ينادي باسم من يريد إدخاله فيقوم بتأدية الخدمة والدعاء لحضرة الخليفة .[٧٦٦]

كان الشعراء يحضرون تلك المجالس ويلقون قصائدهم الشعرية ويمدحون الخلفاء ، ويمجدون تاريخ العرب ، ويذكرون قصائد الغزل ووصف أيام الشباب ويمدحون النديم . وكان الخلفاء يغدقون الأموال والخلع على الشعراء ومن أبرز شعراء تلك الفترة المتنبئ الذي تنقل في البلاد يمدح الخلفاء والأمراء .[٧٦٧]

لم تقتصر هذه المجالس على الخلفاء بل كان أمراء بني بويه أنفسهم شعراء يشتغلون بالكتب ويهتمون بها وينادمون الأدباء والشعراء . وقد كان معز الدولة نفسه شاعراً وأديباً فأحب الشعراء وقربهم إلى بلاطه وتطارح معهم الشعر. .[٧٦٨]

كذلك كان عضد الدولة شاعراً وكان يعقد المجالس التي ينشد فيها الشعر ومن أشعاره :

ليس شرب الكأس إلا في المطر   وغناء من جواري في السحر

غانيات سالبات للنهى   ناعمات في تضاعيف الوتر

عضد الدولة وابن ركنه   ملك الأفلاك غلاب القدر [٧٦٩]

وكان مجلسه بنهاوند يحضره القضاة كالقاضي التنوخي وكذلك الشعراء والمغنون مثل المغني محمد بن كالة الطنبوري وكان من المغنيين المشهورين بخراسان

---

(٧٦٦) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢، ص ١٢٤ .

(٧٦٧) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٧٦٨) الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ .

(٧٦٩) أبي اسحق إبراهيم بن علي الحضري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، (تحقيق زكي مبارك) ، بيروت ، دار الجيل ١٩٥٥، ج ٣، ص ٢١٨ . .

وقد غنى في مجلس عضد الدولة فاستملح عضد الدولة اللحن وأغدق عليه مالاً كثيراً وخلع عليه ، (٧٧٠) . وكان عضد الدولة ينظم أبياتاً من الشعر ويأمر جواريه بالغناء بها في مجلس أنسه بنهاوند (٧٧١).

كذلك عقد عضد الدولة مجلساً ببغداد أيضاً وكان ذلك في عيد الفطر سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م حضره الشعراء فأنشدوا التهاني . وقد حضرت هذا المجلس عابدة الجهينية (٧٧٢) وأنشدت قصيدة استحسنها عضد الدولة وأمر لها بالعطايا . كذلك حضرت أم أبي الحسن السلامي (٧٧٣) البغدادي فأنشدته قصيدة طويلة بعبارة فصيحة وإنشاء صيّن مستقيم ، ولسان سليم من اللحن ، وقد أعجب عضد الدولة بالقصيدة وأمر لها بجوهرة ثمينة .

وكانت أكبر المجالس للأنس والشراب هي التي يقيمها عضد الدولة في عيد مولده ويحضرها القاضي التنوخي . وقد حضر المغنون (*)وأخذوا مواضعهم وجلسوا وحضر الندماء وأخذوا مواضعهم قياماً ولم يكن يجلس بحضرته غير القاضي التنوخي وأبي علي الفسوي(٧٧٤) وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف (٧٧٥) . ويحضرون الشراب من النبيذ ثم يأتي المهنئون من أهل المجلس مثل رؤساء دولته ووجوه الكتاب والعمال وكبار أهل البلد من الأشراف وغيرهم فيدخلون فيهنئونه والشعراء فيمدحونه وكان يغدق عليهم الهدايا والمنح .

---

(٧٧٠) الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٢، ص ١٨٣ .

(٧٧١) نفس المصدر ، ج ٣، ص ١٨٤ .

(٧٧٢) عايدة الجهينية : عايدة بنت محمد الجهينية وهي شاعرة وأديبة كانت زوجة عم الوزير أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرازاد . وروي عنها القاضي أبو علي الحسن بن علي بن محمد التنوخي ، اشتهرت بفضلها وعلمها وفصاحة لسانها . الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٤، ص ١٥٥ .

(٧٧٣) أم أبي الحسن البغدادي السلامي : هي عاتكة بنت محمد بن القاسم بن محمد بن يحيى بن حابس بن عبد الله المخزومية . وأم الشاعر أبي الحسن البغدادي السلامي . كانت شاعرة فصيحة بليغة ببغداد مدحت عضد الدولة بعدة قصائد وروي عنها القاضي التنوخي .الزركلي مصدر سابق ، ج ٥، ص ٦٩ .

(*) من نماذج غناء ابن كاله :

زد بماء المزن والعنب   طارقات الهم والكرب

قهوة لو إنها نطقت   ذكرت قحطان في العرب

(٧٧٤) أبي علي الفسوي : هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار . أحد الأئمة في علم العربية ولد سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م طاف في كثير من البلدان وأقام مدة عند سيف الدولة في حلب ، ثم صحب عضد الدولة وعلمه النحو وألف عدة كتب ، توفي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٦م . الزركلي مصدر سابق ، ج ٢، ص ١٩٣ .

(٧٧٥) أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي من الكتاب والشعراء ، تقلد ديوان الرسائل لعضد الدولة طوال حياته وعد من وزرائه وخواص ندمائه ، ولي الوزارة لبعض أولاده ، الزركلي مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

أما الأمير مجد الدولة أبو طالب رستم الذي تولى إمارة الري بعد وفاة والده فخر الدولة في سنة ٣٨٧هـ/٩٩٦م ، فقد قرب العلماء إلى بلاطه وأكرمهم غاية الإكرام وكان من هؤلاء أبو الحسن (٧٧٦) النسوي الذي وضع كتاباً في الهندسة أهداه إلى مجد الدولة وهو بعنوان المقنع الهندي .(٧٧٧)

كذلك كانت للأمير شرف الدولة مجالس يحضرها العلماء وقد طلب من أبي الحسن النسوي أن يضع له كتاباً باللغة العربية في الرياضيات على قرار كتابه المقنع الفارسي فوضع له كتاب المقنع في الحساب الهندي .(٧٧٨)

كذلك كان تاج الدولة أبو الحسن أحمد بن عضد الدولة يعقد المجالس الشعرية وكان شاعراً متميزاً وقد وصفه الثعالبي بأنه كان أديب آل بويه وأشعرهم (٧٧٩)

مجالس الوزراء :

كان من أبرز مجالس الوزراء مجلس الوزير أبي محمد الحسن المهلبي التي تميزت بما فيها من الشعر والقصص الأدبية وقد كان من ثمارها كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .(٧٨٠)

اشتهرت مجالس المهلبي بكثرة الندماء الذين يحضرونها ومعظمهم من القضاة ومن أبرزهم القاضي أبو علي الايذجي(٧٨١) والتنوخي وقد كان المهلبي يميل للتنوخي ويعتبره ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء فكانوا يجتمعون عنده في الأسبوع

---

(٧٧٦) أبي الحسن النسوي : هو أبو الحسن علي بن أحمد النسوي فارسي نبغ في العلوم الرياضية والفلكية والتنجيم وكان ذا موهبة وملكة قوية في التنجيم ، عاش في بغداد ردحاً طويلاً من الزمن وحظي باحترام علمائها وكان حكيماً من حكماء الري ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٣، ص ٢٥٥ .

(٧٧٧) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٣، ص ١١٩ .

(٧٧٨) نفس المصدر ، ج ٢، ص ١١٧

(٧٧٩) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١١٨ .

(٧٨٠) أبو الفرج الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد بن احمد بن الهيثم ينتمي إلى مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين . ولد بأصفهان سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م . أخذ العلم والأدب والتاريخ عن أبي دريد وابن الأنباري ، وابن جرير الطبري امتاز باطلاعه الواسع على الشعر والأغاني وكان ملماً بآلات الطرب . اتصل بالوزير المهلبي وألف كتباً كثيرة منها مقتل الطالبيين . توفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م . الزركلي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٢٥٥ .

(٧٨١) الايذجي : هو ابو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الايذجي كان أبوه سهل قاضياً بمدينة أيذج ورامهرمز ثم أصبح من ندماء الوزير المهلبي وكان له مكانة في الأدب ، عمر رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ .

ليلتين فيتسامرون ويستمعون إلى ابن طراخان [٧٨٢] المغني ، وكان المهلبي نفسه شاعراً وأديباً .ولابن سعدان الوزير مجلس جمع فيه عدداً من العلماء منهم ابن زرعة[٧٨٣] الفيلسوف ومسكويه وأبي حيان التوحيدي الذي كان له السمر مع هذا الوزير مما جمعه في كتابه الإمتاع والمؤانسة وألف له رسالة الصداقة والصديق وكان ابن سعدان يفاخر بمجلسه هذا لما اجتمع فيه من أبرز أدباء القرن الرابع .[٧٨٤]

كذلك عني الوزير أبو منصور بن صالحان عناية كبيرة بمجالس العلم والعلماء وعرف بسخائه في إنفاق الأموال على العلماء .[٧٨٥]

مجالس القصاص :

كان القصاص يعقدون مجالسهم عادة في المساجد لرواية القصص الدينية وإرشاد الناس وحثهم على اتباع الطريق القويم بذكر آيات الله وأخبار السلف الصالحين .[٧٨٦]

كان للقاص في الغالب صبغة دينية واستمرت طبقة القصاص ومجالسهم تهدف إلى تفسير الشريعة الإسلامية للمستمعين ، وكان من بين القصاص بعض القضاة والخطباء على جانب كبير من الثقافة وأدباء من أصحاب البلاغة والفصاحة وذلك حتى القرن الثاني الهجري – الثامن الميلادي .[٧٨٧]

جاء بعد هذه الطبقة طبقة أخرى أقل معرفة وثقافة من سابقيها في الأمور الدينية [٧٨٨] وأصبحت غايتهم الكسب المادي ، وخاصة في القرن الرابع الهجري

---

[٧٨٢] ابن طرخان : هو أبو القاسم الحسن بن طرخان الطنبوري البغدادي . كان اشهر ضارب بالطنبور في ايامه . كان أطيب الناس خلقاً . وكان يطرب كل من يسمعه . وكان مقرباً من الأمير محمد بن رائق ، الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

[٧٨٣] ابن زرعة : هو أبو علي عيسى بن زرعة النصراني اشتهر بالمنطق وعلوم الفلسفة والنقل إلى العربية . توفي ببغداد سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ .

[٧٨٤] الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

[٧٨٥] نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ .

[٧٨٦] ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٤١ .

[٧٨٧] آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٣ .

[٧٨٨] نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٦ .

حيث انخفض المستوى العلمي لطبقة القصاص ، وصارت تقص على الناس القصص الدينية والأساطير والنوادر في المساجد والطرق ، فالتف العـامة حولهم [٧٨٩] وزاد عدد المستمعين إليهم رجالاً ونساء وأصبحت مجالسهم عامرة سواء في المساجد أو الطرقات أو الأسواق ، [٧٩٠]. وكان القاص يرفع صوته بالدعاء ويمد يده لأخذ المال من العامة [٧٩١] مما أضعف مكانته بين الناس .

وكان من أثر هبوط المستوى العلمي لهؤلاء القصاص أن لجأوا إلى سرد البدع ورواية الأخبار التي لا سند لها في الشرع [٧٩٢] . ومنهم من كان ينشد شعراً أو ينوح على الموتى ، ويصف ما يلاقونه من البلاء ، ويشرح بعض العبارات دون أن يكون ملماً باللغة العربية وقواعدها .[٧٩٣]

وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م منع الأمير عضد الدولة في بغداد وخراسان القصاص من الظهور في المساجد أوغيرها من الأماكن ، لأن أحاديثهم كانت سبباً في إثارة الناس [٧٩٤] . كما قام الخليفة القادر بالله سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م بمناهضة القصاص بسبب إثارتهم الفتن الداخلية . واتخذت إجراءات شديدة للقضاء على هذه الفئة التي استطاعت أن تسيطر على عقول العامة . فكان من يتم القبض عليه يعاقب بالسجن .[٧٩٥]

مجالس الوعاظ :

كانت تعقد في المساجد وكان الواعظ يقوم مقام المدرس ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تمييز فيشرح لهم المسائل الشرعية ويجيب على الأسئلة التي توجه إليه من الذين يحضرون حلقته [٧٩٦] وقد حافظت مجالس الوعاظ على

---

(٧٨٩) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٧٩٠) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٧٩١) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٧٩٢) ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٧٩٣) نفس المصدر ، ج٨، ١٧٠ .

(٧٩٤) ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص١٩٣ .

(٧٩٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٧٥.

(٧٩٦) محمد حسين الزبيدي ، ملامح من النهضة العلمية في العراق في العصر البويهي ، (دار النهضة بغداد ١٩٦٩) ، ص ١٣٢ .

سمعتها الطيبة خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة لأن عامة الناس كانت لا تزال متمسكة بآداب الدين، ولأن الوعاظ كان لهم إلمام كبير بأمور الشريعة الإسلامية يؤهلهم لإرشاد الناس إلى الطريق الديني السليم .[٧٩٧]

غير أن هذه المجالس لم تحتفظ بمكانتها في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة إذ تعرض لها الجهلاء من العوام والنساء ، فانصرفوا عن الاشتغال بالعلم بالكسب المادي وظهرت البدع على اختلاف أنواعها وانتشرت الخرافات الى ألسنة الوعاظ .[٧٩٨]

فالواعظ أبو عبد الله بن أحمد بن موسى بمدينة شيراز (ت ٤٣٩هـ/١٠٤٧م) أخذ يتكلم على الناس بلسان الواعظ يشير إلى طريق الزهد ويلبس المرقعة ويظهر عزوف النفس عن طلب الدنيا ، فافتتن الناس به وكان يحضر مجلس وعظه خلق لا يحصون .[٧٩٩] ولكن بعد مدة أخذ ما كان يأتيه من الصلات بعد ممانعة شديدة ، وعاد عن تظاهره بالزهد وحصل على مال كثير ، ونزع لبس المرقعة ولبس الثياب الفاخرة وصار له أتباع وأصحاب .[٨٠٠]

وكان أشهر واعظ ببغداد في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي هو أبو الحسن بن سمعون (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) وكان من عاداته أن يلبس أحسن الثياب

ويأكل أطيب الطعام . وعندما سئل كيف يفعل ذلك وهو يدعو للزهد في الدنيا ، فأجاب كل ما يصلحك لله فافعله ، فإذا صلح حالك مع الله سبحانه وتعالى فالبس لين الثياب وكل أطيب الطعام فلا يضرك .[٨٠١]

---

(٧٩٧) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٧٩٨) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٧٩٩) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٨٠٠) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٦٧ .

(٨٠١) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .

وهناك بعض الوعاظ امتازوا بحسن حديثهم وعلمهم في توجيه الناس منهم الواعظ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ت (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) وكن فقيهاً شاعراً زاهداً وكان الناس يحضرون حلقاته باستمرار .(٨٠٢)

كانت السلطة الحاكمة تطلب من الوعاظ أحياناً معاونتها على تحقيق اتجاهاتها . فقد طلب معز الدولة من الوعاظ أن يهيئوا الناس للاحتفال باليوم العاشر من محرم سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م .(٨٠٣)

كذلك فعل الخليفة القادر بالله الذي استعان بالوعاظ حيث وقعت الفتنة بين أهل السنة والشيعة إذ طلب منهم أن يقوموا بدورهم إلى جانب الدولة بتبصير الناس بعواقب ما يقومون به من أعمال عنف تؤدي أحياناً إلى إزهاق الأرواح وذلك في سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م (٨٠٤). واستجاب عدد من الوعاظ لذلك منهم الواعظ أبو طاهر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العلاف (ت ٤٤٢هـ/١٠٥٠م) وكان له مجلس وعظ بجامع المهدي . (٨٠٥)

المجالس العلمية :

أ- مجالس المذاكرة

وهذه المجالس مدارها تبادل المعلومات والآراء بين الطلبة وخاصة طلبة الحديث . وتأخذ هذه المجالس أشكالا عدة تعتمد على موضوع الحديث المراد بحثه ولا سيما تناول متون الأحاديث وأسانيدها وربما تناولت المذاكرة تطبيقات معينة في أبواب الفقه ، كما تتناول مدارسة أحاديث رواها أحد الصحابة بالذات وتتبعها في مختلف كتب الحديث وتقدير درجتها من حيث الصحة والضعف .

كانت مجالس المذاكرة للناس عامة وللطلبة خاصة ، ولهؤلاء أن يكتبوا ما يدور فيها وأن يوجهوا الأسئلة كما يشاءون ، أو يقترحوا الموضوعات التي يرغبون في معالجتها .

---

(٨٠٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٨٠٣) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٤٤٥ .

(٨٠٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٨٠٥) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

أما عدد الحضور في مجالس المذاكرة فلم يكن محدداً ، وكان مكانها وزمانها يحددان عندما يقدم شيخ مهم لزيارة بغداد فيبادر العلماء إلى زيارته وعندها تتحول تلك الزيارة إلى مجلس مذاكرة . (٨٠٦)

حرص كثير من العلماء على حضور مجالس أقرانهم المعاصرين ، وذلك للاستفادة والمشاركة في البحث والمذاكرة والتعقيب والتصحيح إذا لزم الأمر .(٨٠٧)

وهكذا أصبح بوسع الطلبة أن يشهدوا كفاءات الأساتذة وينتفعوا بعلمهم وخبرتهم بل صاروا يتخذونهم نموذجاً لمذاكرتهم .(٨٠٨)

شملت مجالس المذاكرة العديد من المواضيع وصارت ميداناً يصول ويجول فيه أهل الأدب والعلم ، ويحاول كل منهم إظهار علمه ومقدرته ، وكان علماء المسلمين يعتبرون هذه المجالس نوعاً من العبادة ، فالإمام أحمد بن حنبل يفضلها على أداء النوافل .(٨٠٩)

استمرت هذه المجالس في انعقادها وكان لجامع المنصور مكانه في الحياة العلمية ، وكانت تعقد فيه مجالس المذاكرة وكان لا يفوز بالتدريس فيه إلا كبار العلماء الذين أوتوا من العلم والمعرفة حظاً كثيراً وعقدت فيه حلقات لتدريس القراءات كالحلقات التي عقدها العالم أبو سعيد السجري السجستاني (٨١٠) . ذلك في سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م .(٨١١)

كذلك ألقيت فيه دروس التفسير وعلم الكلام لعدد من العلماء منهم محمد بن بحر الأصفهاني من شيوخ أصفهان المشهورين كان كثير التنقل بين بغداد وأصفهان ، ولكن يعقد حلقاته في مساجد أصفهان باستمرار وقد حضر حلقته بجامع المنصور عدد كبير من الطلاب وذلك في سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م .(٨١٢)

---

(٨٠٦) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٤٤ .

(٨٠٧) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٨٠٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٨٠٩) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٦٤

(٨١٠) السجستاني : هو سلمان بن الأشعث بن اسحق بن بشير بن شداد الأزدي ، محدث ، حافظ ، فقيه طاف معظم البلاد مثل الشام ، مصر ، الجزيرة ، العراق ، خراسان ، توفي سنة ٨١٧هـ/٨٨٩م ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١

(٨١١) الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(٨١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

مجالس المناظرة :

ساعدت هذه المجالس على تطوير التعليم إلى حد بعيد ، إذ كان يحضرها الطلبة وقد أدرك أهميتها الإمام الشافعي[٨١٣] وكان يحث الطلاب على حضورها . كان الخلفاء يأمرون بعقد هذه المجالس ويتولون رئاستها مثل الخليفة القادر وكان الغرض منها أن يفصل الخليفة في الخلافات التي تقع بين علماء المسلمين وكانت المناظرات تتناول مختلف المواضيع الدينية والأدبية .[٨١٤]

كانت مجالس المناظرة تعقد أحياناً بمحض الصدفة إذ يقصد أحد العلماء شيخاً بارزاً ليناقشه ، ويتطور النقاش بينهما إلى مناظرة ولقد وجد هذا النوع انتشاراً كبيراً في بغداد .[٨١٥]

وكانت المناظرات تعقد أحياناً في منازل العلماء مثل العالم ابن سيناء وقد جرت فيه المناظرة بين العالم الجوزجاني [٨١٦] والعالم السجستاني وذلك في سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م بإشراف الأمير عضد الدولة البويهي . وربما تمت هذه المناظرات دون أن يحصل اللقاء بين المتناظرين ، إذ ينقل الطلبة آراء أساتذتهم إلى بعضهم البعض مكتوبة ، وقد يهدف البعض من المناظرة كسب الشهرة ، ليتحدى العلماء البارزين ومناظرتهم .[٨١٧]

هذا وقد كان بعض العلماء لا يستحسنون الدخول في مناظرة إذ هي في اعتقادهم تؤدي بالمتناظرين إلى الخروج عن جادة الحق في سبيل التفوق على الطرف المقابل وأحياناً يسعى أحد المتناظرين على خصمه بالسب والشتم والسعي في المكيدة له .[٨١٨]

---

(٨١٣) الإمام الشافعي : هو محمد بن ادريس العباس بن عثمان بن نافع . عربي من قريش يلتقي نسبه من جهة ابيه مع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم في عبد مناف . ولد في غزة حملته أمه إلى مكة بعد موت أبيه . درس الحديث عاى علماء مكة ، وفد إلى المدينة وتتلمذ على الإمام مالك وحفظ الموطأ . جاء بغداد وتعلم فقه أبي حنيفة . ذهب إلى مصر حيث توفي هناك سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م ومن كتبه المسند في الحديث ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٥٣.

(٨١٤) الخطيب البغدادي ، مصدر ، سابق ، ج ٦ ، ص ٤٩ .

(٨١٥) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٦٥ .

(٨١٦) الجوزجاني : هو عبد الواحد أبو عبيدة الجوزجاني فقيه ، حكيم من خواص ابن سيناء ومن آثاره تفسيرات مشكلات القانون ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٨١٧) الخطيب البغدادي ، مصدر ، سابق ، ج ٤ ، ص ٢١ .

(٨١٨) نفس المصدر ، نفس الصفحة

ومع ذلك فقد كان بعض المتناظرين يلتزمون بمكارم الأخلاق .[٨١٩]

وهكذا استمرت هذه المجالس جميعها تعقد بصورة متصلة في سنوات حكم البويهيين رداً على الأفكار المنحرفة التي باتت تهدد المجتمع الإسلامي وتعمل على تفكك وحدته .

المواكب :

ويراد بالمواكب الاحتفال بخروج الخليفة أو الأمير في عيدٍ أو غيره وهو من مقتضيات الأبهة في الدولة وقد كانت مواكب الخلفاء العباسيين في غاية الروعة والجمال ومنها مواكب الحج ومواكب الأعياد .

مواكب الحج :

تعددت مواكب الخلفاء وتنوعت ومنها موكب الخليفة القادر عندما أراد تأدية الحج اجتمع حشد كبير من أهل العراق وخراسان ، وغيرهم من المتجهين لأداء فريضة الحج وكل معه إبله ومؤونته ومتاعه واجتمع فريق من الجند لحراسة الخليفة والحجيج في حلهم وترحالهم [٨٢٠]

وسار الموكب في طليعته هوادج تظللها خيام من الديباج وفيها يقيم أمير الحج ، ثم أذن للحجيج بالمسير فضرب بوقاً إيذاناً بركوب الخليفة وجلس في هودج وفي يده قضيب الخلافة ، وفي الأخرى الخاتم وعليه جبة وشي من فوقها بردة الرسول صلى الله عليه وسلم .[٨٢١]ويصحبه جماعة من الأمراء ورجال الدولة ،ومن خلفهم الإبل التي يركبها أهل بيته ، ولهم حرس خاص بهم يحملون الرايات السود . فلما وقف رجال الدولة لوداع الخليفة أوصاهم بالسهر على الرعية ثم نفخ البوق إيذاناً بالمسير وزحف الحجيج وفي مقدمتهم هودج الخليفة .[٨٢٢]

وفي هذه المواكب يقف العامة على جانبي الطريق لتوديع الخليفة وبقية الحجاج .

---

(٨١٩) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

(٨٢٠) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ .

(٨٢١) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥٥٤ .

(٨٢٢) المقريزي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

أما مواكب الحجيج العادية فقد كان يجتمع الحجيج القادم من خراسان وما يجاورها من الحجيج العراقي والكل معه دوابه ومؤنته ويقف الجميع لوداع ركب الحجاج . منهم الأهل والأقارب والأصدقاء ويطلبون منهم الدعوات في تلك البقاع الطاهرة متمنين لهم سلامة العودة . ويكون الخليفة في مقدمة المودعين ويكلف قوة من الحرس لحمايتهم وتأمين طريقهم في الحل والترحال .(٨٢٣)

مواكب الأعياد :

تجلت روعة مواكب العباسيين في أيام الجمع والأعياد فكان موكب الخليفة في العيد يتقدمه الغلمان . أي رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم يحملون المقارع والآلات الموسيقية المحلاة بالذهب ثم أمراء البيت العباسي على الخيول المطهمة ثم الخليفة ممتطياً جواداً ناصع البياض ، وبين يديه الأشراف وكبار رجال الدولة ويأتي بعدهم بقية العلماء . وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الأسود ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويتخذ عباءة سوداء ويلبس قلنسوة وقد زينت بجوهرة ثمينة ، وبيده قضيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتتدلى على صدره سلسلة ذهبية مرصعة بالجواهر الثمينة (٨٢٤).

وكانت الطرق والحوانيت تضاء بالأنوار والزينات ، ويقف الناس في الطريق الذي يمر به الخليفة لتحيته ولرؤية ذلك المنظر البديع ، وعند انتهاء الموكب يعود الخليفة إلى قصره وهناك يتلقى تهاني العيد من الوزراء والقواد وكبار رجال دولته (٨٢٥).

أما في حالات الأحزان فالموكب يكون مهيباً . وقد وصف مسكويه موكب الخليفة الطائع لتقديم العزاء بوفاة شرف الدولة البويهي سنة ٣٩٧هـ/٩٨٩م – وقد جلس أخوه أبو نصر بن عضد الدولة للعزاء وقد ذهب الطائع للعزاء في طيارة .(٨٢٦)

خرج الطائع لله من داره على فرس ختامي (٨٢٧)بمركب خفيف وسرج أحمر وعليه قباء اسود وعمامة خز سوداء على رصافيه وهو متقلد بسيف وبين يديه خمس

---

(٨٢٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ .

(٨٢٤) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦٥ .

(٨٢٥) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٨٢٦) طيارة : هي نوع من المراكب الصغيرة ، القلقشندي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

رؤوس من الخيل فوق سروجها جلال الديباج وأجمله والحرس والغلمان على الجانبين بالثياب السود يحملون السيوف ويلبسون المناطق . وسار الموكب إلى أن وصل إلى الطيار الذي كان سطحه مفروشاً بدبيق أحمر منقوش ووسطه ديباج اصفر . فصعد الطائع وجلس في المجلس الأوسط وبين يديه كاتبه أبو الحسن بن عبد العزيز وخادمه دُجى وحاجبه العباس وسار الطيار إلى دار المملكة بالمخرم (٨٢٨) ونزل الأمير بهاء الدولة أبو نصر متشحاً بكساء طبري والديلم والأتراك بين يديه وحواليه إلى المشرعة التي قدم إليها الطيار وقبل الأرض وصعد أبو الحسن بن عبد العزيز إلى الأمير أبي نصر فأدى إليه رسالة عن الطائع بالتعزية فقبل الأرض ثانية ودعا وشكر وعاد أبو الحسن إلى حضرة الطائع لله وأعلمه وشكره ودعاه وعاود الصعود إلى الأمير أبي نصر لوداعه مع الطائع لله فأعلمه وشكره ودعاه وقبل الأرض ثالثة وانحدر الطيار عائداً بالخليفة وعاد الأمير أبو نصر إلى داره .(٨٢٩)

---

(٨٢٧) الختامي : الصتم من الخيل وهو الذي شخصت محاني ضلوعه حتى تساوت بمنكبه وعرضت صهوته . ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ .

(٨٢٨) المخرم : محلة ببغداد في الجانب الشرقي ، أبي عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم ، (تحقيق مصطفى السقا) مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٦م) ، ج٤ ، ص ١٩٥.

(٨٢٩) مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ .

المبحث الثالث :

مظاهر الترف والبذخ :

المباني : قصور الخلفاء :

كان للخلفاء على مر العصور عناية ببناء القصور والدور وغيرها وكانت قصورهم أشبه بمدن كبيرة لاتساعها فقد كانت تفترش مساحة وتمتد الجدران المحيطة بها فراسخ كثيرة .[٨٣٠]

كان الأمراء إذا جاءوا إلى دار الخلافة دخلوها راكبين حتى إذا وصلوا إلى الموضع الذي ينزلون فيه ترجلوا ودخلوا والحجاب بين أيديهم .[٨٣١]

وكانت قصور الخلفاء تشتمل على قباب وأروقة وهي عبارة عن وحدات بنائية تتألف كل منها من مجموعة غرف وإيوانات تطل على فناء أوسط وتتوزع هذه الأبنية حول خط محوري يبدأ بالمدخل الرئيسي وينتهي في نقطة مركزية في الجهة المقابلة [٨٣٢] وتحيط بهذه القصور جدران تفصلها عما هو حولها من قطائع . [٨٣٣]تتألف قاعة العرش من قاعة مربعة يفتح عليها أربع قاعات من الجهات الأربع كما تتصل بقاعة العرش المرافق التي تعرف بقسم الحريم وهناك عدد من المرافق التي تضم قاعات وغرف الإدارة ودواوين الدولة وثكنات الحرس[٨٣٤]. كانت جدران هذه القصور مزخرفة من الداخل والخارج بزخارف نباتية ورسومات حيوانية وأشكال هندسية متداخلة بعضها بالبعض الآخر .[٨٣٥]

أما البساتين فكانت تمتد إلى مساحات كبيرة وتوجد بها جميع أنواع الغروس التي يتم جلبها من فارس وغيرها بحسب مواسمها وبها أنواع نادرة من الورود وكان ببستان الخليفة القادر الذي يحيط بقصره وردٌ أسودٌ حالك السواد وله رائحة ذكية

---

(٨٣٠) المسعودي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٨٣١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

(٨٣٢) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٨٣٣) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٨٣٤) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٤٧

(٨٣٥) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٤١ .

بالإضافة إلى أنواع أخرى من النرجس والياسمين والسوسن والبنفسج والكافور [٨٣٦] ويزيد في جمال هذه القصور البرك والأنهار الجارية وقد كان الخليفة القادر يجلس في قصره المعروف ببيت الرصاص وبين يديه نهر يجري الماء فيه إلى دجلة .

قصور الأمراء :

حفل عصر بني بويه بالعمارة التي ولع بها معز الدولة فقد انشأ سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) قصراً فخماً شرقي بغداد فنزع ملكية المباني المجاورة لهذا المكان وأمر بخلع الأبواب الحديدية ببغداد والرصافة ، ونقلها إلى قصره كما نقص دار الخلافة بسامراء وأحضر أمهر البنائين والعمال من فارس وكانت جدران ذلك القصر مكسوة بالزخارف والرسومات الفارسية ، وكذلك القاعات الفسيحة عليها النقوش ورسوم حيوانية ونباتية ، وأمر بوضع منائر الذهب في قاعاته وعلى جانبي مداخله وأوقدت فيها شموع من العنبر ، وعلقت على جدرانها الستور المطرزة والموشاة ، وافترشت بالبسط المزركشة المكللة بالدر والياقوت . وأمر بتمويه سقوفه بالذهب وقد كلف بناء هذا القصر مبلغاً كبيراً من المال .[٨٣٧]

وعندما أرادوا هدمه بذلوا في حل الذهب من سقوفه مبلغ ثمانية ألف درهم.[٨٣٨]

كذلك كان الأمير عضد الدولة مولعاً بالعمارة وإليه يرجع الفضل في تعمير مدينة بغداد بعد أن أصابها التدمير بسبب إهمال شأنها مدة طويلة ففي سنة (٣٦٩هـ/٩٧٥م) بدأ بالمساجد الجامعة وكانت في غاية الخراب فأنفق عليها مالاً عظيماً وهدم البنايات القديمة وأعادها على أحكام وشيدها وأعلاها وغرسها وتقدم بإدرار أرزاق قوامها ومؤذنيها والأئمة والقراء فيها وأقر الجرايات لمن يأوى إليها من الغرباء أو الضعفاء .[٨٣٩]

---

[٨٣٦] نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

[٨٣٧] مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

[٨٣٨] نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

[٨٣٩] نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

ثم أمر بعمارة الأرياض المختلفة وأعاد وقوفها ، وعول في هذه المصالح على عمال ثقاة أشرف عليها نقيب العلويين ، ثم ألزم أرباب العقارات أن يعيدوها إلى أفضل أحوالها في العمارة وفي الحسن والزينة [٨٤٠]. وأمد العاجزين منهم بما يحتاجون إليه من مال ، كما عمل على تجميل الأحياء الواقعة على ضفتي نهر دجلة وأقام الميادين والمتنزهات ، فامتلأت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد أن كانت مأوى للكلاب ومطارح للجيف والأقذار ، وجلبت إليها الغروس من فارس وسائر البلاد ، كما عمل عضد الدولة على تجديد ما دثر من الأنهار ، وأعاد حفرها بعد أن أهملت زمناً طويلاً ، وأقام جسر بغداد وحصنه بالدرابزينات[*] ووكل به الحفظة والحراس [٨٤١] وأصلح الطريق الذي كان يمتد من العراق إلى مكة .[٨٤٢]

كذلك اهتم عضد الدولة بعمارة خراسان ، فقد بنى بشيراز داراً أنفق عليها أموالاً كثيرة فخرق فيها الأنهار ونصب عليها القباب وأحاطها بالأشجار والبساتين وحفر فيها الحياض وكان بها ثلاثمائة وستون حجرة كان مجلسه في كل يوم في واحدة منها إلى الحول ، وهي سفل وعلو . وقد فرش فيها الآلات وكان في كل مجلس ما يليق به من الستور والفرش . وكانت هذه الحجرات مزينة بالنقوش والرسوم والزخارف الهندسية وكانت هذه النقوش مذهّبة ومنها ما هو مفروش بالرخام .[٨٤٣]

وقد ظهر في القرن الرابع الهجري أن الملوك صاروا يبنون لأنفسهم إلى جانب العاصمة مدناً يتخذونها مقراً لهم . وكانت هذه المدن تمتاز بالاتساع فقد بنى عضد الدولة مدينة فناخسروا اختطها على مسافة نصف فرسخ شرقي شيراز ونقل إليها الصوافين وصناع الخز ، وجعل لها عيداً في كل سنة يجتمع القوم للهو والمجون ، ولكن بعد وفاة عضد الدولة خفت وأشرفت على الخراب وبطل سوقها .[٨٤٤]

---

(٨٤٠) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ .

(*) الدرابزينات : حاجز على جانبي السلم يستعين به الصاعد ويحميه من السقوط ، إبراهيم مدكور ، المعجم الوجيز ، مصر ، دار التحرير للطباعة والنشر ، ١٩٧٠م ، ص ١١٤ .

(٨٤١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(٨٤٢) نفس المصدر ، ج ٣، ص ١١٠ .

(٨٤٣) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٣٤ .

(٨٤٤) نفس المصدر ، ص ٣٣٦ .

أحدث عضد الدولة نظاماً في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي – لأول مرة نظام مراقبة الأبواب في مدينة شيراز حتى قال المقدسي[٨٤٥]: " ومنع الخارج منها إلا بجواز ، وحبس الداخل والمجتاز ."

لم يكن عضد الدولة هو الذي انفرد بالعمران في منطقة فارس فقد عمر ركن الدولة مدينة أيذج وهي مدينة بين اصفهان وخوزستان وقد كلف وزيره عبد الله بن أحمد القمي بتعميرها فجمع القمي المهندسين والعمال وبنى فيها الأسواق والمساجد وبين لكل صاحب حرفة مكاناً خاصاً به ورتب شوارعها وجعل لها أوقافاً لعمارتها بانتظام .[٨٤٦]

هذا وقد كان البويهيون يعنون ببناء الأسوار حول المدن فقد بنى ركن الدولة سوراً ضخماً حول مدينة أيذج . كذلك أمر أبو كاليجار ببناء سور حول مدينة شيراز في سنة (٤٣٦هـ/٩٥٢م) لرد غارات السلاجقة الذين تفاقم خطرهم في ذلك الحين ، وبلغ طول هذا السور اثنتي عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية اذرع وجعل له أحد عشر باباً .[٨٤٧]

كذلك بنى الأمير عماد الدولة البويهي أبو كاليجار المرزبان مدينة العمادية بالجزيرة ، وشيد حولها حصناً كبيراً لتكون ثغراً مهماً لصد هجمات الجيوش المعادية .[٨٤٨]

كذلك اهتم البويهيون ببناء الاستحكامات الحربية من قلاع وحصون وساعدتهم طبيعة منطقة خراسان على تهيئتها بشكل متين وعملوا الدستاهجيات[*] وهي الدعائم التي تبنى بجوار الأسوار لتقويتها .[٨٤٩]

وهكذا برغم الخراب الذي حل ببغداد في عهدهم فإنهم ساهموا في عمارتها.

---

(٨٤٥) أحسن التقاسيم، مصدر سابق ، ص ٣٣٧ .

(٨٤٦) نفس المصدر ، ص ٣٤٠ .

(٨٤٧) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٨٤٨) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(*) الدستاهيجات : فارسية معربة وهي ما يخرج من الحائط إلى داخل البناء الممتد ليقيه من السقوط . أحمد رضا كحالة ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ٤٠

(٨٤٩) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٤٧ .

الموسيقى والغناء :

كان الغناء مظهراً للمتعة ووسيلة إليها وفي هذا دلالة على ما تركته الحياة المترفة من آثار على أذواق الناس وتحضرهم .

كان الغناء يقوم على أسس علمية مقررة وله مناهجه وآدابه وفي هذا دلالة على تقدم فكري وأدبي لأفراد المجتمع بالقدر الذي يجعلهم ينظمون للمغنيين الطبقات والأصول الموسيقية .

اهتم الخلفاء العباسيون بمجالس الطرب والغناء والتي كانت تقام في الأعياد والمواسم كالنيروز والمهرجان فالخليفة الطائع لله أمر في ليلة المهرجان في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٦م ، أن يفرد مجلسه للغناء والمغنين وكل أصحاب الطرب وقد أنفق عليهم وأمر لهم بالمنح والهدايا .[٨٥٠]

كذلك كان أمراء بني بويه يهتمون بمجالس الطرب والغناء . فعضد الدولة كان بحكم أنه كان شاعراً يحب الغناء والموسيقى كانت مجالسه في بغداد وخراسان تعج بالموسيقيين والجواري المغنيات وكان ينفق أموالاً كثرة على الجواري اللاتي يجدن فن الغناء والعزف .[٨٥١]

ويرجع انتشار الغناء في هذا العصر إلى كثرة الجواري حيث كان معظم اللاتي يحترفن فن الغناء ببغداد في أوائل القرن الرابع الهجري من الجواري وقليل منهن من الحرائر .[٨٥٢]

كان للجواري بيوت معدة لسماع الغناء في أحياء بغداد وكان يحضرها كثير من ذوي المكانة للاستماع والطرب ويذكر أبو حيان التوحيدي أن عدد الجواري اللاتي يحترفن الغناء في جانبي بغداد حسب إحصائه أربعمائة وستين جارية .[٨٥٣]

---

[٨٥٠] حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٨ .

[٨٥١] آدم منز ، مرجع سابق، ج ١ ، ص ١٩٣ .

[٨٥٢] نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

[٨٥٣] نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

كما كانت نساء الطبقة الراقية تدعو الجواري إلى بيوتهن لإحياء حفلات غنائية وتوزع عليهن الهدايا والجوائز . (٨٥٤)

كانت الجواري يغنين من وراء ستار فإذا ما أقيم حفل وأرادوا إكرام ضيف غنت المغنيات في هذا الحفل أمام الستار .(٨٥٥)

أما الأغنياء فكانوا يتخذون في بيوتهم أماكن واسعة توضع فيها الأرائك فيجلسون عليها ليلاً لسماع الغناء (٨٥٦) وكان التأثر بالغناء قوياً فكان فيه ما يسر وما يبكي وما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه .(٨٥٧)

كان غناء أهل الري وطبرستان والديلم بالطنابر ، وكان الديلم يقدمون الطنبور على كثيرٍ من الملاهي . كان الموسيقيون يغنون في مآدب الأمراء فالأمير فخر الدولة كان يقيم بالري مآدب يدعو إليها الموسيقيين والعازفين خاصة عازفي الطنبور . وكانت هناك ألحان موسيقية معينة تغنى في الأعياد الموسمية مثل النيروز والمهرجان ، وقد راجت الموسيقى الفارسية إلى حدِ أن كثيراً من متعهدي الحفلات جمعوا ثرواتٍ طائلةً وكانت تدفع للمغنيين الأجور الكبيرة .(٨٥٨)

وبلغ من تفشي الغناء والرقص في فارس أن الأمير عضد الدولة يفرض ضريبة على المغنيات والراقصات .(٨٥٩)

واشتهر أهل منطقة السوس بالرقص وكانوا يقضون معظم أوقاتهم في الغناء والرقص ، وكانوا يفضلون الرقص بالقرب من منابع المياه (٨٦٠)

ونتيجة لذلك تفشت الرذيلة في بغداد في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – فانتشر شرب الخمر وظهرت موجة من الإنحلال الخلقي بين

---

(٨٥٤) الثعالبي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

(٨٥٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٨٥٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

(٨٥٧) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٨٥٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٨٥٩) المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٤٩٥ .

(٨٦٠) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

المغنيات [*] في عهد القائم ،وقام بعض الصالحين بالوقوف في وجه ذلك التيار ومحاربته فكانوا يداهمون بيوت الساقين والساقيات ويقومون بطرح الخمر على الأرض .[٨٦١]

وهكذا كان للموسيقى والغناء برغم ما بها من سلبيات ، أثرها في إثراء الحركة الأدبية بنقل الثقافات من منطقة إلى أخرى إضافةً إلى الجانب الترفيهي .

الألعاب :

أخذ الملوك منذ قديم الزمان يلهون في ساعات الفراغ بألعاب يروضون بها عقولهم وأبدانهم ولكل أمة ألعاب تلائم عاداتها وتشاكل أخلاق أهلها . وألعاب الخلفاء والأمراء كثيرة بعضها كان معروفاً كالصيد والسباق وبعضها اقتبسوه من الأعاجم كالشطرنج واللعب بالكرة والصولجان وسنتناول هذه الألعاب كل على حدة .

١/ الصيد والقنص :

كان الصيد معروفاً في الجاهلية ولكنه كان قاصراً على صيد الغزال والطيور بالشرك أو الفخ أو النبل .[٨٦٢]

ولما خالط العرب الفرس توسعوا في طرق الصيد والقنص فاتخذوا الجوارح من الطير والعقاب والشاهين والصقر يعلمونها صيد الطيور وغالوا في اغتناء الكلاب والفهود ونحوها يستعينون بها على صيد الخنازير والغزلان وحمر الوحش .[٨٦٣]

اتخذ بنو بويه الجوارح والفهود وبذلوا الأموال في اقتنائها وتربيتها وأقاموا عليها أناساً ينظرون في شئونها فكان منهم الفهادون وأصحاب الصقور وأطلقوا

لهم الأرزاق وأقطعوهم الإقطاعات وتسابق الشعراء في وصف الجوارح وحركاتها وسرعتها وخصائصها وكتبوا في فنون الصيد وأساليبه .[٨٦٤]

(*) ومن المغنيات ريّا ودبيسة وقنوة وقد اشتهرت بإجادة الغناء ومن شعرها :

ياليتني أحيا بقربهمو فإذا فقدتهم انقضى عمري

ومن المغنيين ابن علوان ونسيم وبشرى ، زهر الآداب ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ١١٢ .

(٨٦١) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٨٦٢) ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٨٦٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

(٨٦٤) وقد وصف أحد الشعراء فهدة فقال :

كان هناك عدد من أمراء بني بويه اشتهروا بصيد السباع والخنازير والفيلة خاصة عضد الدولة الذي كان مولعاً باغتناء الفيلة وتعتبر منطقة شيراز أكبر المناطق المليئة بالصيد الذي لا يعد ولا يحصى مما جعل عضد الدولة يتخذها متصيداً له .[٨٦٥]

كان الأمير فخر الدولة مولعاً بالصيد وقيل أن صيده بلغ في بعض الأيام سبعين غزالاً .[٨٦٦]

وكان اغتناء الأسود والنمور والفيلة للخلفاء والأمراء هو إثبات الهيبة في قلوب الرعية . ففي عهد المهتدي أمر بقتل السباع التي كانت في القصور وطرد الكلاب [٨٦٧]فلما مات عاد الخلفاء إلى اغتناء السباع فالخليفة المستكفي خرج إلى الشماسية بجوار بغداد لصيد السباع[٨٦٨] كذلك الأمير عز الدولة بختيار كان يخرج لوحده لصيد السباع [٨٦٩]وكان عضد الدولة يربطها في مجلسه فإذا جلس على سريره أحضرت الأسود والفيلة والنمور وقيدت في السلاسل وجعلت في حواشي المجلس تهويلاً بذلك للناس وترويعاً لهم وذلك بمدينة شيراز وعلى الرغم من أن ذلك لا يتماشى مع قيم الدين الإسلامي الذي يدعو للرحمة والرأفة إلا أن انتشار تلك العادة في ذلك العصر ربما لما ساد فيه من ثورات ومؤامرات ودسائس تطلبت الحزم والشدة أو ربما لشخصية عضد الدولة الصارمة فهذه الحيوانات الفتاكة ترمز للقوة والشدة التي كان يتمتع بها هذا الأمير فاتخاذه لها ليس تهويلاً للرعية فحسب بل يتعدى ذلك لإرهاب القادة الذين كان معظمهم رجال طموحين يريدون الاستيلاء على السلطة بأي وسيلة .

أيضاً اعتاد عضد الدولة التخلص من خصومه عن طريق طرحهم للحيوانات القاتلة فإدخال الرعب في قلوب الأعداء وإثبات الهيبة لتوطيد أركان حكمه ربما كان السبب

ولا صيد إلا بوثابة … تطير على أربع كالعذب
فإن انطلقت من قلادها … وطار الغبار وجد الطلب
فزوبعة من بنات الرياح … تريك على الأرض شيئاً عجب
تضم الطريد إلى نحرها … كضم المحبة من لا يحب

فأرجلها كالخيوط في خفتها وحين تطلق من قلائدها ويجد طلبها لطرائدها ويعلوها الغبار مسرعة لسرعة عدوها تصبح كأنها زوبعة أو عاصفة من بنات الرياح مما يملؤك عجباً .. وإذا هي صادت الطريدوضمته إلى صدرها لا ضم حنان ولكن ضم عدوان ،زهر الآداب ، مصدر سابق ، ج ٣، ص ٢٢٠ .

(٨٦٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ .

(٨٦٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٨٦٧) جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ج ٣،ص ١٠٧ .

(٨٦٨) نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ١٠٨ .

(٨٦٩) نفس المرجع ، ج ٣، ص ١٠٥ .

في شيوع تلك العادة . (٨٧٠). وكانت لهم أيضاً عناية بتربية الحيوانات الداجنة كالحمام والقماري يجعلونها في حظائر وأقفال مخصوصة عليها خدام يخدمونها .(٨٧١)

وقد تبعهم وزراؤهم في ذلك فالوزير بن بقية كان يملك بستاناً فيه جميع الحيوانات الداجنة جلبها من مختلف البلاد وعين عليها من يقوم برعايتها والعناية بها وكان يحضر لها الأطباء لفحصها .(٨٧٢)

٢/ الصولجان :

وهي لعبة فارسية وهي عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة مرنة كالفلين ونحوه تلقى في أرض الميدان فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بعصا ، يسمونها الصولجان أو الجوكان ويرسلون بها الكرة في الهواء وهم على خيولهم فمن يصيبها فله الغلبة وقد مارسها معظم خلفاء بني العباس .(٨٧٣)

٣/ السباق :

لم تبق أمة من الأمم القديمة أو الحديثة إلا ولهجت بالسباق . وكان العرب في الجاهلية يتسابقون بخيولهم ويتفاخرون بذلك . وكثيراً ما نشبت الحروب بين القبائل بسبب السباق مثل داحس (*) والغبراء(*) .

عني الخلفاء العباسيون وأمراء بني بويه بالسباق وقد كان للخلفاء في الرقة والشماسية حلقاتٌ للسباق وكانت حلقات السباق بمثابة الأعياد لما يصحبها من إقامة معالم الزينة وركوب الغلمان والعساكر على كثرتهم بالعدة الكاملة والأسلحة وفي هذه الحلبة يجلسون لمشاهدة السباق كما جرت عاداتهم بمثل ذلك في الأعياد وفي بعض الأحيان قد يأخذ المتسابق الفرس هدية له .(٨٧٤)

٤/ المصارعة :

---

(٨٧٠) **المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٥٩٣ .**

(٨٧١) **جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ج ٥ ،ص ١٠٩ .**

(٨٧٢) **آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .**

(٨٧٣) جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١١٠ .

(*) داحس : فرس لقيس بن زهير سيد بني عبس .

(*) الغبراء : فرس لحذيفة بن بدر سيد بني ذبيان وقد جرت الحرب بين عبس وذبيان بسبب المراهنة على فرس في السباق وكانت الحرب بينهما سجالاً انتهت بالصلح ، محمد جاد المولى ، أيام العرب في الجاهلية ، مصر ، دار إحياء الكتب ، ١٩٥٧م ، ص ١٥٥ .

(٨٧٤) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

ولما كان الديلم شعباً جبلياً فقد آثروا الرياضة البدنية على بقية الألعاب فعندما قدم معز الدولة بغداد أمر بإعداد حلقة للمصارعة فأعد الميدان بحضرته وأقيمت فيه شجرة وجعل عليها ثياب الديباج ووضع في قمتها أكياس مليئة بالدراهم وحضر أصحاب الطبول والزمور لتشجيع المتصارعين وكان الفائز يأخذ الشجرة والدراهم والثياب .(٨٧٥)

وخصصت أيامٌ معينة في الأسبوع لإقامة المصارعة وكذلك الملاكمة والتي كانت تقام لها نفس المراسم ويحضرها الأمير عز الدولة ويمنح الفائزين الهدايا الثمينة .(٨٧٦)

كذلك اهتم عضد الدولة بالمصارعة وخاصة في أيام الاحتفالات بأعياد المهرجان والنيروز فكانت المصارعة تقام في ساحة مخصصة لها بمدينة شيراز حيث تقام أولاً بين المتصارعين من الناس ثم بعد ذلك تقام بين بعض الحيوانات المتوحشة . وكان هناك مصارعون مغامرون يتصارعون مع الحيوانات المتوحشة فيقتلونها فيقدم لهم عضد الدولة الهدايا من الجواهر النادرة والعطايا الكثيرة .(٨٧٧)

٥/ **السباحة** :

كانت السابحة أهم أنواع التسلية عند العباسيين ففي عهد الخليفة المستكفي إنهمك أبناء بغداد في تعلم السابحة وكانت تنظم لها المسابقات وتمنح للفازين الجوائز والعطايا (٨٧٨).

وقد كان الأمير معز الدولة مهتماً بالسباحة وحث أبناء الديلم على تعلمها وكان يعطي الفائزين جوائز كثيرة .(٨٧٩)

الشطرنج والنرد :

(٨٧٥) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٨٧٦) **نفس المرجع ، ج٢، ص١١٢ .**

(٨٧٧) **جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١١٠.**

(٨٧٨) **نفس المرجع ، ص ١١١ .**

(٨٧٩) **نفس المرجع ، ج٣، ص ٢٦٥ .**

تعتبر لعبة الشطرنج والنرد من الملاهي في العهد العباسي وكان من يحسنها تفتح له أبواب الخلفاء والكبراء وكان الشطرنج يلعب على رقعة آدم مربعة حمراء وبجانب هذه الرقعة هناك رقعة مستطيلة ورقعة مدورة ورقعة نجومية تسمى الفلكية ورقعة تسمى الجوارحية سمي كل بيت من أبياتها بجارحة من جوارح الإنسان .[٨٨٠]

وقديماً كان العرب لا يزوجون لاعب الشطرنج خاصة أهل المدينة وقال العرب : " إنما الشطرنج للعجم الذين لا علم لهم . " [٨٨١]

كان الفقهاء لا يجيزون لعب الشطرنج ثم تساهلوا في أمره بعد ذلك ومن فتاوي الشيوخ فيه ، فتوى سهل بن سهل مفتي نيسابور (٤٠٤هـ/١١٠٣م) فقال :" إذا سلم المال من الخسران والصلاة عن النسيان فذلك أنس بين الخلان ." [٨٨٢]

أما النرد فهو عبارة عن جسم مربع صلب وكانوا يغامرون بالنرد فيلقى به على رقعة لها أربعة وعشرون منزلاً وقد مارس بعض الناس النرد لكسب المال وليس بغرض التسلية .[٨٨٣]

البندق :

وهي كرات تصنع من الفلين أو الحجارة أو الرصاص وهي فارسية بلفظها واستعمالها ويسمونها أيضاً الجلاهقات جمع جلاهق فكان الفرس يرمون البندق عن الأقواس كما يرمون النبل .[٨٨٤]

وكان المتخصصون في هذه اللعبة من رماة يخرجون إلى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير وغيره .

وكان الخليفة المستكفي يرمي بالبندق وكان ماهراً في رميه وكان يصطاد به الطير لأنه كان مولعاً باللعب به .[٨٨٥]

---

[٨٨٠] الجاحظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ .

[٨٨١] نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

[٨٨٢] نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

[٨٨٣] ابن مسكويه ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

[٨٨٤] نفس المصدر ، ج ٣، ص ٢٢٤ .

[٨٨٥] آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

كذلك كان هناك المقلدون وكان الواحد يسمى الحاكية وكان أبو الورد [٨٨٦] من عجائب الدنيا في المحاكاة يحكي شمائل الناس وألسنتهم ويقوم بتقليد حركاتهم فيعجب الناظر والسامع ويضحكون لأنه كان يتقن هذا الفن .[٨٨٧]

كذلك هناك الحاوي الذي يعقد حلقاته ويعرض فنون السحر المختلفة فكان العامة يجتمعون في الأعياد في ميدان فسيح ويحضر الساحر ومعه أدواته من ثعابين وعقارب ويقدم ألواناً عجيبةً من الألعاب والأعمال الخارقة التي تثير إعجابهم ودهشتهم .[٨٨٨]

وهناك القرادون الذين يحملون القرود ويقومون بتدريبها على حركاتٍ معينةٍ فيقدمون للناس ما يسليهم ويروح عليهم .

كذلك تلهى الناس بعدد من الملاهي التي اتخذت طابع المراهنة مثل تطيير الحمام والمناطحة بالكباش والمناقرة بالديوك فيراهن الشخص على هذا الطير أو ذاك الكبش أو الديك فإذا فاز كسب الرهان .[٨٨٩]

وكان بختيار بن معز الدولة من أكثر أمراء بني بويه ولعاً بهذه الملاهي . وكان يخصص أموالاً وجوائز كثيرة للفائزين من أصحاب الحيوانات التي تفوز في المراهنة .[٨٩٠]

وهكذا وبرغم ما ساد ذلك العصر من فتن واضطرابات ومحن شغلت الحكام وعامة الناس إلا أنهم رغم ذلك أفردوا مساحة للهو والتسلية ربما ترويحاً عن أنفسهم أو هرباً من واقعهم .

---

(٨٨٦) أبو الورد : هو محمد بن احمد بن القاسم برز في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي – وكان يخدم الوزير أبا محمد المهلبي . وكان من المداومين على مجالس المهلبي . توفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م ، الزركلي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

(٨٨٧) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٨٨٨) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٨٨٩) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .

(٨٩٠) آدم منز ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

الخاتمة

من خلال الدراسة التي قامت بها الباحثة للعصر البويهي توصلت للنتائج التالية :

أولاً : كان لضعف الخلفاء العباسين في تلك الفترة أثره في سيطرة العناصر الأجنبية على الخلافة وإذلال الخلفاء وسلب ممتلكات الشعب وتسخير مقدراته لصالحها .

ثانياً : كان للألقاب الفخمة التي منحها الخلفاء العباسيون للبويهيين أن رفعت من شأنهم وقللت من هيبة الخلفاء أنفسهم فشاركوهم في شاراتهم السيادية .

ثالثاً : مع أن البويهيين قد استقدموا أصلاً من أجل إيجاد حلٍ للأزمة المالية المستحكمة الناجمة عن إفلاس خزينة الدولة ، فإنهم قدموا مصالحهم الذاتية وتسابقوا مع جندهم على جمع الأموال لأغراضهم الخاصة، وبشتى الطرق والوسائل ، عن طريق المصادرات أو الضمانات أو التعسف في جميع الضرائب مما زاد الأمر سوءاً وتعد حادثة نهب محتويات دار الخلافة والتي جرت بعلم الأمير معز الدولة بن بويه عند عزل الخليفة المستكفى بالله عن الخلافة بعد شهر وبضعة أيام من دخوله بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م خير دليل إلى وجهة البويهيين وسياستهم في هذا المجال ، ولعها جرت بأمره وتنفيذاً لتوجيهاته .

رابعاً : نجم عن ذلك ازدياد وطأة الأزمة المالية وارتفاع في الأسعار صاحبه اضطراب في الأمن وفقدان للاستقرار في البلاد ، أفرز حدوث العديد من التطورات السلبية مثل شيوع النهب والسرقات العلنية وزيادة مكانة العيارين والشطار في المجتمع .

خامساً : لعبت الخلافات الطائفية والعنصرية دورها في إيجاد تناقض اجتماعي بالإضافة إلى عامل آخر هو العامل الاقتصادي الذي لعب دوراً هاماً في تعميق هذا التناقض ، ويتلخص العامل الاقتصادي في نشوء طبقتين . تمثل الأولى باب الملك والسلطان والحاشية بنفقاتها الباهظة وإسرافها البازخ في مجال التأنق في مناحى الحياة . وتمثل الطبقة الثانية العامة من الفلاحين والعمال وهي أبعد ما تكون للسلطان تلاقى المتاعب على أيدي عمال الضرائب وغيرهم .

أما الفتن الطائفية ومناصرة البويهيين للشيعة العلوية ضد أهل السنة والجماعة فقد راح ضحيتها الكثير من أفراد المجتمع .

سادساً : تعصب البويهين إلى أصولهم الفارسية فشجعوا المثل والعادات والتقاليد الخاصة بهم فاحتفلوا بالنيروز والمهرجان وأوقدوا النيران في أعيادهم وأدي ذلك إلى شيوع عادات وتقاليد لم تكن شائعة من قبل .

سابعاً : كان لسياسة بني بويه آثارها الدينية والاجتماعية والفكرية فكان لتأثر بني بويه بالنشأة الشيعية أثره في رؤيتهم بعدم أحقية العباسيين بالخلافة فأول ما فكر فيه معز الدولة أحمد بن بويه هو نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي .

ثامناً : احتفال بني بويه بعيد الغدير وتعليق الزينات وفتح الأسواق ليلاً كما في الأعياد الأخرى يوضح مدى التزام بني بويه بتقاليد الشيعة ومواسمهم إضافة إلى ما يمثله من امتزاج طبيعي بين عقائد المتشيعة وعقائد المجوسية والتراث الفارسي القديم .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المطبوعة :

١-أبن الأثير :

علي بن احمد بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، بيروت، ١٩٦٥م .

٢-أحمد بن حنبل الشيباني ، المسند ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

٣-الاصطخرى :

أبو إسحاق بن محمد ، المسالك والممالك، تحقيق (محمد جابر عبد العال) ، القاهرة ، ١٣١١هـ/١٩٤٩م .

٤- الأصفهاني :

أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغانى ، (تحقيق محمد صالحة) ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

٥-البلاذرى :

احمد بن يحي بن جابر ، فتوح البلدان ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٦-البيرونى :

أبو الريحان محمد بن أحمد ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لبزك، ١٩١٠م.

٧-أبو المحاسن :

جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

٨- الثعالبى :
أبو منصور عبد الملك بن محمد يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق (محمد محي الدين) ٤ أجزاء ، بيروت ، ١٩٧٣م .
٩- الجاحظ :
أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين ، القاهرة ، ١٩٣٥م .
١٠- إبن الجوزى:
جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، حيدر أباد ، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .
١١- ابن تيمية :
تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام ، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
١٢- الترمذي :
أبو عيسى محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .
١٣- الجهشيارى:
أبو عبد الله محمد بن عيدوس ، الوزراء والكتاب ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
١٤- الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه ، سنن ابن ماجه القاهرة ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .
١٥- إبن حوقل :
أبو القاسم محمد ، صورة الأرض ، بيروت ، ١٩٦٢م .
١٦- الخطيب البغدادى ، الحافظ أبو بكر أحمد ، تاريخ بغداد ،ح٣، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ/١٩٣١م .

١٧- إبن خلدون :
عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، الدار التونسية ، ١٩٨٤م .
١٨- إبن خلكان:
أبـو العبـاس أحمـد بـن إبـراهيم ، وفيـات الأعيـان وأبنـاء أبنـاء الزمـان، ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
١٩- الذهبى :
شمس الدين أبو عبد الله محمد ، دول الإسلام ، الكويت ، ١٩٦١م .
٢٠- الزركلى :
خير الدين الزركلى ، الإعلام ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٥٤م .
٢١- السيوطى :
عبد الرحمن بن أبـي بكـر جـلال الـدين ، تـاريخ الخلفـاء أمـراء المـؤمنين القائمين بأمر الأمة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
٢٢- أبو شجاع :
محمد بن الحسين ، ذيل تجارب الأمم ، القاهرة ، ١٣٣٤هـ/١٩١٦م .
٢٣- الشهرستاني :
محمد بن عبد الكريم ،الملل والنحل ، بيروت ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .
٢٤- إبن طباطبا :
محمد بن علي ، الفخرى في الآداب السلطانية ، القاهرة ١٩٣٥م .
٢٥- الطبرى :
أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
٢٦- أبي عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٦م .

٢٧- القيرواني :
عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مصر ١٩٥٩م .
٢٨- أبن العماد والحنبلي :
عبد الحى بن أحمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ١٩٧٩م .
٢٩- أبو الفداء :
عماد الدين أبو الفداء بن نور الدين ، المختصر في أخبار البشر ، ج٣، بيروت ، ١٨٤٠م .
٣٠- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، القاهرة ١٩٣٦ .
٣١- القزوينى :
أبو عبد الله زكريا بن محمد ، آثار البلاد وأخبار العباد ، القاهرة ، ١٩٤٨م .
٣٢- القلقشندي :
أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩١٠م .
٣٣- أبن كثير :
عماد الدين إسماعيل ، البداية والنهاية ، ج١١، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .
٣٤- الماوردي :
أبو الحسن على بن محمد البصرى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٤٩٨هـ.
٣٥- مجد الدين محمد بن مكرم يعقوب ، القاموس المحيط ، ج١ ، القاهرة ، ١٣٣٠ هـ.

٣٦- المسعودى :
أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٥ أجزاء، بيروت ، ١٩٦٥م .
٣٧- المقدس :
شمس الدين أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٣٢٦هـ/١٩٠٦م .
٣٨- المقريزى :
تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر ، بيروت ١٩٦١م .
٣٩- ابن مسكويه :
أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩١٤م.
٤٠- ابن منظور :
جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٥م .
٤١- النويرى :
شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، القاهرة ، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .
٤٢- الهمزانى :
محمد بن عبد الله بن عبد الملك ، تكملة تاريخ الطبرى ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
٤٣- محمد رضا كحالة ، معجم متن اللغة ، دار الكتب القاهرة ١٩٦٤م .
٤٤- ياقوت الحموى :
شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٤م .
٤٥- اليعقوبى : أحمد بن يعقوب معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٦٠م .

ثانياً : المراجع باللغة العربية :

١- أبـى عمـر يوسـف بـن عبـد الله بـن محمـد القرطبـى ، الاسـتيعاب فـي معرفـة الأصحاب ، (تحقيق على معوض وآخرون) ، دار الكتب ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٢- أبي اسحق إبراهيم بن علي الخضري ، زهر الآداب وثمر الألباب ، (تحقيق زكي مبارك) ، بيروت ١٩٥٥م .

٣- إبراهيم مدكور ، المعجم الوجيز ، مصر ١٩٧١م.

٤- محمد احمد جاد المولى ، أيام العرب في الجاهلية ، مصر ١٩٥٧ .

٥- محمد البنداري ، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ، عمان ١٩٨٨م.

٦- أحمد منير الدين ، تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري ، ترجمة د. سامي الصفار ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨١م .

٧- أحمد أمين ، ظهور الإسلام ، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

٨- أحمد كمال الدين حلمى ، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران منذ قدم العصور حتى العصر الغزنوي ، الكويت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٩- آدم منـز ، الحضـارة الإسـلامية فـي القـرن الرابـع الهجـري ، بيـروت ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م .

١٠- بدر عبد الرحمن ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

١١- جورجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٠٠م .

١٢- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

١٣- خليل إبراهيم السامرائى ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الموصل ١٩٥٨م .

١٤- رشاد عباس معتوق ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهى، مكة ، ١٩٩٧م .

١٥-سيد رضوان علي ، العلوم والفنون عند العرب ودورها في الحضارة العالمية ، الرياض ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

١٦- عمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

١٧- غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، (ترجمة عادل زعتر) ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

١٨- ف بارنولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، (تحقيق حمزة طاهر) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

١٩- لي استرانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م .

٢٠- محمد آمان صافي ، الأدب الأفغاني الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢١- محمد بن خاوند شاه ، روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفا ، (تحقيق محمد السباعى) ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢٢- محمد حسن الزبيدى ، ملامح من النهضة العلمية في العراق في العصر البويهي ، دار النهضة ، بغداد ، ١٩٦٩م .

٢٣- وفاء محمد علي ، البويهيون والخلافة العباسية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

المجلات والدوريات :

١- بطرس البستانى ، دائرة المعارف ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٠م .
٢- محمود محمد محفوظ ، الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
٣- منير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخاطب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى أنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمة أن ينقاد ، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عما آثره مع ما فرض علي من طاعتهما اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيئة التي أواصلها ، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله. وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعهما لي في منازلك المصونة ، بعثتني البواعث وحفزتني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقي لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رايت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أملي ، فعلت إن شاء الله

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة والأطواد الموثقة ، متشوقة عاطية ، مستبقية جارية ، تشتاق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح موللة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر ، بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب ، صلبة الأعواد ، قوية الأوصال ، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً [١] . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقاً جمامه [٢]، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه ، ويلوح في قراراه حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وغرائبه عليه واقعة ، متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات ، فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها كأنها ، رسل المنايا، أو سهام القضايا ، فلم نسمع مسمياً ولم نر إلا مذكيا [٣]، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

من رسائل أبي إسحق الصابئ لأحد أصدقائه

---

(١) الشره : حب الطعام ، والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : الممتع والمجتمع .

(٣) مسمياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم ، ومذكياً : أي مكبراً على الذبح .

وقفت على ما وصفت من بر مولانا الأمير لك ، وتوفره بالفضل عليك ، وإظهار جميل رأيه فيك ، وما أنزله من عارفةٍ [1] لديك ؛ وليس العجب أن يتناهى مثله في الكرم إلى أبعد غاية ، وإنما العجب أن يقصر شيء من مساعيه عن نيل المجد كله ، وحيازة الفضل بأجمعه ؛ وقد رجوت أن يكون ما يغرسه من صنيعة عندك أجدر غرس بالزَّكاء [2] ، وأضمنه للريع والنماء ؛ فارع ذلك ، واركب في الخدمة طريقة تبعدك من الملال ، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال ، ولا تسترسل إلى حسن القبول كل الاسترسال ؛ فلأن تدعي من بعيد خير من أن تقصى [3] من قريب ، وليكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطل ومن الإسهاب ، ولا يعجبنك تأتي كلمة محمودة فيلج بك الإطناب توقعاً لمثلها ؛ فربما هدمت ما بنته الأولى ، وبضاعتك في الشرف مزجاة ، وبالعقل يزم اللسان ، ويرام السداد ، فلا يستفزنك طرب الكلام على ما يفسد تمييزك ؛ والشفاعة لا تعرض لها فإنها مخلقة للجاه ؛ فإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها ، وتحصل وزنها ، وتطالع موضعها ؛ فإن وجدت النفس بالإجابة سمحة ، وإلى الإسعاف هشة ، فاظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا وهم أن عليك في الرد ما يوحشك ، ولا في المنع ما يغيظك ، وليكن انطلاق وجهك إذا دفعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ، ولا يثقل على سامعه منك . أقول ما أقول غير واعظ ولا مرشد ، فقد جمل الله خصالك ،وحسن خلالك ، وفضلك في ذلك كله ؛ لكني أنبه تنبيه المشاركة لك ، وأعلم أن للذكرى موضعاً منك لطيفاً .

---

(1) العارفة : العطية ، والمعروف . وليس لها فعل (م) .

(2) الزكاء : النماء ، و مثله الريع (م) .

(3) تقصى : تبعد (م) .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة ، دام عزّه وتأييده ، وعلوّه وتمهيده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهناه ماختصه به على قرب الميلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثّر الأمداد ، وتثمّر الأولاد ، وأراه من النجابة في البنين والأسباط [1]، ما أراه من الكرم في الآباء والأجداد ، ولا أخلي عينه من قرة ، ونفسه من مسرة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة في عدده ، وفسح في أمده ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفي ما بعد حسن ظنه ؛ وعرفه الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعثا من نوره ، واستنارا من دوره ، وحفا بسريره ، وجعل وفودهما متلائمين ، وورودهما توأمين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين [يغص] بجمعهم منخرق الفضاء ، ويشرق بنورهم أفق العلاء ، وينتهي بهم أمد النماء [2]، إلى غاية تفوت غاية الإحصاء ، ولا زالت السبل عامرة ، والمناهل غامرة ، يصافح صادرهم بالبشر [الوارد] ، وآملهم بالنيل القاصد .

---

(1) الأسباط : جمع سبط بكسر السين وسكون الباء – وهو ولد البنت (م) .

(2) النماء : الزيادة (م) .

من رسائل الصابئ إلى محمد بن عباس يعزيه عن طفل

الدنيا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، ولا يرد منها شيئ عن مداه ، ولا يصد عن مطلبه ومنحاه ، فهي كالسهام التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم يغض من الزيادة ، ولم يقنط من النقيصة [1] ، وأمن أن يستخف أحد الطرفين حلمه ، ويستنزل أحد الأمرين حزمه ، ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها ، ويأخذ الأهبة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخير بالشكر ، ويساور المحنة بالصبر ؛ فيتخير فائدة الأولى عاجلاً ، ويستمرئ عائدة الأخرى آجلاً .

وقد نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً ، الحديث سناً ، ما أرمض ، وأومض ، وأقلق وأقضّ ؛ ومسني من التألم له ما يحق على مثلي ممن توافت أيادي الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في الملمّ عليه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون وعند الله نحتسبه غصناً ذوى ، وشهاباً خبا ، وفرعاً دل على أصله ، وخطياً أنبته وشيجه ؛ وإياه أسأل أن يجعله للرئيس فرطاً صالحاً ، وذخراً عتيداً ، وأن ينفعه يوم الدين ، حيث لا ينفع إلا مثله بين البنين ، بجوده ومجده .

ولئن كان المصاب عظيماً ، والحادث فيه جسيماً ، لقد أحسن الله إليه ، وإلى الرئيس فيه ؛ أما إليه فإن الله نزهه بالأخترام [2]، عن اقتراف الآثام ، وصانه بالاحتضار ، عن ملابسة الأوزار ، فورد دنياه رشيداً ، وصدر عنها سعيداً ، نقي الصحيفة من سواد الذنوب ، برئ الساحة من درن العيوب ، لم تدنسه الجرائر ، ولم تعلق به الصغائر والكبائر ، قد رفع الله عنه دقيق الحساب ، واسهم له الثواب مع أهل الصواب ، وألحقه بالصديقين الفاضلين في المعاد ، وبوأه حيث أفضلهم من غير سعي ولا اجتهاد .

وأما الرئيس فإن الله عز وجل لما اختار ذلك له قبضه قبل رؤيته إياه على الحالة [1]التي تكون معها الرقة ، ومعاينته التي تتضاعف معها الحرقة ، وحماه من فتنة

---

(١) في نسخة " ولم يقنط عند المصيبة ولم يخرج عند النقيصة " (م)

(٢) الاخترام : الموت (م) .

(١) في نسخة " على الحالة التي تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرق " (م)

المرافقة ، ليرفعه عن جزع المفارقة ، [وكان هو المبقى] في دنياه ، وهو الواحد الماضي الذخيرة لأخراه ، وقد قيل : إن تسلم الجلة فالسخل هدر[٢] ؛ وعزيز عليّ أن أقول قول المهون للأمر من بعده ، وإلا أوفى التوجع عليه وأجب فقده ، فهو له سلالة ، ومنه بضعة ، ولكن ذلك عن طريق التسلية ، وسبيل التعزية ، والمنهج المسلوك في مخاطبة مثله ، ممن يقبل منفعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار ، ولا يأبى ورود الموعظة وإن كفاه الاعتبار ، والله تعالى يقي الرئيس المصائب ، ويعيذه من النوائب ، ويرعاه بعينه التي لا تنام ، ويجعله في حماه الذي لا يرام ، ويبقيه موفوراً غير منتقص ، ويقدمنا إلى السوء أمامه ، وإلى المحذور قدامه ، ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة ، إذ كنت أراها من أسعد أحوالي وأعدها من أبلغ أمانيّ وآمالي .

(٢) الجلة – بكسر الجيم – المسان من الإبل ، والسخل – بفتح فسكون – ولد الشاة ، واحده سخلة (م)

في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية وما يختص منها بالملوك أو الرؤساء

مرحباً بالفارس المصدق للظنون ، المقر للعيون ، المقبل بالطالع السعيد ، والخير العتيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أنا مستبشر بطلوع النجم الذي كنا منه على أمل ، ومنه من تطاول استسراره [الذي كنا منه] على وجل ، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نسق كالفريد المتسق [1]. قد طلع في أفق الحرية أسعد نجم ، [ونجم[2] في حدائق المروءة أذكى نبت . يا بشراي بطلوع الفارس الميمون جده ، المضمون سعده ، عليه خاتم الفضل وطابعه ، وله سهم الخير وطالعه . الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه إن شاء الله بدراً لا يضمر السرار بهاه ، ولا يبلغ المحاق سناءه وسناه ، وقد بشرت قوابله بالإقبال وعلو الجد [3]واقترن قدومه بالطالع السعد . هناك الله تعالى بقوة الظهر ،واشتداد الأزر ، الفارس المكثر لسواد الفضل ، والموقر لحال الأهل ، المستوفي شرف الأرومة ، بكرم الأبوة والأمومة ، وأبقاه حتى نراه ، كما رأينا جده وأباه . عرفت آنفاً ما كثر الله به عدده ، وشد عضده ، من طلوع الفارس الذي أضاء له الأفق ، وطال به باع السعادة ، فعظمت النعمى لديّ ، وأوردت البشرى غاية المنى عليّ . مرحباً بالفارس القادم ، بأعظم المغانم ، سوى الخلق [سامي العرق] يلوح عليه سيماء المجد ، وتتجاذبه أطراف الملك والحمد . وردت البشرى بالفارس الذي أوسع رباع المجد تأهيلاً ، ومناكب الشرف ارتفاعاً ، وأعضاد العز اشتداداً ، واتتني بشرى البشائر[4] ، والنعم المحروسة على النظائر ، في سلالة العز وسليله ، وابن منبر الملك وسريره ، والأمير القادم بغرة المكارم ، الناهض إلى ذروة العلياء ، بآباء أمراء ، وملوك عظماء ، مرحباً بالفارس المأمول لشد الظهور ، المرجو لسد الثغور . الحمد لله الذي شد أزر الدولة ، ونظم قلادة الإمرة ، ودعم سرير العزة ، ووطد منابر المملكة ، بالقمر

---

(1) الفريد : أراد الدرّ ، والمتسق : المنتظم (م).

(2) نجم : طلع (م)

(3) الجد – بفتح الجيم – البخت والحظ (م) .

(4) واتاه يواتيه : اسعفه وأنجده ، وتقرأ " وأتتني" بالهمز من الإتيان بمعنى المجئ . (م) .

السعد ، وشبل الأسد الورد . قد تنسمت المكارم والمعالي ، وتباشرت الخطب والقوافي ، بالفارس المأمول لشد أزر الملك ، وسد ثغر المجد ، وتطاول السرير شوقاً إليه ، واهتزت المنابر حرصاً عليه . قد افتر جفن العالم عن العين البصيرة ، واستغرب مضحكه عن اللمعة المنيرة ؛ أما الأمير فالتاج لجبينه يبهى ، والركاب بقدمه تزهى [1] اللهم أرني هذا الهلال بدراً قد علا الأقدار قدراً ، وبلغه الله فيه من مناه ، حتى نراه وأخاه ، منيفين على ذروة المجد ، آخذين من أوفر الحظوة بأعلى الجد .

(1) في نسخة " هو آمال الأمير فالتاج بجبينه سما ، والركاب بمقدمه زها " وليس كما ينبغي (م) .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخاطب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزاه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى أنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمة أن ينقاد ، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عما آثره مع ما فرض علي من طاعتهما اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيئة التي أواصلها . وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله. وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد . فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعهما لي في منازلك المصونة ، بعثتني البواعث وحفزتني الحوافز إلى أن يتألف بنا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقي لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رايت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أملي ، فعلت إن شاء الله .

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة والأطواد الموثقة ، متشوقة عاطية ، مستبقية جارية ، تشتاق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح موللة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر ، بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب ، صلبة الأعواد ، قوية الأوصال ، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً [١] . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقاً جمامه [٢]، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه ، ويلوح في قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وقرائبه عليه واقعة ، متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات ، فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها كأنها ، رسل المنايا، أو سهام القضايا ، فلم نسمع مسمياً ولم نر إلا مذكيا [٣]، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

---

(١) الشره : حب الطعام ، والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : الممتع والمجتمع .

(٣) مسمياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم ، ومذكياً : أي مكبراً على الذبح .

من رسائل أبي إسحق الصابئ لأحد أصدقائه

وقفت على ما وصفت من بر مولانا الأمير لك ، وتوفره بالفضل عليك ، وإظهار جميل رأيه فيك ، وما أنزله من عارفةٍ [٤] لديك وليس العجب أن يتناهى مثله في الكرم إلى أبعد غاية ، وإنما العجب أن يقصر شيء من مساعيه عن نيل المجد كله ، وحيازة الفضل بأجمعه ، وقد رجوت أن يكون ما يغرسه من صنيعة عندك أجدر غرس بالزَّكاء [٥] وأضمنه للريع والنماء ؛ فارع ذلك ، واركب في الخدمة طريقة تبعدك من الملال ، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال ، ولا تسترسل إلى حسن القبول كل الاسترسال ؛ فلأن تدعي من بعيد خير من أن تقصى [٦] من قريب ، وليكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطل ومن الإسهاب ، ولا يعجبنك تأتي كلمة محمودة فيلج بك الإطناب توقعاً لمثلها ؛ فربما هدمت ما بنته الأولى ، وبضاعتك في الشرف مزجاة ، وبالعقل يزم اللسان ، ويرام السداد ، فلا يستفزنك طرب الكلام على ما يفسد تمييزك ؛ والشفاعة لا تعرض لها فإنها مخلقة للجاه ؛ فإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها ، وتحصل وزنها ، وتطالع موضعها ؛ فإن وجدت النفس بالإجابة سمحة ، وإلى الإسعاف هشة ، فاظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا وهم أن عليك في الرد ما يوحشك ، ولا في المنع ما يغيظك ، ولكن انطلاق وجهك إذا دفعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ، ولا يثقل على سامعه منك . أقول ما أقول غير واعظ ولا مرشد ، فقد جمل الله خصالك ،وحسن خلالك ن وفضلك في ذلك كله ؛ لكني أنبه تنبيه المشاركة لك ، وأعلم أن للذكرى موضعاً منك لطيفاً .

(٤) العارفة : العطية ، والمعروف . وليس لها فعل (م) .

(٥) الزكاء : النماء ، و مثله الريع (م) .

(٦) تقصى : تبعد (م) .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة ، دام عزّه وتأييده ، وعلوّه وتمهيده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهناه ماالختصه به على قرب الميلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثّر الأمداد ، وتثمّر الأولاد ، وأراه من النجابة في البنين والأسباط [1]، ما أراه من الكرم في الآباء والأجداد ، ولا أخلي عينه من قرة ، ونفسه من مسرة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة في عدده ، وفسح في أمده ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفي ما بعد حسن ظنه ؛ وعرفه الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعثا من نوره ، واستنارا من دوره ، وحفا بسريره ، وجعل وفودهما متلائمين ، وورودهما توأمين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين [يغص] بجمعهم منخرق الفضاء ، ويشرق بنورهم أفق العلاء ، وينتهي بهم أمد النماء [2]، إلى غاية تفوت غاية الإحصاء ، ولا زالت السبل عامرة ، والمناهل غامرة ، يصافح صادرهم بالبشر [الوارد] ، وآملهم بالنيل القاصد .

---

(1) الأسباط : جمع سبط بكسر السين وسكون الباء – وهو ولد البنت (م) .

(2) النماء : الزيادة (م) .

من رسائل الصابئ إلى محمد بن عباس يعزيه عن طفل

الدنيا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، ولا يرد منها شيئ عن مداه ، ولا يصد عن مطلبه ومنحاه ، فهي كالسهام التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم يغض من الزيادة ، ولم يقنط من النقيصة [١] ، وأمن أن يستخف أحد الطرفين حلمه ، ويستنزل أحد الأمرين حزمه ، ولا يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها ، ويأخذ الأهبة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخير بالشكر ، ويساور المحنة بالصبر ، فيتخير فائدة الأولى عاجلاً ، ويستمرئ عائدة الأخرى آجلاً .

وقد نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدلراً ، الحديث سناً ، ما أرمض ، وأومض ، وأقلق وأقضّ ؛ ومسني من التألم له ما يحق على مثلي ممن توافت أيادي الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في الملمّ عليه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون وعند الله نحتسبه غصناً ذوى ، وشهاباً خبا ، وفرعاً دل على أصله ، وخطياً أنبته وشيجه ؛ وإياه أسأل أن يجعله للرئيس فرطاً صالحاً ، وذخراً عتيداً ، وأن ينفعه يوم الدين ، حيث لا ينفع إلا مثله بين البنين ، بجوده ومجده .

ولئن كان المصاب عظيماً ، والحادث فيه جسيماً ، لقد أحسن الله إليه ، وغلى الرئيس فيه ؛ أما إليه فإن الله نزهه بالأخترام [٢]، عن اقتراف الآثام ، وصانه بالاحتضار ، عن ملابسة الأوزار ، فورد دنياه رشيداً ، وصدر عنها سعيداً ، نقي الصحيفة من سواد الذنوب ، برئ الساحة من درن العيوب ، لم تدنسه الجرائر ، ولم تعلق به الصغائر والكبائر ، قد رفع الله عنه دقيق الحساب ، واسهم له الثواب مع أهل الصواب ، وألحقه بالصديقين الفاضلين في المعاد ، وبوأه حيث أفضلهم من غير سعي ولا اجتهاد .

وأما الرئيس فإن الله عز وجل لما اختار ذلك له قيضه قبل رؤيته إياه على الحالة [١]التي تكون معها الرقة ، ومعاينته التي تتضاعف معها الحرقة ، وحماه من

---

(١) في نسخة " ولم يقنط عند المصيبة ولم يخرج عند النقيصة " (م)

(٢) الاخترام : الموت (م) .

(١) في نسخة " على الحالة التي تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرق " (م)

فتنـة المرافقـة ، ليرفعـه عـن جـزع المفارقـة ، [وكـان هـو المبقـى] فـي دنيـاه ، وهـو الواحد الماضـي الذخيرة لأخراه ، وقد قيل : إن تسلم الجلـة فالسخل هدر [٢] ؛ وعزيـز عليّ أن أقول قول المهون للأمر من بعده ، وإلا أوفى التوجع عليه وأجب فقده ، فهو من سلالة ، ومنه بضعة ، ولكن ذلك عن طريق التسلية ، وسبيل التعزيـة ، والمنـهج المسـلوك فـي مخاطبـة مثلـه ، ممـن يقبـل منفعـة الـذكرى وإن أغنـاه الاستبصـار ، ولا يأبى ورود الموعظـة وإن كفاه الاعتبار ، والله تعالى يقي الرئيس المصـائب ، ويعيذه مـن النوائـب ، ويرعـاه بعينـه التـي لا تنـام ، ويجعلـه فـي حمـاه الـذي لا يـرام ، ويبقيـه موفوراً غير منتقص ، ويقدمنا إلـى السوء أمامـه ، وغلـى المحذور قدامـه ، ويبدأ بـي من بينهم في هذه الدعوة ، إذ كنت أراها من أسعد أحوالي وأعدها من أبلـغ أمانـيّ وآمالي .

(٢) الجلة – بكسر الجيم – المسان من الإبل ، والسخل – بفتح فسكون – ولد الشاة ، واحده سخلة (م)

في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية وما يختص منها بالملوك أو الرؤساء

مرحباً بالفارس المصدق للظنون ، المقر للعيون ، المقبل بالطالع السعيد ، والخير العتيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أما مستبشر بطلوع النجم الذي كنا منه على أمل ، ومنه من تطاول استسراره [الذي كنا منه] على وجل ، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نسق كالفريد المتسق [٣]. قد طلع في أفق الحرية أسعد نجم ، [ونجم [٤]] في حدائق المروءة أذكى نبت . يا بشراي بطلوع الفارس الميمون جده ، المضمون سعده ، عليه خاتم الفضل وطابعه ، وله سهم الخير وطالعه . الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه إن شاء الله بدراً لا يضمر السرار بهاه ، ولا يبلغ المحاق سناءه وسناه ، وقد بشرت قوابله بالإقبال وعلو

الجد [١]، واقترن قدومه بالطالع السعد . هناك الله تعالى بقوة الظهر ،واشتداد الأزر ، الفارس المكثر لسواد الفضل ، والموقر لحال الأهل ، المستوفي شرف الأرومة ، بكرم الأبوة والأمومة ، وإبقاه حتى نراه ، كما رأينا جده وأباه . عرفت آنفاً ما كثر الله به عدده ، وشد عضده ، من طلوع الفارس الذي أضاء له الأفق ، وطال به باع السعادة ، فعظمت النعمى لديّ ، وأوردت البشرى غاية المنى عليّ . مرحباً بالفارس القادم ، بأعظم المغانم ، سوى الخلق [سامي العرق] يلوح عليه سيماء المجد ، وتتجاذبه أطراف الملك والحمد . وردت البشرى بالفارس الذي أوسع رباع المجد تأهيلاً ، ومناكب الشرف ارتفاعاً ، وأعضاد العز اشتداداً ، واتتني بشرى البشائر[٢] ، والنعم المحروسة على النظائر ، في سلالة العز وسليله ، وابن منبر الملك وسريره ، والأمير القادم بغرة المكارم ، الناهض إلى ذروة العلياء ، بآباء أمراء ، وملوك عظماء ، مرحباً بالفارس المأمول لشد الظهور ، المرجو لسد الثغور . الحمد لله الذي شد أزر الدولة ، ونظم قلادة الإمرة ، ودعم سرير العزة ، ووطد منابر المملكة ، بالقمر السعد ، وشبل السد الورد . قد تنسمت المكارم والمعالي ، وتباشرت الخطب والقوافي

---

(٣) الفريد : أراد الدرّ ، والمتسق : المنتظم (م).

(٤) نجم : طلع (م)

(١) الجد – بفتح الجيم – البخت والحظ (م) .

(٢) واتاه يواتيه : اسعفه وأنجده ، وتقرأ " وأتتني" بالهمز من الإتيان بمعنى المجئ . (م) .

، بالفارس لشد أزر الملك ، وسد ثغر المجد ، وتطاول السرير شوقاً إليه ، واهتزت المنابر حرصاً عليه . قد افتر جفن العالم عن العين البصيرة ، واستغرب مضحكه عن اللمعة المنيرة ؛ أما الأمير التاج لجبينه يبهى ، والركاب بقدمه تزهى [٣]، اللهم أرني هذا الهلال بدراً قد علا الأقدار قدراً ، وبلغه الله فيه من مناه ، حتى نراه وأخاه ، منيفين على ذروة المجد ، آخذين من أوفر الحظوة بأعلى الجد .

(٣) في نسخة " هو آمال الأمير فالتاج بجبينه سما ، والركاب بمقدمه زها " وليس كما ينبغي (م) .